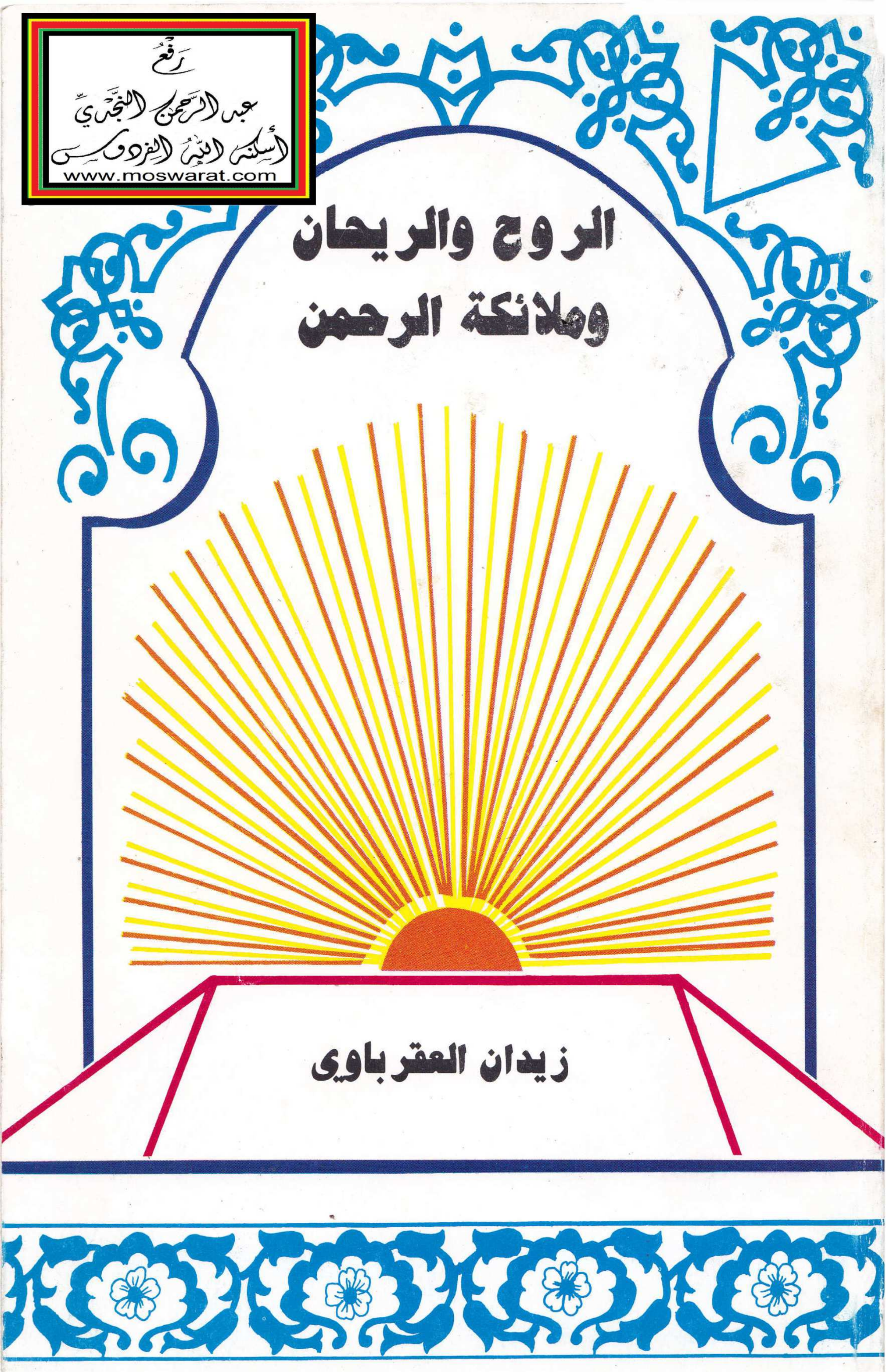


الروح والريحان وملائكة الرحمن

زيدان العقرباوي

الــروح والريحــان
وملائكــة الرحمــن

الجزء الاول
امر التشريع وأمر التكوين

تأليف

زيدان محمود سلامه العقرباوي

الطبعة الأولى
١٩٩٢

٢١٤ر٢٢
زيد زيدان محمود سلامه العقرباوي
الروح والريحان وملائكة الرحمن/ زيدان محمود سلامه
العقرباوي . ـ عمان : (د. ن)، ١٩٩٢ ،
(٢٤٦)ص
ر. أ و ١٨٠/ ٤/ ١٩٩١)
١ ـ الاسلام ـ عقيدة أ ـ العنوان
(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

المملكة العربية السعودية
وكلاء التوزيع : دار القلم والكتاب
الرياض ـ هاتف : ٤٦٢٤١٠٥

دار الابداع للنشر والتوزيع
هاتف ٦١٠٥٠٦ ص.ب ٢١١٤٦٦
الحسين الشرقي ـ عمان ـ الاردن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الحمـد لله نحمـده، ونستعين به ونستغفره، ونتوب اليه، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

الحمد لله الذي خلق الانسان فصوره وجمله، وميزه بالعقل وبالعلم زينه، وفضله على كثير من خلقه وكرمه. واشهد أن لا اله الا الله وحده، تقدست ذاته وتنزهت صفاته عما لا يليق بجلاله ولا ينبغي لكماله.

رب يسر وأعن يا كريم وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آله الاكرمين، والحمد لله رب العـالمين، ولا عدوان الا على الظالمين. لا اله الا انت إله الاولين والآخرين. وقيم السماوات والارض، ومالك يوم الدين، الذي لا فوز الا في طاعته، ولا عز في التذلل العظمته، ولا غنى إلا في الافتقار الى رحمته، ولا هدى الا في الاستدلال بنوره، ولا حياة الا في رضاه، ولا نعيم الا في قربه.

سبحـان من سبحت له السماوات واملاكها والنجوم وافلاكها، والارض وسكانها، والبحر وحيتانها، والنجوم والجبال والشجر والدواب والاكام والرمال وكل رطب ويابس.

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له كلمه قامت بها الارض والسموات، وخلقت لاجلهـا جميع المخلوقات، وبها ارسل الله رسله، وانزل كتبه، وشرع شرائعه، ولاجلها نصبت الموازين، وهي الحق الذي خلقت له الخليقه، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثـواب والعقاب، ولاجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد. فهي كلمة الاسلام، ومفتاح دار السلام. واشهد ان محمدا عبده ورسوله، وامينه على وحيه وخيرته من خلقه المبعوث بالدين القويم. والمنهج المستقيم، ارسله الله رحمه للعالمين، واماما للمتقين، وافترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته. شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، ونزل عليه الوحي الامين، بالكتاب المنير، وسدده بالوحي، وعصمه من الهوى، وجاءت سنته ﷺ الدليل لكتاب الله.

والمرشد الى مقاصده ومراميه، كما جعله الله سبحانه وتعالى مثلا يحتذى به، وقدوة حسنة ترتجى وغرست في الناس بذور الخير والصلاح فكانت خير امة اخرجت للناس.

فأعرف الناس بالله عز وجل اتبعهم للطريق الموصل اليه، ولهذا سمى الله ما أنزل على رسوله روحا لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونورا لتوقف الهداية عليه.

ولا ريب انه يجب على كل مسلم ان يؤمن بما جاء به الرسول ايمانا مجملا، وأن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض كفاية فان ذلك داخل في تدبر القرآن وفهمه. وحفظ الذكر والدعاء الى الخير، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية. ولا شك انه لا يجب على العاجز ما يجب على القادر، ولا يجب على المفتي والمحدث والعالم والحاكم ما يجب على العامة من الناس.

هذا وقد بلغ الرسول ﷺ البلاغ المبين، واوضح الحجة للمستبصرين. وسلك سبيله خير القرون، وكلما بَعُد العهد ظهرت البدع وكثر التحريف.

فاحتاج المؤمنون بعد ذلك الى ايضاح الادلة ودفع الشبهة، وسبب ذلك اصغاؤهم الى شبه المضللين وخوضهم في كلام المذمومين.

ولا يظن احد ان دراسة هذا الاصل من اصول الدين من فضول العلم. فان الحقائق التي تسوقها النصوص في هذا الموضوع لها اهمية كبيرة في تثبيت العقيدة، وترسيخ الفهم ونفي الخرافة والزيف عن العقول، ولو ذهبنا نعدد الآثار التي يجنيها المرء من ايمانه بالعقيدة من توحيد وتكوين وتدبير لطال القول في هذه المقدمة الا انني اترك للقارىء ان يعيش مع النصوص، يتأمل فيها راجيا من المولى العزيز ان ينفع بهذا الكتاب وان يجعله خالصا لوجه الله تعالى انه نعم المولى ونعم النصير.

وان يجعلنا من حفظة القرآن العاملين به انه هو السميع المجيب وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعى بدعوته الى يوم الدين.

زيدان محمود سلامه العقرباوي

الجزء الأول
امر التشريع وامر التكوين

قال تعالى **﴿انما أمره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون﴾**[1] وهذا أمر تكوين وأمر الله تعالى نوعان ١ ـ أمر تكوين اي ارادة قدرية كونية خلقيه. ٢ ـ أمر تشريع اي ارادة دينية أمرية شرعية.

أما أمر التكوين فيعني سنة الله في خلقه التي يخضع لها الكون في وجوده وتطوره من قوانين علمية معقدة محكمة يخضع لها الكون، وهو ايضا القادر على خرق هذه النواميس بامره اذا شاء.

وأما أمر التشريع: فهو ما يوحيه الله تعالى لانبياءه ورسله كي يبلغوه للناس ليؤمنوا به ويعملوا به وما يأمر به خلقه ليفعلوه.

وأمر التكوين: لا حرية فيه. **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾**[2]. بمعنى أن الانسان ليس مختارا في ان يكون او لا يكون وكذلك السماوات والارض وجميع المخلوقات، بجميع قوانينها الحاكمة وسنة الله في خلقه والقوانين الخلقية «القدر الذي قدره الله» وأما أمر التشريع: ففيه مجال الحرية والاختيار والارادة مثل قوله تعالى **﴿لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾**[3] وكذلك **﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**[4] وذلك يترتب عليه العقاب والثواب لانه مجال الاختيار وعليه يترتب المسائلة.

(١) سورة يس ٨٣.
(٢) القصص ٦٨.
(٣) البقره ٢٥٦.
(٤) الكهف ٢٩.

القرآن والعلم

القرآن الكريم هو كلام خالق الكون، ولا يمكن ان يكون هناك اعلم من الخالق بقوانين هذا الكون. **﴿قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم﴾**[1] الاستفهام للاستنكار والتوبيخ اي قل لهم يا محمد: اتخبرون الله بما في ضمائركم وقلوبكم؟ وهو جل وعلا العليم باحوال جميع المخلوقات، لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الارض، والله رقيب على كل شيء، لا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين **﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾**[2] كذبوا بالقرآن العظيم وسارعوا الى الطعن فيه قبل ان يفقهوه ويتدبروا ما فيه ولما يفهموه ولا عرفوه، ولم ينتظروا ما اخبر به من الامور الغيبية والمستقبلية، بمعنى وقوع مدلوله بل سارعوا الى التكذيب مع قيام الادلة على صدقه.

والرسول ﷺ حين تنزل عليه القرآن لم يتعرض بالتفسير الا لما تقتضيه احكام هذا الدين في امر التشريع.

واما ما يتصل بقوانين هذا الكون مما سيكشفه الله من علم البشر في مستقبله، فلم يتعرض له التفسير، لان العقل العربي في ساعة النزول لم يكن عنده الاستعداد العلمي لفهم الحقائق الكونية، لذلك اخذ منها قدر حجمه وقدر معرفته، وظهرت حقائق علمية حديثه فتبين لنا ان عطاء القرآن فيها كان متجددا. ففي كل عصر يجد فيه الجديد، ولا تزال العقول عاجزة عن فهم الحقائق الكونية كاملة. فتأخذ ايضا بقدر حجمها وعلمها وفهمها.

إن القرآن كتاب هدى. ولكن الله تعالى جعل في كتابه الكريم هدى لكل الناس، لكل الفئات وخاطب كل فئة على قدر علمها واتجاهها وفهمها. خاطب الجاهل والعالم، خاطب البدوي والمتحضر وما فرطنا في الكتاب من شيء.

(١) الحجرات ١٦.

(٢) يونس ٣٩.

وبذلك يكون كلام الخالق دليل على صحة العلم او عدمه وليس العلم دليل على صحة القرآن فالخالق ادرى من المخلوق واعلم. ولا يجوز ربط القرآن بالعلم بل ربط العلم بالقرآن أولى. ولذلك وضع في القرآن ما يعجز العلماء في كل عصر وإن كان عصر العلم.

﴿سنريهم ءآيتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد﴾[1] سنريهم بمعنى المستقبل والمستقبل لا ينتهي الى يوم القيامة، ولذلك كل جيل يستنبط على قدر علمه، فاذا ظهرت حقيقة علمية يجوز عرضها على القرآن فان وافقته كانت صحيحة والعكس غير صحيح رغم انف المكذبين. سنريهم اعجازنا في اقطار السماوات والارض في النجوم والكواكب والاشجار والنبات والبر والبحر وفي الارض وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية قال القرطبي: المراد ما في انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول فان الرجل ياكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين، ومن بديع صنعة الله وحكمته في عينيه. وفي اذنيه وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه. حتى يظهر لهم ان هذا القرآن حق، وانه اصدق العلوم. كما قال فيه العلماء.

كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، هو الفصل وليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم ـ هو الذي لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الالسنة. ولا يشبع منه العلماء ـ ولا يخلق عن كثره الرد، ولا تنقضي عجائبه ـ من قال به صدق ومن عمل به أجر ـ ومن حكم به عدل ـ ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم.

ان هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم. ان هذا القرآن حبل الله. وهو النور المبين. والشفاء النافع. عصمة لمن تمسك به. ونجاة لمن تبعه. نسأل الله العظيم رب العرش الكريم ان يجعلنا من حفظة القرآن الكريم العاملين به. الحاكمين به. الداعين اليه، انه هو السميع المجيب.

﴿يعلمون ظهراً من الحيوٰة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[2] اي يعلمون امور الدنيا ومصالحها وما يحتاجون اليه فيها من امور الحياة كالزراعة والتجارة والبناء ونحو ذلك. بمعنى ان علمهم منحصر في الدنيا وهم مع ذلك لا يعلمون الدنيا كما هي وانما يعلمون ظاهرها اي القشور

(١) فصلت ٥٣.
(٢) الروم ٧.

وبذلك يكون العلم نوعان: نوع ليس لك فيه حرية البحث وهو التشريع كيفية عبادة الله وتوحيده لان الله سبحانه يفرض ويرسم ويعلم، وهذا يؤخذ من كتاب الله والسنة الموضحة. ونوع مطروح للبحث وبذل النشاط بلا قيود ولا حدود وهو ما يتعلق بنشاطات الحياة من علم الحيوان والنبات والجماد. وكذلك آيات الله في الكون فالمطلوب هو البحث فيها حيث أتبعها بقوله **﴿أو لم يتفكروا في انفسهم﴾** ثم اعقبها **﴿او لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم﴾**[1] **﴿ان في خلق السمٰوات والارض واختلف اليل والنهار لأيٰت لأولي الالباب (١٩٠) الذين يذكرون الله قيٰما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السمٰوات والارض ربنا ما خلقت هذا بٰطلا سبحٰنك فقنا عذاب النار﴾**[2] على ما بهما من احكام وابداع، دلائل واضحة على الصانع ولا يظهر ذلك الا لذوي العقول الذين ينظرون الى الكون بطريق التفكر والاستدلال، الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم، يتفكرون في ملكوت السمٰوات والارض، وفي خلقهما بهذه الاجرام العظام وما فيهما من عجائب المصنوعات، ربنا ما خلقت هذا عبثا اما كيف نشأ الخلق **﴿ما اشهدتم خلق السمٰوات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾**[3] الله فقط هو الذي يستطيع ان يقول لنا كيف تم الخلق لاننا لم نشهد، وهذا امر عيني. لذلك آيات الله في الكون لم يفسرها الرسول ﷺ تفسيرا كاملا ولا في عهده حتى يكون العطاء متجددا عبر الاجيال.

اما احكام افعل ولا تفعل... نزلت كاملة واضحة لا لبس فيها ولا اضافة عليها ولا تبديل ولا غموض... منهج كامل. فسرته الاحاديث القدسية والاحاديث النبوية، وشرح وفسر في عهد الرسول ﷺ تفسيرا كاملا... بحيث اصبح واضحا لكل انسان يريد أن يعبد الله... وان يعيش في الارض طبقا لقانون الله... افعل ولا تفعل.. جاءت واضحة وكملت وفسرت في عهد الرسالة.. واصبح الحلال بينا.... والحرام بينا... والدين بينا[4].

(١) الروم ٩.
(٢) آل عمران ١٩٠ ـ ١٩١.
(٣) الكهف ٥١.
(٤) معجزة القرآن للشعراوي ١٢٣.

«لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء»

فعلم الله سبحانه وتعالى لا يمكن ان يحيط به احد الا ما يعطيه لمن شاء.

اما العلم المادي الذي يكشف الله عنه للبشر جيلا بعد جيل، هذا العلم لكل جزء فيه ميلاد حدده الله سبحانه وتعالى. فاذا صادف هذا العلم علماء يبحثون ويجتهدون للوصول اليه اجرى على ايديهم اكتشافه، وتارة يجري كشف هذا العلم على ايدي علماء عن طريق الصدفة لان موعد ميلاد هذا العلم قد أتى فيخرج من علم الله الى علم البشر، ويفتح لهم من العلم ما شاء لحكمة هو اعلم بها في تسيير هذا الكون قدرها في الازل.

يقول شهيد الاسلام سيد قطب رحمه الله «ما يزال البشر يكشفون كلما اهتدوا الى نواميس الكون عن رزق بعد زرق في السماء والارض، يستخدمونه احيانا في الخير ويستخدمونه احيانا في الشر، حسبما تسلم عقائدهم او تعتل، وكله من رزق الله المسخر للانسان، فمن سطح الارض ارزاق، ومن جوفها ارزاق ومن سطح الماء ارزاق، ومن اعماقه ارزاق، ومن اشعة الشمس ارزاق، ومن ضوء القمر ارزاق، حتى عفن الارض كشف فيه العلم عن دواء وترياق[1].

﴿والله اخرجكم من بطون امهٰتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصر والافئدة لعلكم تشكرون﴾[2] والله سبحانه أحاط، علمه بالكائنات والعوالم لا يعلمون شيئا من معلوماته الا بما اعلمهم اياه او اراد لهم ان يعلموه على السنة الرسل او العلوم والاكتشافات **﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾**[3].

(١) ظلال القرآن ١١/١٤٥،

(٢) النحل ٧٨.

(٣) العلق.

ارسال الرسل

بما ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان، وخلق له العقل، وجعله قادرا على التعلم والاستيعاب وجعله في الارض لاستعمارها، وهو العالم ان هذه العقول محدودة الادراك، محدودة الاستيعاب، وانه بحاجة الى ارشاد وهداية وبوجيه ورعاية. لذلك اقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، واليه داعين، وللشريعة موضحين، ولمن اجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين وجعل مفتاح دعوتهم معرفة المعبود سبحانه. وهذه المعرفة تبني مطالب أولها: تعريف الطريق الموصل اليه عز وجل، والثاني: تعريف السالكين ما لهم وما عليهم بعد الوصول الى معرفة الخالق والايمان بالواحد **وانك لتهدي الى صراط مستقيم**.

﴿قال اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾[1] اي بين الحين والحين ارسل اليكم رسل وانزل اليكم كتب لهدايتكم وارشادكم، فمن تمسك بشريعتي واتبع رسلي فلا يضل في الدنيا بسبب اتباعه تعاليم هي في الواقع لمصلحته، فخالق الشيء اعلم بما يصلحه، واعلم بصيانته، وهذه الكتب والرسل لارشاده وهدايته الى ما هو مخلوق من اجله، وتعاليم تبين الوظيفة التي وجد اصلا لأدائها، والعمل الذي خلق من اجله، وما هو بحاجة اليه، فمن اتبع شريعتي فلا يضل طريقه في الدنيا، ويؤدي ما هو مخلوق من اجله، وهو مطمئن ولا يشقى في الآخرة، ويفوز بالجنان. وقد وفى الله سبحانه وتعالى ما وعد به من ارسال الرسل، وانزال الكتب ليبين لهم الصراط المستقيم، والدين القويم. لانه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة الا بأن تعرف ربها، ومعبودها، وفاطرها باسمائه وصفاته وافعاله، ويكون مع ذلك كله احب اليهم مما سواه.

ولو ان الله تعالى لم يرسل أنبياءه الى الناس لا لزمهم الحجة، ولكان ذلك عدلا منه سبحانه وتعالى. ذلك ان الله خلق للانسان عقلا يفكر، والزمه الحجة، وجعل الكون كله كتاب الله المفتوح، وهو كتاب مليء بالكلمات المعجزة الدالة على وجوده سبحانه وتعالى **﴿وكأين من ءاية في السموٰت والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾**[2] فكم من الآيات والعلامات الدالة على

(١) طه ١٢٣.

(٢) يوسف ١٠٥.

وجود الله جل وعلا ووحدانيته في السماوات والارض كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبحار والدواب والهوام والحشرات وسائر المخلوقات فيهما من العجائب يشاهدونها ليل نهار ويمرون عليها بالعشي والابكار لا يفكرون فيها ولا يعتبرون **﴿وفي الارض ءايٰت للموقنين(٢٠) وفي انفسكم افلا تبصرون﴾**[١].

قال ابن كثير: اي في الارض من الآيات الدالة على خالقها وقدرته الباهرة مما فيها من صنوف النباتات والحيوانات والجبال والقفار والبحار والانهار، واختلاف السنة الناس والوانهم، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الخلق البديع[٢] وفي انفسكم آيات وعبر من مبتدأ خلقكم الى منتهاه افلا تبصرون قدرة الله عز وجل.

وارسال الرسل من اعظم نعم الله على خلقه، **﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم ءايٰته ويزكيهم ويعلمهم الكتٰب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[٣] وخص المؤمنين بالذكر، وان كان رحمة للعالمين لانهم هم المنتفعون ببعثته، حيث يطهرهم من دنس الشرك والذنوب ويعلمهم امور دينهم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ونقلهم من الظلمات الى النور. لهذا كان من فضل الله على خلقه ورحمته بهم ان يرسل اليهم رسلا منهم. ليعيدوا الى الفطرة اشراقتها واستقامتها، وليطهروهم من الوثنية والشرك.

وتزويد للانسان بزاد الايمان والطاعة الذي يجبر قصور العقل، والانسان دائما يتجه الى خالقه بفطرته محاولا التعرف على خالقه من خلال تأمله في الكون والحياة، وما يصيب الفطرة من ضلال وانحراف بحكم الظروف لا يقوى على انكار وجود الخالق **﴿الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾**[٤]. قال الصاوي: كان المشركون اذا قيل لهم: من خلقكم؟ ومن خلق السموات والارض؟ ومن ربكم ورب آبائكم الاولين؟ فيقولون الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الاصنام؟ فيقولون: لتقربنا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده[٥].

(١) الذاريات ٢٠ ـ ٢١.
(٢) مختصر ابن كثير ٣/٣٨٤.
(٣) آل عمران ١٦٤.
(٤) الزمر ٣.
(٥) حاشية الصاوي على الجلالين ٣/٣٦٦.

لانه ان اتجه الى خالقه بفطرته فانه عاجز عن ادراك صفات الله، وصور عبادته، وما يشرعه لعباده من امور تحقق صلاح الفرد والمجتمع، فاذا كان الانسان متدينا بطبعه فهو عاجز عن ادراك الحقيقـة الالهية ادراكـا واعيا، وعـاجز عن معرفة شرع الله. ومعبودها وفاطرها بصفاته واسمائه وأفعاله. ومن المحال ان تستقل العقول بمعرفة ذلك على التفصيل.



الايمان بالملائكة :

وأما الملائكة فهم الموكلون بالسماوات والارض، فكل حركة في العالم فللملائكة دور فيها كما قال تعالى «فالمدبران امرا» النازعات/٥ «فالمقسمت امرا» الذاريات/٤ . وهم الملائكة عند اهل الايمان وأتباع الرسل والعقيدة الثانية بعد الايمان بالله تعالى هي الايمان بالملائكة، وقد قرر القرآن فيهم، انهم عالم غيبي ليس مادياً من طبيعته ان يبرز في العالم المادي، قال تعالى **﴿قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾**[١] وقد دل الكتاب والسنة على اصناف الملائكة وانهم ذوو وظائف تتعلق بالانفس والارواح، وزعها الله عليهم ينفذون بها ارادته في خلقه فمنهم من يبلغ الوحي والتكاليف والرسالات الى أنبياءه ورسله، ومنهم من يؤيد الانبياء، ويثبت المؤمنين ومنهم من يحفظ على الانسان اعماله في دنياه حتى تعرض عليه في أخراه الى غير ذلك من الوظائف ـ والمسلمون الذين يؤمنون بان مصدر العقيدة في الشئون الغيبية هو القرآن والحديث الصحيح عن الصادق المصدوق وهو الحق الذي نؤمن به، يقفون في الايمان بالملائكة عند الحد الذي اخبر به عنهم القران والسنة، اخباراً صحيحاً، وهم في معتقداتهم، عالم غيبي لا يعرفه الانسان بادراكه البشري، وانما يعرفه عن طريق الخبر الصادق، فهم جند من جنود الله سبحانه وتعالى، حجبت حقيقتهم عن الادراك البشري، خاضعون لسلطان الالوهية العام. الذي لم يشذ عن الخضوع له شيء من الطبيعة، أو في ما ورائها، وهم وسائل الصلة بين الله سبحانه وخلقه.

والملائكة هم جند من خلق الله ركز الله فيهم العقل والفهم، وفطرهم على الطاعة، واقدرهم على التشكل باشكال مختلفة، وعلى الاعمال العظيمة الشاقة[١]، قال تعالى **﴿الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾**[٢].

فالموجودات نوعان: احدهما مسخر بطبعه، والثاني متحرك بارادته.

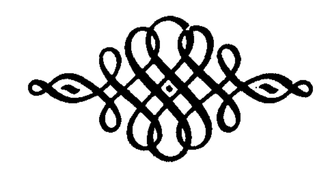
(١) سورة الاسراء ٩٥.
(٢) صفوة البيان ١١.
(٣) طه ٥٠.

فهـدى الاول لما سخّره بطبعه، وهدى الثاني هداية ارادية تابعة لشعوره، وعلمه بما ينفعه ويضره، ثم قسم هذا النوع الى ثلاثة انواع.

نوع لا يريد الا الخير ولا يأتي منه ارادة سواه كالملائكة.
ونوع لا يريد الا الشر ولا يتأتى منه ارادة سواه كالشياطين.
ونوع يتأتى منه ارادة القسمين كالانسان. ثم جعله ثلاثة اصناف.

صنفا يغلب ايمانه معرفته، وعقله هواه وشهوته، فيلحق بالملائكة.
وصنفا عكسه فيلحق بالشياطين، وصنفاً بين بين.

﴿وكنتم ازواجاً ثلٰثة(٧) فاصحٰب الميمنة ما اصحٰب الميمنة(٨) واصحٰب المشئمة ما اصحٰب المشئمة(٩) والسٰبقون السٰبقون(١٠) اولٰئك المقربون﴾[1] فاصحٰب اليمين: خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. واصحاب الشمال هم الصنف الثاني، واما السابقون السابقون فهم كالملائكة المقربون. والله اعلم.



(١) الواقعة

امـــر
التكوين


وقل رب زدني علما



بدء التكوين

قال تعالى ﴿وهو الذي خلق السمٰوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء﴾[1] أي وكان العرش قبل خلقهما على الماء. قال الزمخشري: وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات والارض[2] ـ وروى البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال «قال اهل اليمن لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئناك لنتفقه في الدين، ولنسأل عن أول هذا الامر، فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله» وفي رواية «غيره» وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السمٰوات والارض».

فقوله «كتب في الذكر» يعني اللوح المحفوظ. والمراد اخباره عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود. الذي خلقه الله تعالى في ستة أيام ثم استوى على العرش، كما اخبر بذلك في غير موضع.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال «قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والارض بخمسين الف سنة وان عرش الرب تعالى كان حينئذ على الماء».

وبذلك اجابهم النبي ﷺ عن بدء هذا العالم المشهود. لا عن جنس المخلوقات، لانهم لم يسألوه عنه. وقد ابلغهم واخبرهم عن خلق السماوات والارض حال كون عرشه على الماء ولم يخبرهم عن خلق العرش وهو مخلوق قبل خلق السماوات والارض. وكذلك لم يخبرهم عن خلق الماء وكان عرشه على الماء. فالماء موجود ومخلوق قبل خلق السماوات والارض، وكذلك الذكر وهو اللوح المحفوظ. «وكتب في الذكر كل شيء» وهو ايضا مخلوق قبل خلق السماوات والارض، ولم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث ولا لأول مخلوق وفي حديث مسلم عن ابي هريرة رضي عليه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في دعائه: .

(١) سورة هود ٧.
(٢) الكشاف ٢/٣٨٠.

«اللهم انت الاول فليس قبلك شيء» فهو الاول بلا بداية وهو الآخر بلا نهاية. وقوله تعالى **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾**[1] ليس لوجوده بداية ولا لبقاءه نهاية.

والخلاصة: فذكر السماوات والارض يدل على خلقهما ـ وذكر ما قبلهما يدل على كونه ووجوده وان هناك مخلوقات مخلوقة وموجودة قبل خلق السماوات والارض. فذكرها كمثال للمخلوقات الموجودة. ولم يتعرض لابتداء الخلق.

فلا يظن أن معناه الاخبار بتعطيل الرب تعالى دائما عن الفعل حتى خلق السماوات والارض فليس بخلق السماوات والارض وما بينهما استفاد اسم الخالق. وما السموات والارض وما بينهما بالنسبة الى الكرسي الا كمثل حلقة ملقاة في فلاة. والكرسي بالنسبة الى العرش كذلك. وخلق الله اكبر واعظم والله اكبر واعظم. وما أعلمنا سبحانه وتعالى الا بما يهمنا من امر هذا الكون الذي نعيش فيه، **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السمٰوات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾**[2].

(١) سورة الحديد ٣.

(٢) سورة البقرة ٢٥٥.

فعّال لما يريد

قال تعالى ﴿ذو العرش المجيد(١٥) فعال لما يريد﴾»[١] ذلك ما وصف الله به نفسه سبحانه وتعالى. والآية تدل على أنه سبحانه وتعالى يفعل بإرادته ومشيئته. وأنه لم يزل كذلك.

وان ذلك من كماله سبحانه وتعالى ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون﴾[٢] وانه اذا اراد شيئا فعله بمعنى انه يفعل ما يريد ان يفعله ـ وهذا في ارادته المتعلقة بفعله ـ واما ارادته المتعلقة بفعل العبد فذلك موضوع آخر.

وكـذلك فعله وارادته متلازمان، بمعنى ما أراد ان يفعل فعل. وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق، فإنه يريد ما لا يفعل ـ وقد يفعل ما لا يريد. فما ثم فعال لما يريد الا الله وحده. وأن كل فعل له ارادة تخصه، فشأنه سبحانه انه يريد على الدوام ويفعل ما يريد على الدوام ـ ومن كان ذلك من اوصاف كماله ونعوت جلاله. لم يكن حادثا بعد ان لم يكن. فكل ما صح ان تتعلق به ارادته جاز فعله.

يقول الامام الطحاوي رحمه الله: ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداث البريه استفاد اسم الباري[٣]. ان كل ما صح ان تتعلق به ارادته جاز فعله، فاذا اراد أن ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا، وأن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، وان يري عباده نفسه وان يتجلى لهم كيف شاء ويخاطبهم، ويضحك اليهم وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يمتنع عليه فعله فانه تعالى فعال لما يريد وانما يتوقف ذلك على اخبار الصادق به، فاذا أخبر وجب التصديق[٤].

(١) البروج ١٥ ـ ١٦.
(٢) النحل ١٧.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١٣٧.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية.

دوام افعال الرب

وأما دوام افعال الرب فهو أيضا من الكمال، لأن الفعل اذا كان صفة كمال، فدوامه دوام الكمال، كما قلنا في قوله تعالى ﴿**فعال لما يريد**﴾.

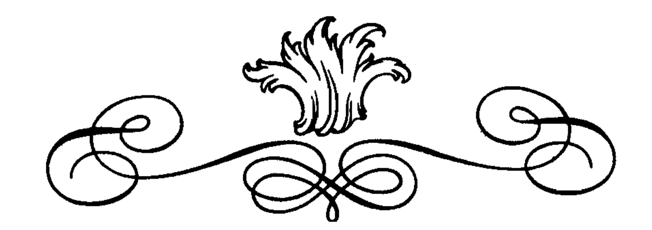
وما دل عليه العقل والشرع من دوام افعال الرب تعالى في الابد: انه كلما انقضى لاهل الجنة نعيم احدث لهم نعيما آخر لا نفاد له. وخلود اهل الجنة وخلود اهل النار.

وكذلك سنة الله تعالى في الخلق من طرف الازل، وان كل فعل مسبوق بفعل آخر، والفرق بين الحي والميت: ان الحي فعال. فان كل حي فعال. ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي: الفعال وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال... ولذلك لم يكن تعالى قط في وقت من الاوقات معطلا عن كماله من الكلام والارادة والفعل، ولا يلزم من هذا انه لم يزل الخلق معه، فانه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدما لا أول له، فلكل مخلوق اول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق، كائن بعد ان لم يكن. والمقصود: ان الذي عليه الشرع والعقل ان كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد ان لم يكن، اما كون الرب تعالى لم يزل معطلا عن الفعل ثم فعل فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبته بل كلاهما يدل على نقيضه[1]. ﴿**كذلك الله يفعل ما يشاء**﴾[2] لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه ﴿**كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون**﴾[3] اذا اراد شيئا حصل من غير تأخير ولا حاجة لسبب يقول كن فيكون فأمره بين الكاف والنون سبحانه تعالى.

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١٣٦.
(٢) آل عمران ٤٠.
(٣) آل عمران ٤٧.

خلــــق

الملائكــــة



ما هية خلق الملائكة

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[1].

الملائكة اجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل. وافاد الحديث بيان منشأ الملائكة والجن والانس، بيان قدرة الله تعالى في خلقه، وانه يخلق ما يشاء مما يشاء، فله العظمة والكبرياء، وانه على كل شيء قدير، وقال تعالى **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلنٰه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾**[2] ولو جعلنا المنزل اليهم ملكا، لجعلنا الملك رجلا، اي على صورة رجل، ليتمكنوا من رؤيته، اذ لاقوه للبشر على رؤية الملك.

ودل على وجودهم: الكتاب والسنة والاجماع فمنكر وجودهم كافر. وثبت أنهم قادرون على التشكل بالاشكال الحسنة **﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلمٰا قال سلمٰ﴾**[3] لما نزل الملائكة لعذاب قوم لوط مروا بابراهيم فظنهم اضيافا، **﴿فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا﴾**[4] وهم لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة، وهم لا يتزوجون ولا يأكلون ولا يشربون «فقربه اليهم قال ألا تأكلون» فلما رآهم لا يمدون ايديهم الى الطعام ولا يأكلون منه نكرهم واوجس منهم خيفة، وهم لا ينامون **﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾**[5].

فيجب الايمان بالملائكة، والايمان بهم ركن من اركان الايمان ـ الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.

(١) رواه مسلم في الزهد في احاديث متفرقه.
(٢) الانعام ٩.
(٣) هود ٦٩.
(٤) مريم ١٧.
(٥) الانبياء ٢٠.

معنى جمع التأنيث في ذكر الملائكة

ومعنى جمع التأنيث في الآيات مثل قوله تعالى ﴿**والصافات صفا(١) فالزاجرات زجرا(٢) فالتٰليٰت ذكر**﴾ اذ افتتح الله سبحانه وتعالى هذه السورة بالقسم بالملائكة واصنافها اظهارا لعظم شأنهم وكبر فوائدهم.

والمعنى اقسم بهذه الطوائف من الملائكة وكذلك قوله تعالى ﴿**والناشرات نشرا(٣) فالفارقات فرقا(٤) فالملقيات ذكرا**﴾ المرسلات واقسم بالملائكة الموكلين بالسحب والملائكة التي تنزل بالوحي وكـذلـك ﴿**والنـزٰعٰت غرقـا(١) والنشٰـطٰت نشطا(٢) والسٰبحٰت سبحا(٣) فالسٰبقٰت سبقا(٤) فالمدبرات امرا**﴾ وكثير غيرها.

فجمع التأنيث في ذلك كله يعني الفِرَق، والطوائف والجماعات التي مفردها «فرقه» و «طائفة» و «جماعة» فهم فرق وطوائف وجماعات. لها رؤساء ومسؤلون تنفذ اوامر، لكل ملك منهم مرتبه ومنزله ووظيفة، لا يتعداها ولا يتخطاها، فهم ادارة منظمة تنظيما دقيقا.

ولفظ ملك يشعر بانه رسول منفذ لأمر مرسله فليس لهم من الامر شيء، بل الامر كله لله الواحد القهار، وهم ينفذون امره.

وذلك يدل على ان الملائكة بدأ خلقهم قبل خلق الانسان، وقد يكون مع خلق السموات والارض، وقد يكون منهم من هو مخلوق قبل خلق السموات والارض.

كما ثبت ان العرش مخلوق قبل السموات والارض[1]، وانه قد يكون هناك مخلوقات كما تقدم في دوام افعال الرب[2]. وان الله فعال لما يريد في كتاب التكوين[2]. يمكن الرجوع اليه ولا يزال الخلق في زيادة منهم، حتى اطت السماء، وما دام الخلق في زيادة. بدليل «ان كل نفس لما عليها حافظ» والملائكة الموكلون بحفظ الانسان والكتبة، وما دام الناس في زيادة فالملائكة في زيادة الى ان يرث الله الارض ومن عليها والله اعلم.

(١) بقوله تعالى ﴿وهو الذي خلق السمٰوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا﴾ سورة هود آية ٧ ومما تقدم في الجزء الأول من هذا الكتاب من ادلة.

(٢) الجزء الأول من هذا الكتاب.

متى خلق الملائكة

قال تعالى: ﴿**ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين(١١) فقضهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصبيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم**﴾[١]. ثم عمد الى السماء بعد ان خلق الارض وقصد تسويتها وهي بهيئة الدخان. . والقصد: فتم خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة ايام واما قوله «واوحى في كل سماء امرها». قال ابن كثير: رتب في كل سماء ما تحتاج اليه من الملائكة وما فيها من الاشياء التي لا يعلمها الا الله. وقال ذلك كثير من المفسرين.

وقال تعالى ﴿**واذ قال ربك للملئكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون**﴾[٢].

قال في التسهيل: وانما علمت الملائكة ان بني آدم يفسدون باعلام الله اياهم بذلك، وقيل: كان في الارض جن فأفسدوا فبعث الله اليهم ملائكة فقتلتهم فقاس الملائكة بني آدم عليهم[٣] نستفيد من هذا ان خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر، كما امرهم بالسجود له حين خلقه. وقال ﷺ «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة»[٤] [وقال ﷺ «اطت السماء ويحق لها ان تئط والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر الا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده»][٥]صحيح.

(١) فصلت ١١، ١٢.

(٢) البقرة)٣.

(٣) التسهيل لابن جزي ٤٣/١.

(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٠٢٠

مكان الملائكة السماء

قال تعالى ﴿**واوحى في كل سماء امرها**﴾[1] وقال ايضا ﴿**واذ قال ربك للملٰئكة اني جاعل في الارض خليفة**﴾[2] وقال ايضا ﴿**ما تنزل الملٰئكة الا بالحق وما كانوا اذاً منظرين**﴾[3] وقال ﴿**قل لو كان في الارض ملٰئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا**﴾[4] وقال ايضا ﴿**ويوم تشقق السماء بالغمٰم ونزل الملٰئكة تنزيلا**﴾[5] وقال ﴿**لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب**﴾[6] وقال ﴿**تنزل الملٰئكة والروح فيها**﴾[7] والآيات كثيرة جدا تدل على ان مسكن الملائكة السماء.

ومن الاحاديث قال ﷺ «الملٰئكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض»[8] صحيح وقال ﷺ «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[9] صحيح وقال ﷺ «ان الملائكة تنزل في العنان فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم»[10] صحيح والاحاديث في الباب كثيرة جدا. فالملائكة خلقها الله في السماء ومسكنها السماء، فهم اشبه بالادارة الربانية، التي تتلقى الاوامر من الله لتنفيذها، [وهذه الادارة مقرها السماء، فهي مسكن الملائكة وليس الله بحاجة لهم، ولكن يخلق ما يشاء ويختار، ولا يُسأل عما يفعل، وهو فعال لما يريد. ولا يحيط احد بشيء من علمه الا بما شاء.]

(١) فصلت ١٢.
(٢) البقرة ٣٠.
(٣) الحجر ٨.
(٤) النحل ٩٥.
(٥) الفرقان ٢٥.
(٦) الصافات ٨.
(٧) القدر ٤.
(٨) الجامع الصغير وزيادته ٦٧٢٨.
(٩) الجامع الصغير وزيادته ٨٠١٩.
(١٠) الجامع الصغير وزيادته ١٩٥٥.

تفاوت الملائكة وعظم قوتهم وقدرتهم

﴿الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملئكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث وربع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير﴾[1] جاعل الملائكة رسلا ووسائط بين الله وأنبيائه لتبليغهم اوامر الله عز وجل ـ قال ابن الجوزي: يرسلهم الى الانبياء والى ما شاء من الامور[2].

وقال قتادة: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربع ينزلون بها من السماء الى الارض ويعرجون بها الى السماء[3]. يزيد في خلق الملائكة كيف يشاء، فهم متفاوتون في العظم والقوة، والسرعة، والحصافة، والقرب، والوظائف، والمهمات، والعبادة، والتقرب، وتفاوت الاشكال وتعدد الاجنحة.

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن ابن مسعود. أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب قال الزمخشري «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته له ستمائه جناح» وقد اشار الى طرق من عظمته وكمال قدرته بان خلق الملائكة باشكال عجيبة واجنحة عديدة.

فقد روى الزهري: ان جبريل قال للنبي ﷺ «يا محمد كيف لو رأيت اسرافيل ان له لا ثني عشر الف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى كاهله»[4].

وقال الخازن: كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله ﷺ ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء. فأما التي في الارض فبالافق الاعلى. اي جانب المشرق حيث كان رسول الله ﷺ بحراء فطلع عليه جبريل من ناحية المشرق وفتح جناحيه فسد ما بين المشمرق والمغرب فخر رسول

(١) فاطر ١.
(٢) زاد المسير ٦/٤٧٣.
(٣) القرطبي ١٤/٣١٩.
(٤) الكشاف ٣/٤٧١ على هامش تفسير الزمخشري.

الله ﷺ مغشياً عليه فنزل جبريل عليه السلام في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى **﴿ثم دنا فتدلى﴾** واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على صورته الملكية التي خلق عليها الا نبينا محمد ﷺ . وسيأتي تفصيل ذلك انشاء الله .

وقال تعالى **﴿عليها تسعة عشر﴾** بمعنى ان خزنتها تسعة عشر الموكلون عليها من الزبانية الاشداء كقوله **﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** قال ابن عباس : ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة . وقوة الواحد منهم ان يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم؟؟

كما ثبت بالدليل القطعي انهم اقوياء جدا . قال تعالى **﴿علمه شديد القوى﴾** سورة النجم . اي علمه جبريل عليه السلام فقد بلغ من قوته ان اقتلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها ، وصاح بثمود صيحة اهلكتهم وكان هبوطه الى الانبياء وعروجه الى السماء في اسرع من رجع الطرف .

وفي الحديث عن جابر عن رسول الله ﷺ قال «اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى حملة العرش ، ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة»[1] .

وعن انس «اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الارض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة اذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»[2] .

وعن ملك الموت قال مجاهد : جمعت له الارض فجعلت مثل الطشت يتناول منها حيث شاء[3] وقول ملك الجبال للنبي ﷺ في الحديث «فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فما شئت اطبق عليهم الاخشبين . قلت : بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»[4] وفي حديث الاسراء «ثم رفع لي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادتهرقم ٨٥٤ .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٨٥٣ .
(٣) الطبري ٢١/٦٢ .
(٤) جزء من حديث رقم ٥١٤١ صحيح الجامع الصغير وزيادته .

البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اليه حتى تقوم الساعة»[1] وما يعلم جنود ربك الا هو. وفي الحديث «ان لله تعالى ملكا اعطاه سمع العباد فليس من احد يصلي علي الا ابلغنيها، واني سألت ربي ان لا يصلي علي عبد صلاة الا صلى عليه عشر امثالها»[2] والله سبحانه وتعالى حينما خلق هذا الكون وضع لكل شيء فيه قانونا وجعل القوانين تخضع لمن خلقت من اجله، فالملائكة كخلق من نور لها قوانين يختلف عن قانون البشر الذي يناسب خلقه.

ومع عظم هذه المخلوقات وقدرتهم فهم اعرف المخلوقات بقدرة الله وعظمته، واكثرهم عبادة وخوفا من الله العلي القدير «حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير»[3] عن ابن مسعود عن النبي ﷺ «اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى اذا جاءهم جبريل، فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق»[4] وعن ابي هريرة «اذا قضى الله تعالى الامر في المساء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي االكبير. . »[5]» الحديث فأمام عظمته تضمحل عندها المخلوقات العظيمة وتخضع له الملائكة والعالم العلوي والسفلي، ولا تثبت افئدتهم عندما يسمعون كلامه او تتبدى لهم عظمته فالمخلوقات باسرها خاضعة لجلاله، خائفة منه، فالكمال المطلق والكبرياء كلها لله لا يشاركه فيها مشارك سبحانه تقدست ذاته، سبحانه ما اعظم شأنه وقال القرطبي: ان الله تعالى يأذن للانبياء والملائكة في الشفاعة، وهم على غاية الفزع من الله، لما يقترن بتلك الحال من الامر الهائل، والخوف الشديد ان يقع منهم تقصير، فاذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم: ماذا قال ربكم؟ اي بماذا امر الله؟ قالوا الحق اي انه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين[6].

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٢٨٦٦.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢١٧٦.
(٣) سبأ ٢٣.
(٤) الصحيحه ١٢٩٣.
(٥) الصحيحه ١٢٩٣.
(٦) القرطبي ١٤/٢٩٥.

جمال الملائكة

قال تعالى ﴿فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حشى لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم﴾[1] قلن لها وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذي رأينا، لانهن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريبا منه فانه عليه السلام كان قد اعطي شطر الحسن كما ثبت في الصحيح في حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال «فاذا هو قد اعطي شطر الحسن» وقلن تنزه الله عن صفات العجز وتعالت عظمته في قدرته على خلق مثله، ليس هذا من البشر، ما هو الا ملك من الملائكة، فان هذا الجمال الفائق، والحسن الرائع مما لا يكاد يوجد في البشر، فالناس تصف الملائكة بالجمال فيصفون الجميل من البشر بالملك.

﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى»[2] قال مجاهد والحسن وابن زيد وقال ابن عباس: ذو منظر حسن وقال قتاده: ذو خلق طويل حسن ولا منافاة بين القولين فانه عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة وذلك حين استوى في الافق في صورته الملكية. ولم ير جبريل في صورته الا مرتين اما واحدة فانه سأله ان يراه في صورته فسد الافق واما الثانية فانه كان معه حيث صعد. عند سدرة المنتهى. مرة في الارض ومرة في السماء.

(١) يوسف ٣١.

(٢) النجم ٥،٦.

سرعة المعارج

ونحن نعيش عصر العلم، وعصر السرعة، الطائرات والاقمار الصناعية، والصواريخ. عصر العلم والتكنلوجيا ـ يحدثنا العلماء: ان المسافة بين الارض والشمس تبلغ مائة وخمسين مليون كيلومتر. وهي الوحدة الفلكية، وهي صغيرة جدا بالنسبة لابعاد الكون. وأما وحدة القياس بين النجوم والمجرات. فهي السنة الضوئية.

والسنة الضوئية: هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة كاملة، علما بان الضوء يسير بسرعة ثلاثمائة الف كيلومترا في الثانية الواحدة: الف بليون كيلومترا في السنة الضوئية.

وهي تعادل ٦٣ مرة قدر بعد الارض عن الشمس. ـ ولو علمنا ان مجرتنا وهي درب التبانة تضم نحو مائة وثلاثون بليون نجم مثل شمسنا. ـ ويبلغ قطر هذه المجرة حوالي مائة الف سنة ضوئية، وأقرب المجرات الينا تبعد مسافة اكثر من مليوني سنة ضوئية.

وتتوزع المجرات على شكل عناقيد كبيرة، قد يحتوي العنقود الواحد منها آلاف المجرات. ويقدر عدد المجرات في الفضاء الكوني بحوالي مائة مليون مجره، وقد أثبتت دراسة الضوء الصادر عن المجرات أنها تتحرك مبتعدة بعضها عن بعض بسرعات متزايدة . . . هذا كلام العلماء. صدق الله تعالى اذ يقول ﴿**سنريهم ءايتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[1] وللتقريب للاذهان فيما أريد ان أقول هذا المثال.

لو قيل للنمل ـ وهي أمة من الامم ـ ان الانسان يعيش في هذه الارض يستطيع ان يسير على قدميه مسافة خمسين الى مائة كيلومترا في اليوم ـ مثلا ـ لاستغربت من هذه القدرة وهذه القوة وهي التي تملك الارجل العديدة وتملك الارادة والصبر والمثابرة لا تستطيع ان تصل الى خمس هذه المسافة ولا أقل منها. ثم لو قيل لها: انه استطاع صناعة سيارة تنقله مسافة الف كيلومتر في اليوم لذهلت. ولو قيل لها: انه اخترع الطائرة تنقله مسافة عشرة الاف كيلومتر في اليوم لكذبت وما صدقت ذلك. فما بالك لو قيل لها انه اخترع الصاروخ والاقمار الصناعية ينطلق بها الى الفضاء الخارجي فما يكون ردها. ؟

(١) سورة فصلت ٥٣.

وكـذلك الانسان، فلو قيل له أن هناك مخلوقات تسمى الجن، تذهب تسترق السمع من السماء لاستغرب وما صدق وقال تعالى على لسان الجن **﴿وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا. وأنا كنا نقعد منها مقعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا﴾**[1].

فما بالك لو قيل له ان من الملائكة من تصعد الى السماء وتنزل الى الارض في كل يوم وفي اوقات ثابتة عند صلاة الفجر وعند صلاة العصر قال ﷺ «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[2]. هذا مع العلم بان الارض كروية تدور حول نفسها وتدور حول الارض، فما قابل الشمس كان نهارا ومقابلة ليلا قال تعالى: **﴿والليل اذا يسر﴾**[3] اي ان الليل يسير مع دوران الارض وكذلك النهار يسير مع دوران الارض **﴿لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾**[4] فهناك في كل لحظة ودقيقة عصر وفجر في مكانان جديدان يسيران مع دوران الارض. اذا فهناك سيل من الملائكة نازل وسيل صاعد باستمرار وبدون انقطاع «من الله ذي المعارج»[5] صاحب المصاعد التي تصعد بها الملائكة وتنزل **﴿تعرج الملئكة والروح اليهة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة﴾**[6] تنزل بأمره ووحيه سبحانه وتعالى **﴿يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقـداره الف سنـة مما تعدون﴾**[6] يتنزل امره من اعلى السماوات الى اقصى تخوم الارض السابعة، وترفع الاعمال الى ديوانها فوق سماء الدنيا ومسافة ما بينهما وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة.

وقـال مجاهد وقتادة والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وصعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكن يقطعها في طرفة عين. ذلك عالم الغيب والشهادة المدبر لهذه الامور، الذي هو

(١) سورة الجن ٨، ٩.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٨٠١٩.
(٣) سورة الفجر ٤.
(٤) سورة يس ٤٠.
(٥) المعارج ٣.
(٦) المعارج ٤.
(٧) السجده ٥.

شهيد على اعمال عباده، ﴿**الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما**﴾[1] قال ابن مسعود: «ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهن والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي الا كحلقة ملقاه في فلاة»

وبما أن الله سبحانه وتعالى. هو خالق الملائكة ومقدر كل شيء، فالايمان بقدرة الله لا حدود له. حيث خلق الملائكة باشكال عجيبة واجنحة عديدة يزيد في خلقه ما يشاء يقول سبحانه وتعالى ﴿**علمه شديد القوى**﴾[2]. أي علمه جبريل عليه السلام حيث كان هبوطه الى الانبياء وعروجه الى السماء في أسرع من رجع الطرف. هكذا قال المفسرون.

والله سبحانه وتعالى حينما خلق هذا الكون وضع لكل شيء فيه قانونا ﴿**قد جعل الله لكل شيء قدرا**﴾[3] قد جعل الله لكل أمر من الامور مقدارا معلوما. وجعل الله لكل شيء قانونا، وجعل القوانين تخضع لمن خلقت من أجله، فالانسان له القانون البشري الذي يناسب خلقه من طين. والجان له القانون الذي يناسب خلقه من نار فهو يستطيع ان يخترق الجدران بحكم طبيعته وان يتشكل كيف يشاء والملائكة لها القانون الذي يناسب خلقها من نور وهي تصعد الى السماء وتنزل الى الارض بامر ربها يتشكل كيف تشاء ولها قوانينها. ذلك تقدير العزيز الحكيم سبحانه ﴿**ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾[4] فالتكوين والتدبير من أمر العزيز الرحيم.

(١) سورة الطلاق ١٢.

(٢) سورة النجم ٥.

(٣) سورة الطلاق ٣.

(٤) طه ٥٠.

تشكلهم في صورة البشر

قال ﷺ «عرض علي الانبياء، فاذا موسى ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوءه ورأيت عيسى ابن مريم، فاذا اقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود، ورأيت ابراهيم فاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم (يعني نفسه) ورأيت جبريل، فاذا اقرب من رأيت به شبها (دحيه)»[1] فهذه الصورة يتشكل بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر ويأتي رسول الله ﷺ.

﴿هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين﴾[2] قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة.

«ولما جائت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب». قال المفسرون: لما جاءت الملائكة الى لوط في صورة شبان حسان مرد. فهم مخلوقات من نور تتشكل كيف تشاء في اي صورة حسنة قال تعالى **﴿فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾**[3] تمثل لها جبريل بصوره بشر، وفي الحديث الصحيح «فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم - اي حكما - فقال: قيسوا ما بين الارضين»[4] والشواهد كثيرة في تشكل الملائكة في صورة البشر.

(١) رواه مسلم.
(٢) الذاريات ٢٤.
(٣) مريم ١٧.
(٤) الحديث رواه بخاري في كتاب الانبياء من حديث سعد بن مالك بن سنان ب طوله.

سدرة المنتهى مأوى الملئكة

﴿ولقد رءاه نزلة أخرى(١٣) عند سدرة المنتهى(١٤) عندها جنة المأوى(١٥) اذ يغشى السدرة ما يغشى﴾[1] قال مجاهد رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم قال الامام احمد/ عن عبدالله بن مسعود قال: لما اسرى برسول الله ﷺ انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها والسدرة: هي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها احد من الملائكة ولا غيرهم.

وقيل لها سدرة المنتهى لانتهاء علوم الخلائق اليها وما وراءها لا يعلمه الا الله[3]. وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه ﷺ عرج به بعد الاسراء، والمعراج: هو صعوده من بيت المقدس الى السماوات العلى ثم الى سدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار. وفي الحديث الصحيح «عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار»[4] اي صوت الكتابة.

عندها جنة المأوى تأوي اليها الملائكة وارواح الشهداء والمتقين. «اذ يغشى السدرة ما يغشى» قال ابن زيد قيل يا رسول الله اي شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال «رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائماً يسبح الله عز وجل» وفي حديث الاسراء الطويل منه «ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان، ونهران ظاهران قلت ما هذا يا جبريل؟ قال: اما

(١) النجم ١٣ الى ١٦.
(٢) الجلالين.
(٣) صفوة البيان.
(٤) الجامع الصغير وزيادته رقم ٣٩٩٧.

الباطنان فنهران في الجنة، واما الظاهران فالنيل والفرات»[1] حديث صحيح. وفي الحديث الصحيح ايضا منه «ثم انطلق بي حتى انتهى الى سدرة المنتهى ونبقها مثل قلال هجر، وورقها كآذان الفيلة تكاد الورقة تغطي هذه الامة فغشيها الوان لا أدري ما هي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك»[2].

وفي صحيح مسلم «اذ يغشى السدرة ما يغشى» قال فراش من ذهب قال واعطي رسول الله صلى عليه وسلم ثلاثا: اعطي الصلوات الخمس، واعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من امته المقحمات» انفرد به مسلم.

وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع عن ابي هريرة او غيره - شك ابو جعفر - قال لما اسري برسول الله ﷺ انتهى الى السدرة فقيل له ان هذه السدرة فغشيها نور الخلاق، وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر، قال فكلمه عند ذلك فقال له سل» وفي الحديث ايضا «ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذن الفيلة واذا ثمارها كالقلال، فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت، فما احد من خلق الله تعالى يستطيع ان يصفها من حسنها» من حديث طويل رواه مسلم.

(١) الجامع الصغير وزيادته.
(٢) الجامع الصغير وزيادته ٤١٩٩.

عبادة الملائكة

البيت المعمور/ قبله الملائكة واليه يحجون

قال تعالى ﴿والطور(١) وكتب مسطور(٢) في رق منشور(٣) والبيت المعمور﴾ يقسم تعالى بمخلوقاته العظيمة ـ اقسم تعالى بجبل الطور الذي كلم الله عليه موسى، واقسم بالكتاب الذي انـزله الله على خاتم النبيين وهو القرآن العظيم المكتوب «في رق» اي في اديم من الجلد الرقيق «منشور» اي مبسوط غير مطوي وغير مختوم[١].

«والبيت المعمور» اقسم بالبيت المعمور الذي تطوف به الملائكة الابرار، وهو لاهل السماء كالكعبة المشرفة لاهل الارض، ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال في حديث الاسراء، بعد مجاوزته الى السماء السابعة: «ثم رفع بي الى البيت واذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم» يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف اهل الارض بكعبتهم، كذلك ذلك البيت المعمور هو كعبة اهل السماء السابعة ولهذا وجد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسندا ظهره الى البيت المعمور لانه باني الكعبة الارضية والجزاء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه اهلها ويصلون اليه والذي في السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله اعلم[٢] وعن خالد بن عرعرة ان رجلا قال لعلي ما البيت المعمور قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبدا» وكذا رواه شعبه وسفيان الثوري وغيرهم وعندهما ان ابن الكواء هو السائل عن ذلك، وقال قتادة والربيع بن انس والسدي ذكر لنا رسول الله ﷺ قال يوما لاصحابه «هل تدرون ما البيت المعمور» قالوا الله ورسوله اعلم قال «فانه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم» وقال تعالى ﴿ولكل وجهه هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾[٣] لكل امة من الامم قبله اي وجهه هو موليها فبادروا وسارعوا واستبقوا الخيرات لعلكم تفلحون.

(١) صفوة التفاسير ٣/٢٦٢.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٢٣٩.
(٣) البقرة ١٤٨.

صلاة الملائكة

﴿وما منا الا له مقام معلوم(١٦٤) وانا لنحن الصآفون(١٦٥) وانا لنحن المسبحون﴾[١] وما منا الا له مقام معلوم في العبادة لا نتعداه، ونحن لنا حد لا نتجاوزه ولا نتعداه، فمنهم الراكع لا يقيم صلبه، ومنهم الساجد لا يرفع وجهه والله يحكي عنهم انهم الصافون انفسهم للعبادة فلا يتقدم أحد ولا يتأخر عن صفته ومن هنا كانت تسوية الصفوف في الصلاة من اقامتها. وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها قال «يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف» رواه مسلم في الصلاة. في هذا الحديث استحباب تسوية الصفوف واتمام الصف الاول فالاول وعدم ترك فرج في الصفوف. وقال صلى الله عليه وسلم وأقيموا الصفوف فانما تصفون بصفوف الملائكة، وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بايدي اخوانكم، ولاتذروا فرجات للشيطان، ومن وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله عز وجل»[٢] صحيح.

وفي الحديث «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ يتمون الصلاة بالصفوف الاول ويتواصون في الصف»[٣] صحيح وقال في الحديث الصحيح «اذا قال احدكم في الصلاة، آمين، وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت احداهما الاخرى غفر له ما تقدم من ذنبه»[٤] وقال «اذا قال الامام سمع الله لمن حمده، فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[٥] وقال ايضا «اذا قال الامام «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فقولوا آمين فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[٦] هذه احاديث تدل على ان في موافقة الملائكة اجر وثواب عظيم نسأل الله ان لا يحرمنا منه.

(١) الصافات ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.
(٢) الجامع الصغير وزيادته ١١٨٧.
(٣) الجامع الصغير وزيادته ٢٦٤٨.
(٤) نفس المصدر ٧٠٤.
(٦) نفس المصدر ٧٠٧.

تسبيح الملائكة

قال تعالى ﴿سبح لله ما في السموٰات والارض وهو العزيز الحكيم﴾[1] اي نزه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به جميع العوالم، فتنزيه الملائكة والمؤمنين من الثقلين بلسان المقال وتنزيه باقي الخلق بلسان الحال بمعنى دلالتها على وجوده، فان كل الموجودات دالة بوجودها على الصانع المتصف بكل كمال. المنزه عن كل نقص وهو المراد من قوله تعالى ﴿وان من شيء الا يسبح بحمده﴾[2].

قال الصاوي: والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به قولا وفعلا واعتقادا وهي من سبح في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيها، وتسبيح العقلاء بلسان المقال وتسبيح الجماد بلسان الحال اي ان ذاتها دالة على تنزيه صانعها عن كل نقص[3].

فإن قيل: قد جاء في بعض فواتح السور «سبح لله» بلفظ الماضى وفي بعضها «يسبح الله» بلفظ المضارع فما المراد؟ قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحا لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضى وستكون مسبحة ابدا في المستقبل[4] وصيغة المضارع تفيد التجدد والاستمرار، فالملائكة دائما يذكرون الله، وتسبيحهم دائم لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾[5] كما يسبحه عموم الملائكة ولكثرة تسبيحهم فانهم يقولون «وانا لنحن الصافون، وانا لنحن المسبحون»[6] والتسبيح افضل الذكر عن ابي ذر قال: سئل رسول الله ﷺ: اي الذكر أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده»[7].

(١) اول سورة الحديد.
(٢) الاسراء ٤٤.
(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ٤/١٦٨.
(٤) تفسير الخازن ٤/٢٩.
(٥) الانباياء ٢٠.
(٦) الصافات ١٦٥، ١٦٦.
(٧) رواه مسلم.

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

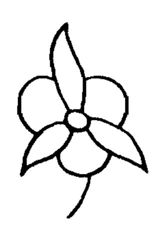
قال تعالى ﴿وإذا قرىء القرءان فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون﴾[1] اذا قرىء القرآن الكريم فاستمعوا له بانصات وادب وخشوع وسكون رجاء ان ترحموا والآية عامة في سماع القرآن في الصلاة وغيرها، أيليق بالمسلم ان يتكلم الله فلا يستمع ويتكلم جاره فيستمع؟ فعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه أن اسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده (الجرن) اذ جالت (وثبت) فرسه، فقرأ، ثم جالت اخرى، فقرأ ثم جالت ايضا قال اسيد: فخشيت ان تطأ يحيى فقمت اليها، فاذا مثل الظلمة فوق راسي فيها مثال السرج عرجت في الجو حتى ما اراها، فقال: فغدوت على رسول الله ﷺ ـ فقلت: يا رسول الله بينما انا البارحة من جوف الليل اقرأ في مربدي اذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا بن حضير» قال: فقرأت ثم جالت ايضا فقال رسول الله ﷺ «اقرأ يا ابن حضير» قال فقرأت ثم جالت ايضا فقال رسول الله ﷺ «اقرأ يا ابن حضير» قال فانصرفت وكان يحيى قريبا منها خشيت ان تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها امثال السرج عرجت في الجو حتى ما اراها، فقال رسول الله ﷺ «تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لاصبحت يراها الناس ما تستتر منهم» رواه البخاري ومسلم، قالوا وكان حسن الصوت. وفي الحديث «لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

(١) الاعراف ٢٠٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٧٧٥٧،

محبة الملائكة للعبد المؤمن

اخرج البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة قال ابو هريرة رضـي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «اذا احب الله العبد، نادى جبريل: ان الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في اهل السماء: ان الله يحب فلانا، فاحبوه، فيحبه اهل السماء، ثم يوضع له القبول في الارض» وقـال ايضا في كتاب الادب بلفظ قريب الا انه قال «ثم يوضع له القبول في اهل الارض» واخرج مسلم في كتاب البر والصلة هامش القسطلاني باب اذا أحب الله عبدا حببه الى عباده عن ابي هريرة «ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: اني احب فلانا فأحبه، قال فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء قال: ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض الله عبدا، دعا جبريل، فيقول: اني ابغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل، ثم ينادي اهل السماء، ان الله يبغض فلانا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الارض» واخرج الترمذي رحمه الله عن ابي هريرة «اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه قال فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في اهل الارض. فذلك قول الله ﴿**ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا**﴾ واذا أبغض الله عبدا نادى جبريل اني قد ابغضت فلانا فينادي في السماء، ثم نزل له البغضاء في الارض» قال النووي: قال العلماء: محبة الله للعبد هي ارادة الخير له. وبغضه ارادته عقابه او شقاوته او نحوه. وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين احدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم له، والثاني: ميل القلب اليه واشتياق لقاءه ومعنى يوضع له القبول في الارض: ان يلقى الحب في قلوب الناس له، ورضاهم عنه، فتميل اليه القلوب اي الحب في قلوب اهل الدين والخير له استطابه به ذكره. كما اجرى ذلك في حق الصالحين من سلف هذه الامة.



صلاة الملائكة على المؤمنين

﴿هو الذي يصلي عليكم وملٰئكته ليخرجكم من الظلمٰت الى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾[1] فالصلاة من الله رحمة ومن الملائكة دعاء واستغفار كقوله تعالى ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين ءامنوا﴾.

العالم والمتعلم :ـ عن ابي امامه «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ان الله عز وجل وملائكته واهل السماوات والارض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير» المشكاة **٢١٣** ورواه الترمذي. وعن صفوان بن عسال «ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما يصنع، حتى يرجع»[2] وعن صفوان بن عسال «ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب»[3] وعن ابي امامه «ان الله وملائكته حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»[4]

في الصلاة: «ان الملائكة تصلي على الذي يأتي المسجد للصلاة فتقول: اللهم صلى عليه، اللهم ارحمه، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه أو يقم، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه» رواه ابو داود والنسائي. المتسحرين: عن ابن عمر رضي الله عنهما «ان الله تعالى وملائكته يصلون على المتسحرين» صحيح ابن حبان ومعجم الطبراني باسناد حسن.

(١) الاحزاب ٤٣.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته قم ٥٧٠٢.
(٣) نفس المصدر ١٩٥٦.
(٤) نفس المصدر ١٨٣٨.

معاونة المؤمنين في عبادتهم

أ ـ عيادة المريض: عن علي «ما من امرىء مسلم يعود مسلما الا ابتعث الله سبعين الف ملك يصلون عليه في اي ساعات النهار كان، حتى يمسي، واي ساعات الليل كان حتى يصبح»[1] وعن علي ايضا «ما من رجل يعود مريضا ممسيا وخرج معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مصبحا خرج معه سبعون ألف ملك، يستغفرون له حتى يمسي»[2] وعن علي « ما من مسلم يعود مسلما غدوة الا صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسي، وان عادة عشية صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة»[3] وعن علي ايضا «من اتى اخاه المسلم عائدا، مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فاذا جلس غمرته الرحمة، فان كان غدوة، صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسي، وان كان مساء، صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح»[4].

ب ـ التأمين على دعاء المؤمن: عن ابي الدرداء «دعاء المرء المسلم مستجاب لاخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به، كلما دعا لاخيه بخير قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك»[5] وعن ام كرز «دعوة الرجل لاخيه بظهر الغيب مستجابة، وملك عند رأسه يقول: آمين ولك بمثل ذلك»[6] وعن ابي الدرداء «اذا دعا الغائب لغائب، قال له الملك: ولك مثل ذلك»[7] وعن انس «ان لله تعالى: ملائكة في الارض تنطق على السنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر»[8] وعن أنس «لو انكم اذا اخرجتم من عندي تكونون على الحال الذي تكونون عليه، لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة»[9].

جـ ـ تشهد جنازة المؤمن: «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له ابواب السماء وشهده سبعون الفا من الملائكة لقد ضُمَّ ضمَّة ثم فرج عنه» رواه النسائي.

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٥٦٨٧.
(٢) نفس المصدر ٥٧١٧.
(٣) نفس المصدر ٥٧٦٧.
(٤) نفس المصدر ٥٩٣٤.
(٥) نفس المصدر ٣٣٨٠.
(٦) نفس المصدر ٣٣٨١.
(٧) نفس المصدر ٥٣٥.
(٨) نفس المصدر ٢١٧٥.
(٩) نفس المصدر ٥٢٥٢.

علم الملائكة

علم الملائكة: «قالوا سبحنك لا علم لنا الا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم» البقرة٣٢
قال الدكتور حجازي في التفسير الواضح: فالله قد علم آدم اسماء الاشياء المادية التي بها تعمر الدنيا وتصلح الى الابد، ثم عرض هذه الاشياء على الملائكة، وقال لهم: اخبروني اسماء هؤلاء ان كنتم صادقين في دعوى انكم احق بالخلافة من غيركم، فوقفوا عاجزين، قالوا يا رب لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم بكل شيء الحكيم في كل صنع.

فقال المولى جل جلاله يا آدم اخبرهم بأسمائهم فلما اخبرهم بالاسماء ادركوا السر في خلافة آدم وبنيه، وأنهم لا يصلحون لعدم استعدادهم للاشتغال بالماديات، الدنيا لا تقوم الا بها. اذ هم خلقوا من النور وآدم خلق من الطين. فالمادة جزء منه. (التفسير الواضح)

فعلم الملائكة علم خاص غير علم الانسان «لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون» فآدم خلق فيه دواعي الخير والشر، فبالخير والشر تصلح الدنيا وتعمر. وعلم الملائكة علم تلقي علم يختلف عن علم الانسان، يفعلون ما يؤمرون، منظمون في عبادتهم وفي حركاتهم، وفي تلقي اوامرهم، لا تحاسد، ولا تباغض، ولا مشاحنة، لا يتأتى منهم الا الخير يخشون الله عز وجل ويخافونه، ويعظمونه ويقدسونه، ويبلغون رسالاته واوامره.

ولهم مكانة عند الله عالية. فهم عباد الله اختارهم واصطفاهم، لهم عقول وفهم وادراك يحبون من احبه الله، ويكرهون من كرهه الله، يستحون من العبد الحيي، فيهم كل الصفات الحسنة ولا يتأتى منهم الا الخير.



الملائكة تلعن العصاة

تلعن المرأة التي لاتستجيب لزوجها: «اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تاته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح» متفق عليه عن ابي هريرة رضـي الله عنه، وفي رواية «اذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح» الى فراشه كناية عن الجماع، وهو ادب من اداب الاسلام الرائعة.

وتلعن من سب اصحاب رسول الله ﷺ: وروى الطبراني عن ابن عباس «من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين».

وكذلك تلعن من اشار الى اخيه بحديده «من اشار الى اخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه وان كان اخاه لابيه» رواه مسلم.

وكذلك تلعن من انتسب الى غير ابيه: «من انتسب الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين» صحيح الجامع الصغير وزيادنه رقم ٦١٠٤.

«ان الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ولا المضمخ بالزعفران ولا الجنب» صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٩٦٠، واعظم ما يؤذي الملائكة: الذنوب والمعاصي والكلام البذيء وعدم الاستحياء من الله. فاعظم هدية واعظم اكرام لهم واكثر ما يرضيهم ان يحسن المؤمن مراقبة الله عز وجل، وان يخلص دينه لله وان يكون دائما طاهر النفس، طاهر البدن، طاهر القلب، طاهر النية، ذو رائحـة عطرة. والملائكة تلعن من يلعنه الله، وتحب من يحبه الله عز وجل. ويلعنون الكافرين ﴿ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين﴾ سورة البقرة ١٦١.

لا يوصفون بذكوره ولا بانوثه

قال تعالى ﴿**وجعلوا الملٰئكة الذين هم عبٰد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهٰدتهم ويسئلون**﴾[1] اعتقد كفار العرب ان الملائكة الذين هم اكمل العباد واكرمهم على الله اناثا وحكموا عليهم بذلك، فهل حضروا وقت خلقهم حتى عرفوا انهم اناث، سنأمر الملائكة بكتابة شهادتهم الكاذبة في ديوان اعمالهم وسنسألهم عنها يوم القيامة. قال المفسرون: انهم حكموا على الملائكة المكرمين بالانوثة بلا دليل ولا برهان فكذبهم القرآن الكريم في تلك الاقوال، وانهم نسبوا لله الولد، وانهم نسبوا اليه البنات دون البنين. ثلاثة اقوال شنيعة وقال تعالى ﴿**فاستفتهم ألربك البنٰات ولهم البنون(١٤٩) ام خلقنا الملٰئكة انثا وهم شهٰدون(١٥٠) الا انهم من أفكهم ليقولون(١٥١) ولد الله وانهم لكٰذبون**﴾[2] اذا لا دليل عقلي ولا نقلي على ذلك فلم يبق الا المشاهدة وهم لم يشاهدوا خلقهم. فان من اعظم الذنوب القول على الله بغير علم.

(١) الزخرف ١٩.

(٢) الصافات ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢.

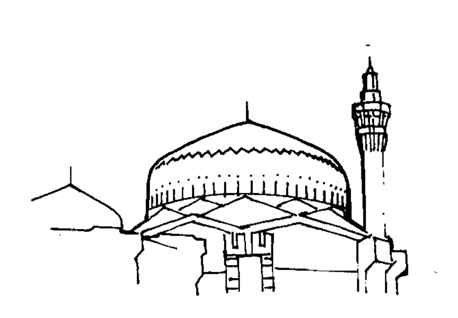
رؤساؤهم

الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية وهم في غاية الطاعة **﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**[1] لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما امرهم به. هم ادارة محكمة التنظيم والترتيب، ونعلم من رؤسائهم الموكلون في الحياة فقط. ثلاثة - جبريل وميكائيل واسرافيل. فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والارواح.
وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الارض والنبات والحيوان. واسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

وكثيرا ما جمع بينهم ﷺ في احاديثه قال ﷺ «اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد ﷺ نعوذ بك من النار»[2] صحيح وقال في دعائه ايضا «اللهم رب جبريل وميكائيل ورب اسرافيل اعوذ بك من حر النار ومن عذاب القبر»[3] فجمع بين رؤساء الاملاك الثلاثة.

فهم رسل الله في خلقه وامره وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الامر من عنده في اقطار العالم، ويصعدون اليه بالامر، وهناك ملائكة ورؤساء مثل رضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار، وملك الموت وكثير غيرهم ولكن هؤلاء الثلاثة هم موكلون في الحياة الدنيا حتى قيام الساعة في الحياة اما الآخرون فسيأتي ذكرهم انشاء الله.

(١) الآية ٢٧ الانبياء.
(٢) الجامع الصغير وزيادته ١٣٠٤.
(٣) الجامع الصغير وزيادته ١٣٠٥.



وظـائفهـــــم



مراتب الملائكة ووظائفهم

﴿وما منا الا له مقام معلوم﴾[1] اي وما منا ملك الا وله مرتبة ومنزلة ووظيفة لا يتعداها ولا يتخطاها وهو على امر به لا يقصر عنه ولا يتعداه.

وطريقة تلقي الاوامر: مثال ذلك ﴿**انا انزلنٰه في ليلة القدر**﴾ قال المفسرون: سميت ليلة القدر لعظمها وقدرها وشرفها، والمراد بانزال القرآن: انزاله من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عليه السلام الى الارض في فترة ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ[2] وقال تعالى ﴿**انا انزلنٰه في ليلة مباركة انا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾[3] اي انزلت القرآن في ليلة فاضلة كريمة هي ليلة القدر من شهر رمضان. قال ابن الجزري: وكيفية انزاله فيها انه انزل الى السماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا بعد شيء[4].

قال المفسرون: ان الله تعالى ينسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ما يكون في تلك السنة حتى ان الرجل ليمشي في الاسواق وينكح ويولد له وقد وقع اسمه في الموتى[5].

وروي عن ابن عمر ومجاهد وابي مالك وغيرهم: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ الى الكتبة امر السنة وما يكون فيها من الآجال والارزاق وما يكون فيها الى آخرها. وقاله الضحاك وغير واحد من السلف[6].

فاعلاهم منزله الذين عنده ﴿**لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾[7] لا يتعبون ولا يملون دائبون في العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قصداً وعملا قادرون عليه.

(١) الصافات ١٦٤.
(٢) مختصر ابن كثير ٣/٦٥٩.
(٣) الدخان ٣، ٤.
(٤) التسهيل في علوم التنزيل.
(٥) حاشية زاده على البيضاوي ٣/٣١٠.
(٦) ابن كثير ٤/١٣٩.
(٧) الانبياء ١٩، ٢٠.

جبريل عليه السلام

سيد الملائكة وأرفع عباد الله في الملأ الا على سماه الله تعالى في القرآن الكريم اسماء تدل على علو منزلته وكرمه الله تعالى تكريما وخصه بالذكر تشريفا وتعظيما. ومن اسماءه في القرآن وصفاته :

جبريل : قال تعالى **﴿قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين(٩٧) من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكفرين﴾**[١] اي من كان عدوا لجبريل فانه عدو لله لان الله جعله واسطة بينه وبين رسله، فمن عاداه فقد عادى الله، لأن جبريل الامين نزل هذا القرآن على قلبك يا محمد بأمر الله تعالى مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية، فيه الهداية الكاملة والبشارة السارة للمؤمنين بجنات النعيم، ومن عادى الله وملائكته ورسله وعلى الاخص جبريل وميكائيل فهو كافر عدو لله، لان الله يبغض من عادى احدا من اوليائه، ومن عاداهم عاداه الله.

وقال تعالى: **﴿ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظهرا عليه فإن الله هو مولٰه وجبريل وصٰلح المؤمنين والملٰئكة بعد ذلك ظهير﴾**[٢] والخطاب لحفصة وعائشة امهات المؤمنين بمعنى وان تتعاونا على النبي ﷺ بما يسوءه من الوقيعة بينه وبين نسائه، فان الله تعالى هو وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منكما وجبريل كذلك وليه وناصره.

قال ابن عباس: «اراد بصالح المؤمنين أبابكر وعمر فقد كانا عونا له». والملائكة الابرار بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين اعوان لرسول الله ﷺ على من عاداه. وهنا افرد جبريل بالذكر تعظيما له واظهارا لمكانته عند الله تعالى، فيكون قد ذكر مرتين مرة بالافراد ومرة في العموم، ووسط صالح المؤمنين بين جبريل والملائكة تشريفا لهم.

(١) البقرة ٩٧، ٩٨.

(٢) التحريم ٤.

الصفة الثانية: روح القدس: قال تعالى ﴿**وءاتينا عيسى ابن مريم البينٰت وأيدنٰه بروح القدس**﴾[1] اي قويناه وشددنا أزره بجبريل عليه السلام مبلغ الرسالات والوحي. وقال تعالى ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجٰت وءاتينا عيسى ابن مريم البينٰت وأيدنٰه بروح القدس**﴾[2] الروح القدس هو جبريل عليه السلام، ووصف بالقدس لطهارته عن مخالفة ربه في شيء وسمي روح: لمشابهته الروح الحقيقي في ان كلا منها مادة الحياة للبشر. فجبريل من حيث ما يحمل من الرسالة الالهية تحيا به القلوب والروح تحيا بها الاجساد.

وقال تعالى ﴿**قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين**﴾[3] انما نزله جبريل الامين من عند احكم الحاكمين بالصدق والعدل.

الصفة الثالثة الروح: قال تعالى: ﴿**ينزل الملٰئكة بالروح من امره على من يشاء من عباده أن أنذروا انه لا الٰه الا أنا فاتقون**﴾[4] اي ينزل الملائكة بالوحي والنبوة بارادته وأمره على الانبياء والمرسلين ـ وسمى الوحي روحا ـ لانه تحيا به القلوب كما تحيا بالارواح الابدان.

الصفة الرابعة: الروح الامين:

وقال تعالى: ﴿**وانه لتنزيل رب العالمين(١٩٢) نزل به الروح الامين**[5] اي وان هذا القرآن المعجز لتنزيل رب العالمين، نزل به امين السماء روح القدس الامين على الوحي جبريل عليه السلام شهادة من الله سبحانه وتعالى لجبريل عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿**يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق**[6] اي ينزل جبريل عليه السلام من اجل تبليغ امرة تعالى ـ قال القرطبي: سماه روحا لان الناس يحيون به من موت الكفر كما تحيي الابدان بالارواح[7].

(١) البقرة ٨٧.
(٢) البقرة ٢٥٣.
(٣) النحل ١٠٢.
(٤) النحل ٢.
(٥) الشعراء ١٩٢، ١٩٣.
(٦) غافر ١٥.
(٧) تفسير القرطبي ١٥/٢٩٩.

وقال تعالى ﴿**تعرج الملٰئكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة**﴾[1] والروح هو جبريل عليه السلام ـ واليه ـ اي الى مهبط امره من السماء. وقال تعالى ﴿**يوم يقوم الروح والملٰئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمٰن وقال صوبا**﴾[2] في ذلك اليوم يقوم جبريل عليه السلام بين يدي الجبار ترتعد فرائصه فرقا ـ يقف جبريل والملائكة مصطفين خاشعين لا يتكلم احد منهم الا من اذن له الرحمان بالكلام والشفاعة وينطق بالصواب.

وقال تعالى ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر(٤) سلام هي حتى مطلع الفجر**﴾[3].

الاسم الخامس روحنا: قال تعالى ﴿**فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا**﴾[4] اي ارسلنا اليها جبريل عليه السلام. فتصور وتمثل لها في صورة البشر التام الخلقة واضافه الى نفسه تشريفا لانها كانت مهمة خاصة تتعلق بنفخ الروح الحقيقية ﴿**ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**﴾[5] فنفخ رسولنا جبريل في فتحة جيبها فوصل أثر ذلك الى فرجها فحملت بعيسى عليه السلام وهذه مهمة خاصة من أمر الله عز وجل تختلف عن وظيفته في احياء القلوب بالوحي التي تشبه الروح الحقيقية، ولذلك اضافه الى نفسه لعظم شأن هذه المهمة.

الصفة السادسة: الرسول: ﴿**قال فما خطبك يسٰمري(٩٥) قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي**﴾[3] روي ان السامري رأى جبريل عليه السلام راكبا فرسا حين جاء الى موسى ليذهب الى الميقات، ولم يره احد غيره من قوم موسى. ورأى الفرس كلما وضعت حافرها على شيء اخضر، فعلم ان للتراب الذي تضع عليه الفرس حافرها شأنا فأخذ منه حفنة والقاها في الحلي المذاب.

وخص بالرؤية ابتلاء ليقضي الله امرا كان مفعولا، وعلم بان له شأن، يجوز ان يكون لما شاهده من اخضرار الارض، وان يكون باخبار موسى عليه السلام فيما مضى[7].

(١) المعارج ٤.
(٢) عم ٣٨.
(٣) سورة القدر ٤ ـ ٥.
(٤) مريم ١٧.
(٥) التحريم ١٢.
(٦) طه ٩٥، ٩٦.
(٧) صفوةالبيان ٤٠٦، ٤٠٧.

وقال تعالى ﴿**انه لقول رسول كريم**﴾[1] قال المفسرون: اراد بالرسول جبريل واضاف القرآن اليه لانه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى اي كلام الله المنزل بواسطة ملك عزيز على الله هو جبريل عليه السلام

وقال تعالى ﴿**الحمد لله فاطر السموٰت والارض جاعل الملٰئكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير**﴾[2] اي ان بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة وبعضهم له اربعة يزيد في خلق الملائكة ما يشاء وكيف يشاء من ضخامة الاجسام وتفاوت الاشكال وتعدد الاجنحة، وقد«رأى رسول الله ﷺ جبريل ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب» الحديث اخرجه مسلم عن ابن مسعود. وقال الزمخشري: راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته له ستمائة جناح.

الصفة السابعة شديد القوى: قال تعالى ﴿**علمه شديد القوى**﴾[3] اي علم النبي ﷺ الوحي والقرآن جبريل عليه السلام ووصفه بانه شديد القوى، وقد بلغ من شدة قوته ان اقتلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها، وصاح بثمود صيحة اهلكتهم ﴿**ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خمدون**﴾[4] اي ما كانت عقوبتهم الا صيحة واحدة صاح بهم جبريل فاذا هم ميتون لا حراك بهم وقال تعالى ﴿**فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها**﴾[5] اي ولما جاء وقت عذابهم أمر الله جبريل فاقتلع مدائن قوم لوط ـ وهي خمس ـ من تخوم الارض حتى ادناها من السماء بما فيها حتى سمع اهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم ارسلها مقلوبة واتبعهم الله بالحجارة[6].

قال المفسرون: وقد صار موضع تلك المدن بحرا اجاجا يعرف بـ «البحر الميت» واشتهر باسم بحيرة لوط وكان هبوطه على الانبياء اسرع من رجع الطرف.

الصفة الثامنة: ذو مرة: قال تعالى ﴿**علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى(٦) وهو بالافق الاعلى(٧) ثم دنى فتدلى(٨) فكان قاب قوسين او أدنى(٩) فاوحى الى عبده ما أوحى**﴾[7].

(١) التكوير ١٩.
(٢) فاطر ١.
(٣) النجم ٥.
(٤) يس ٢٩.
(٥) الحجر ٧٤.
(٦) صفوة التفاسير ٢/٢٨.
(٧) النجم ٥ ـ ١٠.

ذو مرة: اي ذو حصانة واستحكام في عقله ورأيه وهو كناية عن ظهور آثاره البديعة وأفعاله العجيبة، او ذو منظر حسن. وقال الخازن: كان جبريل يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله ﷺ ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها، فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء.

فأما التي في الارض فبالافق الاعلى، اي جانب المشرق، حيث كان رسول الله ﷺ بحراء فطلع عليه جبريل من ناحية المشرق، وفتح جناحيه، فسد ما بين المشرق والمغرب، فخر رسول الله ﷺ مغشيا عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين، ضمه الى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله «ثم دنا فتدلى». وأما التي في السماء، فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبياء على صورته الملكية التي خلق عليها إلا نبينا محمد ﷺ[1]. فاوحى جبريل إلى عبدالله ورسوله محمد ﷺ ما أوحى اليه من أوامر الله عز وجل.

وقال ابن مسعود: «رأى رسول الله ﷺ جبريل على صورته وله ستمائه جناح كل جناح منهما قد سد الافق يسقط من جناحيه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم»[2].

وقال ابن حبان: والصحيح ان جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل بدليل قوله تعالى ﴿**ولقد رأه نزلة أخرى**﴾ فانه يقتضي مرة متقدمة[3]

«ولقد رأه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى»[4]. اي رأى الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الملكية مرة اخرى عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش.

الصفة التاسعة: عند ذي العرش مكين: قال تعالى ﴿**انه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم امين**﴾[5].

العاشرة: كريم: كما في الآية «**انه لقول رسول كريم**»

(١) تفسير الخازن ٤/٢١٣.
(٢) اخرجه الامام احمد.
(٣) البحر المحيط ٨/١٥٨.
(٤) النجم ١٣، ١٤.
(٥) التكوير ١٩ ـ ٢١.

الحادي عشرة: مطاع. الثاني عشرة: أمين «**مطاع ثم امين**».
الثالثة عشر: الناموس كما في قول ورقة بن نوفل «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى».
ـ فهو شديد القوة وصاحب مكانة رفيعة ومنزلة سامية عند الله جل وعلا مطاع هناك في الملأ الاعلى
ـ تطيعه الملائكة الابرار، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الانبيا[١].

ولم تقتصر مهمة جبريل على تبليغ الوحي من الله تعالى فقد كان يدارس الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن ويعلمه الاحكام والشرائع فعلمه الوضوء والصلاة «أتاني جبريل في اول ما اوحى الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه[٢] وكذلك كان يرقيه «اتـاني جبريل فقال يا محمد اشتكيت؟ قلت: نعم قال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل ذي نفس وعين حاسد بسم الله ارقيك، والله يشفيك» وحارب مع الرسول في بدر «هـذا جبريل آخذ براس فرسه عليه اداة الحرب»[٣] وصحب الرسول في الاسراء وكان مع الرسل السابقين مع عيسى عليه السلام، وأيدناه بروح القدس، وموسى عليه السلام «قال لي جبريل لو رأيتني وانا آخذ من حمأ البحر فادسه في في فرعون مخافة ان تدركه الرحمة[٤] «أتاني جبريل فقال لي: ان الله يأمرك ان تأمر اصحابك ان يرفعوا اصواتهم بالتلبية فانها من شعائر الحج[٥] «أتاني جبريل فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد اتتك معها اناء إدام او طعام أو شراب، فاذا هي قد اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيها ولا نصب»[٦] «أتاني جبريل فاخبرني ان امتي ستقتل ابني هذا يعني الحسن والحسين وأتاني بتربه من تربته حمراء»[٧].

«أتاني جبريل بالحمى والطاعون، فامسكت الحمى في المدينة، وارسلت الطاعون الى الشام، فالطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين[٨] «أتاني جبريل فقال: يا محمد من ادرك احد والديه فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت: آمين قال يا محمد من ادرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فادخل النار فابعده الله قل آمين. فقلت آمين قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين»[٩].

(١) صفوة التفاسير ٣/٥٢٥.
(٢) رواه احمد في مسنده.
(٣) صحيح الجامع وزيادته ٦٩٩١.
(٤) نفس المصدر ٤٣٥٣.
(٥) نفس المصدر ٦٧.
(٦) صحيح الجامع وزيادته ٦٩.
(٧) نفس المصدر ٦١.
(٨) نفس المصدر
(٩) نفس المصدر ٧٥.

بدء الوحي الى الرسول ﷺ

﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم﴾[1].

قال في التسهيل: بين تعالى في الآية ان كلامه لعباده على ثلاثة اوجه. احدهما الوحي بطريق الالهام أو المنام. والآخر انه يسمعه كلامه من وراء حجاب، والثالث الوحي بواسطة الملك وهذا خاص بالانبياء، والثاني خاص بموسى ومحمد اذ كلمه ليلة الاسراء. واما الاول فيكون للانبياء والاولياء[2].

واما الثالث ـ بارسال ملك ترى صورته المعينة ويسمع كلامه كجبريل عليه السلام، فيوحي للنبي ما أمر الله أن يوحي اليه[3]. والوحي الى النبي ﷺ كما ذكر في البخاري عن عائشة ام المؤمنين انها قالت: اول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزل الى اهله ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارىء، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال: اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني، فقال: أقرأ فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم». فرجع بها رسول الله ﷺ ـ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة واخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله ابدا، انك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد

(١) الشورى ٥١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل.

(٣) صفوة البيان ٦١٩.

العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب. وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك. فقال له ورقة: يا ابن اخي ماذا ترى؟ فاخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى. يا ليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي، وان يدركني يومك أنصرك نصرا موزرا.

ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي»[1] وعن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ان الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله ﷺ أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا[2]. وعن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان اجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[3].

(١) رواه البخاري بدء الوحي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري بدء الوحي.

ميكائيل/ وملائكة الرحمة

قال تعالى: ﴿من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكفرين﴾[1] اي من عادى الله وملائكته ورسله وعادى على وجه الاخص جبريل وميكائيل فهو كافر عدو لله. لان الله يبغض من عادى احدا من أوليائه، ومن عاداهم فقد عاداه الله.

وذلك ان اليهود قالوا للنبي ﷺ انه ليس نبي من الانبياء الا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك؟ قال جبريل، قالوا ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال، ذلك عدونا! لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالقطر وبالرحمة تابعناك، فأنزل الله «من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله»

ورؤساء الاملاك كما قلنا ثلاثة هم جبريل وميكائيل واسرافيل ـ الموكلون بالحياة ـ فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والارواح ـ وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الارض والنبات والحيوان ـ واسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم[2].

لتثبيت المؤمنين: وفي قوله تعالى ﴿اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين﴾[3] قال المفسرون: ورد ان جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها في يمين الجيش، ونزل ميكائيل بخمسمائه وقاتل بها عن يسار الجيش، ولم يثبت ان الملائكة قاتلت في وقعة الا في بدر، واما في غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين، ولا تقاتل[4].

وفي الحديث «جاء جبريل الى النبي ﷺ فقال ما تعدون اهل بدر فيكم؟ قال من افضل المسلمين او كلمة نحوها، قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة»[5] ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾[6] كان يكفيهم ملك واحد، ولكن حكمة الله ان شرع الجهاد

(١) بقرة ٩٨.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢٣٦.
(٣) الانفال ٩.
(٤) حاشية الصكاوي على الجلالين ٢/١٨.
(٥) انفرد باخراجه البخاري (٦) سورة محمد ﷺ ٤.

لقتال الكفار بايدي المؤمنين وقد كان تعالى انما يعاقب الامم السابقة المكذبة بالقوارع، ولو شاء الله لاهلكهم، ويكفيهم ملك ولكن «قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»[1].

لتأييد الرسل: وتعاون رؤساء الاملاك:

وفي قوله تعالى ﴿**ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلمٰا قال سلام**﴾[2]. قال القرطبي: لما انزل الله الملائكة لعذاب قوم لوط، مروا بابراهيم، فظنهم أضيافا وهم جبريل وميكائيل واسرافيل.

وعن جابر عن رسول الله ﷺ «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه: اضرب له مثلا، فقال: اسمع سمعت اذنك، واعقل عقل قلبك، انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا، ثم بنى فيها بيتا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه، فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله هو الملك، والدار الاسلام، والبيت الجنة، وانت يا محمد رسول، من اجابك دخل الاسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة اكل ما فيها»[3].

هذا الحديث يدل على تعاون رؤساء الاملاك كما دل غيره على تعاونهم في نصرة الرسل وغيره على نصره المؤمنين وتعاونهم يدل على انهم يألفون بعضهم ولا تشاحن بينهم ولا شهوات ولا مراكز وانهم ادارة منضبطة فيها التعاون والتآزر لا بد ان يأخذ منها البشر العبرة، فهم القدوة، كيف لا وهم يأتمرون بأمر الله عز وجل.

(١) التوبة ١٤.
(٢) هود ٦٩ والحجر ٥١.
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٢٤٦٥.

ومن أتباعه: المكلفون بشئون الخلق الارزاق والامطار:

يقول تعالى ﴿**والذٰريٰت ذروا(١) فالحٰملت وقراً(٢) فالجٰريٰت يسرا(٣) فالمقسمٰت امراً**﴾ يقسم تعالى بالملائكة الاطهار المكلفين بتدبير شئون الخلق، وتقسيم الامطار والارزاق بين العباد، ومعنى جمع التأنيث في قوله تعالى ﴿**فالمقسمٰت امرا**﴾ وغيرها من الآيات الطوائف والجماعات. فاقسم بهذه الطائفة من الملائكة او الجماعة او الفرقة ورئيسها هو ميكائيل. على ان البعث حق. وكان النبي ﷺ يقول في الدعاء «اللهم رب جبريل وميكائيل ورب اسرافيل اعوذ بك من حر النار ومن عذاب القبر»[١] وكان يقول ايضا «اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد نعوذ بك من النار»[٢] وقال تعالى ﴿**فالزاجرات زجرا**﴾[٣]. جماعة الملائكة التي تزجر السحاب يسوقونه الى حيث شاء الله.

من الزجر بمعنى السوق والحث. ﴿**فالمقسمٰت امرا**﴾ قال في الجلالين: الملائكة تقسم الارزاق والامطار بين العباد[٤]. وقال في حاشيه الجمل: اقسم بالملائكة التي تقسم الارزاق والامطار بين العباد وكل ملك مخصص بأمر[٥] وقال في صفوة البيان: الملائكة المقسمات الامور المقدرة بين الخلق على ما أمرت به.

ولمسلم من حديث ابي هريرة «بينما رجل بفلاة من الارض فسمع في سحابة يقول: اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه في حره، فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء، فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ قال: اني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: اما اذا قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه. وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثا حديث صحيح[٦].

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٣٠٥.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٣٠٤.
(٣) الصافات ٢.
(٤) تفسير الجلالين ٦٩٢.
(٥) حاشية الجمل ٤/٢٠١.
(٦) مختصر مسلم ٥٣٤ والصحيحه ١١٩٧.

ومن اتباعه الملائكة المكلفون بالرياح

وفي قوله تعالى ﴿وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية﴾[1].

عاتية: متجاوزة الحد في شدتها فلم يقدروا عليها مع شدتهم وقوتهم، وقال علي: عاتية: اي متجاوزة الحد في الهبوب والبرودة كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها هذا قول على وهو مروي عن الكلبي وابن عباس. وقال ابن عباس: ما ارسل الله من ريح قط الا بمكيال ولا أنزل قطرة قط الا بمكيال الا يوم نوح وعاد فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ «انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية» وان الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ «بريح صرصر عاتية»[2].

وكذلك في قوله تعالى ﴿والمرسلات عرفا(١) فالعصٰفت عصفا(٢) والنشٰرات نشرا﴾ ابتدأ السورة الكريمة بالقسم بانواع الملائكة المكلفين بتدبير شئون الكون على ان القيامة حق. فاقسم بالرياح حين تهب متتابعة والرياح الشديدة الهبوب واقسم بالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله لتنشر رحمة الله ـ المطر ـ فتحيي به البلاد والعباد.

وقوله ﴿فالمدبرات امرا﴾ الملائكة تدبر شئون الكون بامره تعالى في الرياح والامطار والارزاق والاعمار واما قوله تعالى في سورة الفتح ﴿ولله جنود السمٰوات والارض وكان الله عليما حكيما﴾ آية ٢ وفي نفس السورة ﴿ولله جنود السمٰوات والارض وكان الله عزيزا حكيما﴾ آية ٧. قال الرازي: كرر اللفظ لان جنود الله قد يكون انزلهم للرحمة، وقد يكون انزلهم للعذاب، فذكرهم اولا لبيان الرحمة بالمؤمنين وثانيا لبيان انزال العذاب على الكافرين[3].

وقال الصاوي: ذكر هذه الآية أولا في معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله ﴿عليما حكيما﴾ وذكرها ثانية في معرض الانتقام فذيلها بقوله ﴿عزيزا حكيما﴾ وهو في منتهى الحسن والترتيب لان الله ينزل جنود الرحمة لنصرة المؤمنين وينزل جنود العذاب لاهلاك الكافرين.

(١) الحاقه ٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/٣٢ وقدرفعه القرطبي والصحيح انه موقوف على ابن عباس.

(٣) التفسير الكبير ٢٨/٨٤.

وفي باب النهي عن سب الريح وبيان ما يقال عند هبوبها في رياض الصالحين. عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «الريح من روح الله، تاتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها»[1] من روح الله اي رحمة بعباده. وفي قوله تعالى ﴿**هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال(١٢) ويسبح الرعد بحمده والملٰئكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجٰدلون في الله وهو شديد المحال**﴾[2] **فان البرق غالبا ما يعقبه صواعق مدمرة وقد يكون وراءه المطر المدرار الذي به حياة البلاد والعباد وبقدرته كذلك يخلق السحب الكثيفة المحملة بالماء الكثير، فالماء جعله الله سببا للحياة وانزله بقدرته من السحاب. والسحاب جمع الله فيه بين الرحمة والعذاب، فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق وفي الماء الاحياء وفيه الصواعق والافناء، وجمع النقيضين من العجائب، هذا السحاب به ماء وبه نار فما اجل واعظم قدرة الله.**

(١) رواه ابوداود باسناد حسن.

(٢) الرعد ١٢ ـ ١٣.

اسرافيل

قال تعالى ﴿**ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين**﴾[1] اي يوم ينفخ اسرافيل في الصور ﴿**نفخة الفزع**﴾ فلا يبقى احد من اهل السماوات والارض الا فزع وخاف. قال المفسرون: هذه نفخة الفزع ثم تتلوها نفخة الصعق ـ وهو الموت. ثم بعد ذلك نفخة النشور من القبور وهي نفخة القيام لرب العالمين.

قال ابو هريرة رضـي الله عنه «ان الملك له في الصور ثلاث نفخات، نفخة الفزع وهو فزع الحياة الدنيا وليس بالفزع الاكبر، ونفخة الصعق، ونفخة القيام من القبور»(٢).

﴿**ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون(٤٩) فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون(٥٠) ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون(٥١) قالوا يوٰيلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون(٥٢) ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون(٥٣)**﴾[3].

قال ابن كثير: وهذه والله اعلم نفخة الفزع ينفخ اسرافيل في الصور والناس في اسواقهم ومعـايشهم يختصمـون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك اذ أمر الله اسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى احد على وجه الارض الا حنى عنقه يتسمع الصوت من قبل السماء[4].

وهذا اختيار الطبري ايضا وان المراد بها نفخة الفزع . ثم تكون هناك النفخة الثانية وهي نفخة الصعق يموت بها الاحياء كلهم ما عدى الحي القيوم، ثم تكون النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور التي يخرج الناس بها من القبور. وقال القرطبي هي نفخة الصعق التي يموت بها جميع الاحياء، فذلك قوله تعالى ﴿**فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون**﴾ فلا يستطيع بعضهم ان يوصي بعضا بأمر من الامور. ولا يستطيعون ان يرجعوا الى منازلهم لان الامر اسرع من ذلك،

(١) النمل ٨٧.
(٢) البحر المحيط ٥١.
(٣) يس من ٤٩ ـ ٥٣.
(٤) مختصر ابن كثير ٣/١٦٥.

وفي الحديث «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعان ولا يطويانه، ولتقومن اساعة وهو يليط حوضه اي يصلحه بالطين فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها»[1].

ونفخة البعث والنشور التي يخرج الناس بها من القبور هي التي أشارت اليها الآية الكريمة **﴿ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون اي يخرجون من قبورهم﴾**.

قال الطبري: ينسلون: يخرجون سراعا، والنسلان الاسراع في المشي[2]. ما كان امر بعثهم الا صيحة واحدة يصيح بها اسرافيل فاذا هم جميع عندنا محضرون.

قال الصاوي: وهذه الصيحة هي قول اسرافيل ايتها العظام النخرة والاوصال المتقطعة، والاجزاء المتفرقة والشعور المتمزقة، ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء، ثم ينفخ في الصور فاذا هم مجموعون في موقف الحساب[3].

﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون﴾[4]. وهو قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام بامر من الله والمراد النفخة هنا نفخة الصعق التي تكون بعد نفخة الفزع. وفي الحديث قال ﷺ «كيف انعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر ان يؤذن له قالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا[5]..

قال ابن كثير: وهي النفخة الثانية التي يموت بها الاحياء من اهل السماوات والارض[6]،اي فخر ميتا كل من في السماوات والارض، جميع الخلائق الا من شاء الله بقاؤه كحملة العرش والولدان والحور، ثم نفخ فيه نفخة اخرى، نفخة البعث، نفخة الاحياء، فاذا جميع الخلائق يقومون من القبور ينظرون ماذا يؤمرون. **﴿ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد﴾**[7] نفخة البعث،

(١) اخرجه البخاري.
(٢) الطبري ٢٣/١١.
(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ٤/٣٢٨.
(٤) الزمر ٦٨.
(٥) رواه احمد والترمذي من حديث عطيه العوفي عن ابي سعيد الخدري.
(٦) مختصر ابن كثير ٣/٢٢٩.
(٧) سورة ق ٢٠.

ذلك اليوم الذي وعد الله الكفار به العذاب ﴿**فاذا نقر في الناقور**﴾[1] عبر عن النفخ وعن الصور بالنقر في الناقور لبيان هول الامر وشدته فان النقر في كلام العرب يعني الصوت، واذا اشتد الصوت اصبح مفزعاً[2] وقال تعالى ﴿**يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة**﴾[3] اي يوم ينفخ في الصور النفخة الاولى التي يرتجف ويتزلزل لها كل شيء تتبعها النفخة الثانية، وهي نفخة القيام من القبور. قال ابن عباس: الراجفة والرادفة هي النفختان الاولى والثانية.

وفي الجلالين: وبينهما اربعون سنة، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، «ويبلى كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه، فيه يُركَّبُ الخلق، ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل»[4] متفق عليه، النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث، وقد جاء مصرحا بها انها أربعون سنة، وعجب الذنب العظم اللطيف الذي في اسفل الصلب وهو رأس العصعوص، وهو الذي يبقى ليعاد تركيب الانسان منه وقال تعالى ﴿**فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون(١٩) قالوا يويلنا هذا يوم الدين(٢٠) هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون**﴾[5]. الزجرة: هي الصيحة وهي النفخة الثانية وسميت زجرة لان مقصودها الزجر، كزجر الابل والخيل عند السوق[6] فاذا هم قيام في ارض المحشر ينظر بعضهم الى بعض، قالوا يا خسارتنا هذا يوم الجزاء والحساب، ﴿**فانما هي زجرة واحدة(١٣) فاذا هم بالساهرة**﴾[7] فانما هي اي الرادفة التي يعقبها البعث زجره اي نفخة واحدة فاذا نفخت، فاذا الخلائق جميعا على وجه الارض بعدما كانوا في بطنها.

﴿**واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب(٤١) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج**﴾[8].

(١) المدثر ٨.
(٢) صفوة التفاسير ٣/٢٧٤.
(٣) النازعات ٦، ٧.
(٤) رواه البخاري في تفسير سورة الزمر ومسلم في الفتن.
(٥) الصافات ١٩، ٢٠، ٢١.
(٦) تفسير القرطبي ١٥/٧٢.
(٧) النازعات ١٣، ١٤.
(٨) ق ٤١، ٤٢.

المناد: هو اسرافيل ـ من مكان قريب من السماء: وهو صخرة بيت المقدس، اقرب موضع من الارض الى السماء[1]. ﴿**يوم يدع الداع الى شيء نكر**﴾[2] الداع هو اسرافيل يدع الى شيء تنكره النفوس لشدة هوله.

عظم قوته: وقد زوى الزهري أن جبريل قال للنبي ﷺ يا محمد كيف لو رأيت اسرافيل ان له لاثني عشر الف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى كاهله[3]وفي الحديث: «اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم نعوذ بك من النار»[4].

وفي الحديث عن عائشة «اللهم رب جبريل وميكائيل ورب اسرافيل اعوذ بك من حر النار ومن عذاب القبر»[5].

وفي حديث الصــور عن ابي هريرة. وفيه «يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق، فينفخ نفخة الصعق، فينصعق اهل السماوات واهل الارض الا من شاء الله فاذا هم قد خمدوا، جاء ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات اهل السماوات والارض الا من شئت فيقول الله وهو اعلم بمن بقي «فمن بقي» فيقول بقيت انت الحي الذي لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل، فيقول ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل والحديث طويل وفيه نكاره وعنده زيادة غريبة.

﴿فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾[6] والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل، فلا تنفعهم انسابهم لعظم الهول واشتغال كل بنفسه. ونحن نؤمن بالصور ونفوض علم حقيقته الى علام الغيوب. واسرافيل: موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم﴾[7].

(١) تفسير الجلالين ٦٩٢.
(٢) القمر ٦.
(٣) الكشاف ٣/٤٧١.
(٤) الجامع الصغير وزيادته رقم ١٣٠٤.
(٥) الجامع الصغير وزيادته رقم ١٣٠٥.
(٦) المؤمنون ١٠١.
(٧) شرح العقيدة الطحاوية ٣٣٦.

حملة العرش

قال تعالى ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم(٧) ربنا وادخلهم جنت غدن التي وعدتهم ومن صلح من ءابائهم وأزواجهم وذريتهم انك انت العزيز الحكيم(٨) وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم**﴾[١]. اي هؤلاء العباد المقربون ـ حملة العرش ـ ومن حول العرش من اشراف الملائكة واكابرهم ممن لا يحصى عددهم الا الله ـ هم في عبادة دائبة لله، ينزهونه عن صفات النقص، ويثنون عليه بصفات الكمال[٢].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من ـ حملة العرش ـ ومن حوله من الملائكة الكروبين بانهم يسبحون بحمد ربهم اي يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائض والتحميد المقتضي لاثبات صفات المدح[٣] ويؤمنون به: قال الزمخشري: فان قلت ما فائدة قوله ﴿**ويؤمنون به**﴾ ولا يخفى ان حملة العرش وجميع الملائكة يؤمنون بالله؟ فالجواب: ان ذلك اظهار لفضيلة الايمان وشرفه والترغيب فيه[٤].

ويستغفرون للذين ءامنوا من اهل الارض ممن ءامن بالغيب، فقيض الله تعالى ملائكته المقربين ان يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام، كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب، كما ثبت في صحيح مسلم «اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك «ءامين ولك بمثله»[٥].

(١) سورة غافر ٧، ٨، ٩.
(٢) صفوة التفاسير ٣/٩٤.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٧١.
(٤) تفسير الكشاف ٤/١١٨.
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٧١.

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما: قال المفسرون: وفي وصف الله تعالى ـ بالرحمة والعلم. وهو ثناء قبل الدعاء، تعليم العباد أدب السؤال والدعاء، فهم يبدأون دعاءهم بأدب. ويستمطرون احسانه وفضله وانعامه[1].

فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك: فاصفح عن المسيئين المذنبين اذا تابوا واقلعوا عما كانوا فيه، واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات. وقهم عذاب الجحيم واحفظهم من عذاب جهنم. ـ ويقولون: ﴿ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم﴾ وذلك لتقر اعينهم بالاجتماع. حيث قال ﴿الذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بايمنٍ الحقنا بهم ذريتهم وما التنٰهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين﴾[2] بمعنى الحقنا الابناء بالآباء لتقربهم اعينهم.

قال ابن عباس: ان الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة، وان كان لم يبلغها بعمله لتقربهم عينه[3] وقال البحر: المعنى انه تعالى يلحق المقصر بالمحسن ولا ينقص المحسن من اجره شيئا[4].

وقال سعيد ابن جبير: ان المؤمن اذا دخل الجنة سأل عن ابيه وابنه، واخيه، اين هم؟ فيقال انهم لم يبلغوا طبقتك في العمل فيقول اني انما عملت لي ولهم فيلحقون به في الدرجة[5].

انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه الحكمة والمصلحة. وقهم السيئات. هذا من تمام دعاء الملائكة: اي احفظهم يا رب من فعل المنكرات والفواحش ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته، اي فمن حفظته من فعل المنكرات وعواقبها فقد لطفت به ونجيته من العقوبة. وذلك الغفران ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي لا ظفر مثله.

(١) البحر المحيط ٧/٤٥١.
(٢) الطور ٢١.
(٣) تفسير القرطبي ١٧/٦٦،
(٤) البحر المحيط ٨/١٤٩.
(٥) ابن كثير ٤/٧٢.

الملائكة الحافين بالعرش:

وقال تعالى «**والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمـٰنية**»[1].

قال المفسرون: يحمل عرش الرحمان ثمانية من الملائكة العظام فوق رؤوسهم، ويؤيده حديث «حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة قواهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية»[2].

وفي الحديث عن جابر عن رسول الله ﷺ قال «أذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى حملة العرش، ما بين شحمة اذنه الى عاتقة مسيرة سبعمائة سنة»[3] وعن انس «اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الارض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة اذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»[4].

وقال تعالى ﴿**وترى الملئكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العلمين**﴾[5] اي وترى الملائكة محيطين بعرش الرحمان من كل جانب يسبحون الله ويمجدونه ويعظمونه، ويقدسونه عن النقائص والجور، وقد فصل وقضى وحكم بالعدل. وقضى بين الخلائق بالحق ثم نطق الكون اجمعه ناطقة وبهيمة لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول الى قائل فدل على ان جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

(١) الحاقة ١٧.
(٢) تفسير الطبري ٢٩/٣٨.
(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٨٥٤.
(٤) الجامع الصغير وزيادته رقم ٨٥٣.
(٥) سورة الزمر ٧٥.

ملك الرعد

﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾[1] والرعد له تسبيح مقترنا بحمد الله وثنائه عليه، وتسبيح الرعد حقيقة دل عليها القرآن فنؤمن به وان لم نفهم تلك الاصوات فهو تعالى لا يخبر الا بحق وسميت السوره «سورة الرعد» لتلك الظاهرة الكونية العجيبة التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه. وفي الحديث «الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله»[2].

﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين﴾[3] تصحب الامطار الشديدة التي تحدث عند تكاثف السحب في السماء وحجبها ضوء الشمس عن الارض ظلمات كأنها سواد الليل ورعد يصم الآذان وبرق يخطف الابصار وصواعق تحرق ما تصيبه وهذه ظواهر مدركة بالحواس واقعة في كل زمان تحدث عند حدوث اسبابها التي اوجدها مقدر الاسباب والمسببات ومودع الخواص في المخلوقات تعالى شأنه وعظمت قدرته.

ورعد: هو الملك الموكل به وقيل صوته[4] ـ ولا تناقض بين القولين ـ.

بقدرته يخلق السحب الكثيفة المحملة بالماء الكثير بقوانين اوجدها مقدر الاسباب والمسببات ومودع الخواص وهي سنة الله، فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً. فذلك لا يتعارض مع ان الرعد ملك من ملائكة الله والفاصل موكل بالسحاب يسوقه حيث شاء الله.

والدليل حديث ابي هريرة «بينما رجل بفلاة من الارض فسمع صوتاً من السماء في سحابة يقول: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه في صرة فاذا شرجه من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء فتتبع الماء فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبدالله

(١) الرعد ١٣.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣٥٥٣ وقال حديث حسن والصحيحه ١٨٧٢.
(٣) البقرة ١٩.
(٤) الجلالين.

ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحاب. . » الحديث صحيح مختصر مسلم رقم ٥٣٤ الصحيحة ١١٩٧ كقوله تعالى **﴿الله الذي يرسل الريح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون﴾**[1] وقوله تعالى **﴿الم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار﴾**[2].

قال العبيد بن عمير الليثي: يبعث الله المثيرة فتقم الارض ثم يبعث الله الناشئة فتنشىء السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب رواه ابن ابي حام وابن جرير[3] فيصيب به من يشاء بها ينزل من السماء من نوعي المطر والبرد بالمطر رحمة لهم والبرد نقمة على من يشاء.

(١) الروم ٤٨.
(٢) النور ٤٣.
(٣) التفسير ابن كثير ٣/٢٩٧

ملك الجبال

عن عائشة انها قالت للنبي ﷺ «هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم احد؟ قال لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة، اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال، فلم يجبني الى ما اردت فانـطلقت وانـا مهمـوم على وجهي، فلم استفق الا وانـا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني، فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني، فقال: ان الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك، وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت، ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبي ﷺ: بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا» رواه بخاري ومسلم.



القرين من الملائكة

اما الحديث الذي رواه الامام احمد - عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي، ولكن الله اعـانني عليه فلا يأمـرني الا بخير» انفرد باخراجه مسلم فيحتمل ان هذا القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الانسان، وانما هو موكل به ليهديه ويرشده باذن ربه الى سبيل الخير وطريق الرشاد كما انه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهداً في الخبال والاضلال - والمعصوم من عصمه الله عز وجل[1].

وقرين الانسان من الملائكة وقرينه من الجن يتعاوران الانسان هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه وذاك يحثه على الخير ويرغبه فيه وفي الحديث عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «اذا أوى الانسان الى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك، اختم بخير، ويقول الشيطان: اختم بشر، فاذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه - يعني النوم - طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه، فاذا استيقظ، ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك: افتح بخير، ويقول الشيطان: افتح بشر، فان قال: الحمد لله الذي أحيا نفسي بعدما اماتها، ولم يمتها في منامها، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى، الحمد الله الذي يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده، الحمد الله يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه. طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه»[2].

وفي الحديث عن ابن مسعود «ان للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمه، فاما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر، وتكـذيب بالحق، واما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم انه من الله، وليحمد الله، ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[3].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/٥٢

(٢) رواه بمعناه الحاكم ١/٥٤٨ وصححه.

(٣) رواه الترمذي وقال حسن غريب وهو حديث ابي الاحوص.

وعن أنس رضـي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: من قال ـ يعني اذا خرج من بيته. . بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة الا بالله» يقال له: كفيت ووفيت وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدى وكفى ووفي؟»[1] والذي يقول له: كفيت ووفيت: الملك القرين وان ذلك حصن للمؤن من كل شر.

جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني لاحدث نفسي بالشيء لان اخر من السماء احب الي من ان اتكلم به قال: فقـال النبي ﷺ: الله اكـبر الله اكـبر الحمـد لله الـذي رد كيده الى الوسوسه»[2] ﴿الذي يوسوس في صدور الناس»[3] وهذا القرين الذي قال فيه ﴿قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد﴾ سورة ق آية ٢٧.

(١) صحيح رواه ابوداود/ والترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن.
(٢) رواه ابوداود والنسائي.
(٣) الناس ٦.

ملك يتوفى الانفس عند النوم/ النوم اخو الموت

قال تعالى ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1] اي يقبضها من الابدان عند فناء آجالها وهي الوفاة الكبرى. والتي لم تمت في منامها. اي قبض الارواح حين الموت وحين النوم بان يقطع تعلقها بالاجسام تعلق التصرف ظاهراً وباطناً في الموت وظاهراً فقط في النوم[2].

ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي الوفاة الصغرى.

وقال في التسهيل: ومعناها: الله يتوفى الانفس على وجهين: احدهما وفاة كاملة حقيقية وهي الموت. والآخر: وفاة النوم لان النائم كالميت في كونه لا يبصر ولا يسمع[3].

وقال ابن كثير: انه يتوفى الانفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة - الملائكة - الذين يقبضونها من الابدان. والوفاة الصغرى عند النوم[4].

فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى: اي يرسل الانفس النائمة الى بدنها عند اليقظة الى وقت اجلها الحقيقي.

قال ابن عباس: ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتعارف ما شاء الله لها فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله ارواح الاموات عنده، وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها[5].

(١) الزمر ٤٢.
(٢) صفوة البيان ٥٨٩، ٥٩٠.
(٣) التسهيل ٣/١٩٦.
(٤) مختصر ابن كثير ٣/٢٢٢.
(٥) تفسير القرطبي ١٥/٢٦٠.

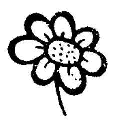
وقالى تعالى **﴿وهو الذي يتوفىٰكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾**[1].

قال ابن عباس: مع كل انسان ملك اذا نام اخذ نفسه ويرد اليه فان اذن الله في قبض روحه قبضه والا رد اليه.

قال القرطبي، وليس ذلك موتاً حقيقة بل هو قبض الارواح[2].

وقال ﷺ «النوم اخو الموت ولا يموت اهل الجنة».

وقال في تفسير الجلالين: وهو الذي يتوفاكم بالليل، يقبض ارواحكم عند النوم «ويعلم ما جرحتم» كسبتم «بالنهار ثم يبعثكم فيه» اي بالنهار يرد ارواحكم.



(١) الانعام ٦.

(٢) زاد المسير ٣/٥٥.

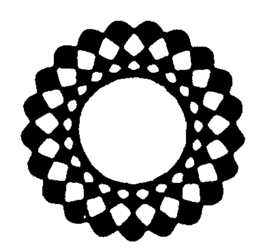
ملائكة حلقات الذكر

قال ﷺ «ان لله : ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كُتاب الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا الى حاجاتكم، فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم، وهو أعلم فيهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، فيقول هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادةً، واشدَّ لك تمجيداً واكثر لك تسبيحا، فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يارب ما رأوها، فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، واشد لها طلباً، واعظم فيها رغبةً، قال فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار، فيقول الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافةً، فيقول: فاشهدكم أني قد، غفرت لهم، فيقول ملكٌ من الملائكة: فيهم فلانٌ ليس منهم، انما جاء لحاجةً فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1] صحيح رواه ابوهريرة.

شرح الحديث: «يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر) معناه ما ورد في رواية مسلم: (سياحين في الارض يبتغون مجالس الذكر) وهي الامكنة التي يذكر الله تعالى فيها. «تنادوا هلموا» اي نادى بعضهم بعضاً - اي تعالوا الى حاجتكم وهي بغيتكم وطلبتكم (فيحفونهم باجنحتهم . .) يديرون اجنحتهم حول الذاكرين، ويملأون الاجواء الى سماء الدنيا ويحيطون بهم وفي رواية الترمذي (فضلاً عن كتاب الناس) ومعناه: انهم غير الملائكة الذين يكتبون الحسنات والسيئات، فهم زيادة عن الملائكة الكتبة، وكذا هم زائدون عن الحفظة وغيرهم، من المرتبين مع الخلائق، فلا وظيفة لهم الا «حلق الذكر».

(١) مختصر مسلم ١٨٩٠ والجامع الصغير وزيادته تحت رقم ٢١٧٣.

قولـه: (وهو اعلم بهم) اي منهم، هي جملة معترضة، لدفع ايهام الجهل عند السؤال، - والحكمة من سؤال الملائكة عن العباد - بيان فضل بني آدم للملائكة. فهم يشهدون لبني آدم انهم ايضاً يسبحون الله ويمجدونه عن غيب، مختارين مع وجود الشهوات عندهم، فيكون ذلك اعترافاً منهم بفضل بني آدم، حيث قالوا «اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك»[1]. واما قوله: (هم القوم، لا يشقى بهم جليسهم» اي لا يشقى لهم جليس، فالله تعالى يغفر لمن حضر مجلسهم لحاجة لنفسه، ولم ير الحضور للذكر معهم، لان حضور مجالس الذكر يحيي القلوب الميتة، فيحيا قلب هذا، وان لم يقصد الحضور للذكر، وفضل الله عظيم. ومجالس الذكر تشمل جميع انواع العبادات من دراسة علم ومذاكرته، وقراءة قرآن، وذكر وتهليل وغيرها. فهي مجالس النور والحياة. والله اعلم.



(١) البقرة ٣٠.

ملائكة تحرس المدينة ومكه

عن ابي هريرة «عـلى انقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال» رواه مسلم المختصر ٧٨١ وثبت في صحيح مسلم وسنن ابي داود والترمذي من حديث فاطمة بنت قيس من قصة تميم الداري «يا أيها الناس: هل تدرون لم جمعتكم؟ اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبةٍ، ولكن جمعتكم لان تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع واسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت احدثكم عن المسيح الدجال، حدثني انه ركب في سفينةً بحريةٍ مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم ارفؤوا الى جزيرة في البحر حين غروب الشمس، فجلسوا في اقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابةٌ اهلبُ، كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما انت؟ قالت: ان االجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير، فانه الى خبركم بالاشواق، قال: لما سمت لنا رجلاً، فرقنا منها ان تكون شيطانة فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا باب الدير، فاذا فيه اعظم انسان رأيناه قط خلقاً، واشده وثاقاً، مجموعة يداه الى عنقه، ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك من أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فاخبروني ما أنتم؟ قالوا نحن اناس من العرب، ركبنا في سفينة بحريةٍ، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا الى جزيرتك هذه، فجلسنا في اقربها، فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة اهلبُ، كثير الشعر، ما يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا ويلك ما أنت؟ قالت: انا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا الى هذا الرجل في الدير، فانه الى خبركم بالاشواق، فاقبلنا اليك سراعاً، وفرقنا منها ولم نأمن ان تكون شيطانةً، قال: اخبروني عن نخل بيسان قلنا: عن اي شيء تستخبر؟ قال: اسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال امـا انها يوشـك ان لا تثمـر، قال: اخبروني عن بحيرة طبريه؟ قلنا: عن اي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قلنا هي كثيرة الماء، قال: ان ماءها يوشك ان يذهب، قال اخبروني عن عين ذُعرٍ. قلنا: عن اي شأنها تستخبر؟ قال هل في العين ماء؟ وهل يزرع اهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها، قال اخبروني عن نبي الاميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب، قال: اقاتله العرب؟ قلنا نعم، قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه ظهر على من يليه من العرب، واطاعوه، قال: قد كان ذلك قلنا: نعم قال اما ان ذلك خيرٌ لهم ان يطيعوه، واني اخبرك عني، انا المسيح الدجال واني اوشك ان يؤذن لي بالخروج فاخرج فاسير في

الارض، فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة، غير مكة وطيبه هما محرمتان علي كلتاهما، كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، الا اخبركم؟ هذه طيبه، هذه طيبه، هذه طيبه، الا كنت حدثتكم ذلك؟ فانه اعجبني حديث تميم انه وافق الذي كنت احدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا انه في بحر الشام أو في بحر اليمن لا بل من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق ما هو»[1] وعن انس «يجيء الدجال، فيطأ الارض الا مكة والمدينة، فيأتي المدينة فيجد بكل نقب من انقابها صفوفاً من الملائكة، فيأتي سبخة الجرف، فيضربُ رواقهُ فترجف المدينة ثلاث رجفاتٍ، فيخرج اليه كل منافقٍ ومنافقة»[2] وعن ابي هريرة «يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة حتى ينزل دبر احدٍ ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك»[3] فالملائكة تحرس المدينة ومكه.

(١) صحيح الجاع الصغير وزيادته ٧٨٨٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٨٠٢٨.

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٨٩٩٥.

الملائكة باسطة اجنحتها على الشام

عن زيد بن ثابت الانصاري رضـي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يا طوبى للشام يا طوبى للشام» قالوا: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال «تلك ملائكة الله باسطو اجنحتها على الشام»[1].

وعن ابي هريرة «صفوة الله من ارضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وليدخلن الجنة من امتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب»[2] وعن زيد بن ثابت «طوبى للشام لأن ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليها»[3] وعن واثله «عليكم بالشام، فانها صفوة بلاد الله، يسكنها خيرته من خلقه، فمن ابى فليلحق بيمنه، وليُسق من غُدره، فان الله عز وجل تكفل لي بالشام واهله»[4].

(١) اخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك.

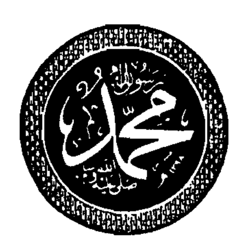
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٣٧٦٥.

(٣) نفس المصدر ٣٩٢٠.

(٤) نفس المصدر ٤٠٧٠.

ملائكة الظل

قال ابن اسحق: فخرج به (يعني رسول الله ﷺ) فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له، وكان اليه علم اهل النصرانيه، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط (اي الدهر) راهبٌ اليه يصير علمهم في كتاب فيها فيما يزعمون، يتوارثونه كابرا عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك، فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون انه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعته، في الركب حين اقبلوا، وغمامة تُظِلُّه من بين القوم قال: ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبة منه، فنظر الى الغمام حين اظلت الشجرة وتهصرت (مالت وتدلت) اغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم ارسل اليهم، القصة (قصة بحيرى) كاملة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام صفحة ١٨٠ الجزء الاول يمكن الرجوع اليها.



تظل الشهيد باجنتها

في صحيح بخارى عن جابر بن عبدالله رضـي الله عنهما قال لما قتل ابي جعلت اكشف عن وجهه وابكي ، وينهونني ، والنبي ﷺ لا ينهاني فجعلت عمتي فاطمة تبكي ، فقال النبي ﷺ «تبكين أولا تبكين ما زالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفعتموه» .



ملائكة المساجد

عن ابي هريرة رضـي الله عنه «على كل باب من ابواب المسجد ملكان يكتبان الاول فالاول، كرجل قدم بدنه، وكرجل قدم بقره، وكرجل قدم شاه، وكرجل قدم طيراً، وكرجل قدم بيضه، فاذا قعد الامام طويت الصحف»[1] وعن ابي هريرة «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتـاب الله ويتدارسونه بينهم، الا نزلت عليهم السكينة: وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2] وعن ابي هريرة «من اغتسل يوم الجمعة ثم اتى الجمعة فصلى ما قدّر له، ثم انصت حتى يفرغ الامام من خطبته، ثم يصلى معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى، وفضل ثلاثة ايام»[3] وعن ابي هريرة «الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه، ما لم يحدث او يقم: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[4] وعن ابي سعيد «اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد، يكتبون من جاء من الناس على قدر منازلهم، فرجل قدم جزورا، ورجل قدم بقرة، ورجل قدم شاة، ورجل قدم دجاجة، ورجل قدم عصفورا، ورجل قدم بيضة، فاذا اذن المؤذن، وجلس الامام على المنبر طووا الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر»[5] وعن ابي هريرة «اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم، الاول فالاول، فاذا جلس الامام طووا الصحف، وجاؤوا يستمعون الذكر ومثل المهجر كمثـل الذي يهدي بدنه، ثم كالذي يهدي بقره، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي البيضة»[6] عن ابي امامه تقعد الملائكة على ابواب المساجد يوم الجمعة فيكتبون الاول والثاني والثالث، حتى اذا خرج الامام رفعت الصحف»[7] والاحاديث في الباب كثيرة نكتفي بهذا القدر.

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤٠٣٢.
(٢) نفس المصدر ٥٥٠٩.
(٣) نفس المصدر ٦٠٦٣.
(٤) نفس المصدر ٦٧٣٧.
(٥) نفس المصدر ٧٧٤.
(٦) نفس المصدر ٧٧٥.
(٧) نفس المصدر ٢٩٨٣.

ملائكة المساجد/ واعمال اخرى

ويسجلون ما يصدر عن العباد من اقوال عن رفاعه بن رافع الزرقي قال «كنا يوماً نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال» سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: من المتكلم؟ قال: انا قال: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها فهؤلاء كتبة من ملائكة المساجد غير الحفظة. وفي حديث ابي هريرة منه «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، الا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1].

يصلون على الصف الاول: «ان الله وملائكته يصلون على الصف الاول»[2] وعن ابي امامه «ان الله وملائكته يصلون على الصف الاول: سووا صفوفكم، وحاذوا بين مناكبكم، ولينوا في ايدي اخوانكم، وسدو الخلل، فان الشيطان يدخل فيما بينكم مثل الحذف»[3] وعن البراء «ان الله وملائكته يصلون على الصف المقدم والمؤذن يغفر له مد صوته، ويصدقه من سمعه من رطب ويابس، وله مثل اجر من صلى معه»[4] وعن البراء «ان الله وملائكته يصلون على الصفوف المُقَدَّمه»[5] وعن عائشة «ان الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة»[6] وعن ابي الدرداء «فضلت باربع: جعلت انا وامتي في الصلاة كما تصف الملائكة وجعل الصعيد لي وضوءاً، وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً، واحلت لي الغنائم»[7].

(١) صحيح الجامع ٦٥٧٧.
(٢) نفس المصدر ١٨٣٩.
(٣) نفس المصدر ١٨٤٠.
(٤) نفس المصدر ١٨٤١.
(٥) نفس المصدر ١٨٤٢.
(٦) نفس المصدر ١٨٤٣.
(٧) نفس المصدر ٤٢١٩.

ملائكة تسدد المؤمن وتعينه

روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه «قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله ، فقال الملك : قل ان شاء الله ، فلم يقل ونسي فاطاف بهن ولم تلد الا امرأة منهن نصف انسان . قال النبي ﷺ لو قال : ان شاء الله لم يحنث وكان ارجى لحاجته» وروى الترمذي «من سأل القضاء وكل الى نفسه ومن اجبر عليه ينزل الله عليه ملكاً فيسدده» وعن ابي هريرة «ما من آدامي الا في رأسه حكمة بيد ملك فاذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته واذا تكبر قيل للملك : دع حكمته» الصحيحة ٥٣٨ وعن ابي هريرة «نزل ملك من السماء فكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان فلم اكن لاجلس اذا وقع الشيطان» الصحيحة ٢٣٧٦ .



الملائكة احضرت التابوت

﴿وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينةٌ من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾[1] قال الزمخشري صندوق التوراة الذي كان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون.

فلما طلبوا آية تدل على اصطفاء طالوت اجابهم نبيهم «وقال لهم نبيهم ان آية ملكه» اي علامة ملكه واصطفائه عليكم ان يأتيكم التابوت اي يرد الله اليكم التابوت الذي اخذ منكم في التابوت ايضاً سكينة ووقار وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وهي عصا موسى وثيابه وبعض الالواح التي كتبت فيها التوراة تحمله الملائكة: قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والارض حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون ﴿**ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين**﴾.

(١) البقرة ٢٤٧.

ملك الحكمة

قال ﷺ «ما من آدمي الا في رأسه حكمة بيد ملك فاذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته واذا تكبر قيل للملك دع حكمته»[1] الصحيحة ٥٣٨.

وفي حديث عثمان بن عفان «وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك، واذا تكبرت على الله قصمك» الحديث.



(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٢٦٧٥.

الملائكة في الرؤيا

عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله ﷺ «أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقه من حرير فقال لي: هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب، فاذا انت هي، فقلت ان يك هذا من الله يتمه» رواه البخاري وفي رواية «أريتك في المنام مرتين يحملك الملك في سرقه من حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف عنها فاذا انت هي فاقول ان يكن هذا من عند الله يمضه»(1) وروى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال «كان الرجل في حياة النبي ﷺ اذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ - فتمنيت ان ارى رؤيا فاقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلاماً شاباً، وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كأن ملكين اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البئر، واذا لها قرنان، واذا فيها اناس قد عرفتهم، فجعلت اقول: اعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لا ترع» اي لا تخف، وفي صحيح البخاري عن سمره بن جندب قال كان النبي ﷺ، اذ صلى صلاة اقبل علينا بوجهه فقال: فإن رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال كان من رأى احد رؤيا قصها فيقول ما شاء الله، فسألنا يوماً، فقال هل رأى احد منكم رؤيا؟ قلنا لا، قال لكني رأيت اللية رجلين أتياني فاخذا بيدي واخرجاني الى الارض المقدسة. . . » الحديث وعن ابي سعيد الخدري انه سمع النبي ﷺ يقول «اذا رأى احدكم الرؤيا يحبها فانها هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها رأى، واذا رأى غير ذلك، مما يكره فانما هي من الشيطان، فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره»(2).

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٩١٥.

(٢) تخريج الترغيب ٢/٢٦٢ والبخاري ٤/٣٤٨.

يباهي بعباده الملائكة

عن ابن مسعود «عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم اصحابه، فعلم ما عليه فرجع حتى اهريق دمه فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا الى عبدي يرجع رغبة فيما عندي وشفقه مما عندي حتى اهريق دمه»[١]. وعن عائشة «ما من يوم اكثر من ان يعتق الله فيه عبداً، أو امة من النار، من يوم عرفه، وانه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ماذا اراد هؤلاء»[٢] وعن ابن عمرو «ان الله تعالى: يباهي ملائكته عشية عرفه باهل عرفه يقول: انظروا الى عبادي، اتوني شعثاً غبرا»[٣] وعن ابي موسى «اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؛ فيقولون نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»[٤].

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٣٩٨١.
(٢) نفس المصدر ٥٧٩٦.
(٣) نفس المصدر ١٨٦٨.
(٤) نفس المصدر ٧٩٥.

ملائكة مبشرين ومبلغين

عن حذيفة «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟ هو ملك من الملائكة لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليله، استأذن ربه عز وجل ان يسلم علي ويبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة، وان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة»[1].

وعن حذيفة «ان هذا ملك لم ينزل الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه ان يسلم علي ويبشرني بان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة، وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة»[2] صحيح.

عن ابي طلحة «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخذت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»[3].

وعن عمر «أتاني الليلة آت من عند ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك - يعني العقيق - وقل عمره في حجه»[4] وعن ابي طلحة «أتاني آت من عند ربي عز وجل، فقال: من صلى عليك من امتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها»[5] وعن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء، فتح اليوم لم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال: ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته» رواه مسلم في صحيحه.

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٣٢٨.
(٢) نفس المصدر ٢٢٥٧.
(٣) نفس المصدر ٥٦.
(٤) نفس المصدر ٥٨.
(٥) نفس المصدر ٥٧.

دعاء/ ملائكة الصباح

عن ابي هريرة رضـي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما، اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً»[1] متفق عليه. الحديث رواه البخاري في الزكاة (باب قوله تعالى: ﴿فاما من اعطى واتقى﴾ ومسلم في الزكاة (باب في المنفق والممسك).

اعط منفقاً: يعم الواجبات والمندوبات ـ لكن الممسك لا يستحق الدعاء الا ان يغلب عليه البخل المذموم بحيث لا تطيب نفسه باخراج الحق الذي عليه ولو اخرجه.

خلفاً: اي عوضاً وبدلاً ـ ممسكاً: ممتنعاً عن الانفاق تلفاً: هلاكاً ويحتمل الدعاء بهلاك المال. والانفـاق يكـون في الواجبات كالزكاة والمندوبات كالصدقات والطاعات وعلى العيال والضيفان والتطوعات. ﴿وما انفقتم من شيء فهو يخلفه﴾[2].

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٥٧٩٧.
(٢) سبأ ٣٩.

الصلاة على النبي
ان الله وملائكته يصلون على النبي

قال تعالى ﴿ان الله وملئكته يصلون على النبي يٰأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1] ان الله جل وعلا يرحم نبيه ويعظم شأنه ويرفع مقامه، وملائكته الابرار يدعون للنبي ويستغفرون له ويطلبون من الله ان يمجد عبده ورسوله وينيله اعلى المراتب[2].

وهذه الآية قد اظهرت الرسول وأبانت مكانته عند الله وعند ملائكته وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، والصلاة من الله على نبيه رحمة ورضوان ومن الملائكة دعاء واستغفار ومن الامه دعاء وتعظيم[3].

وقال الصاوي: هذه الآية فيها اعظم الدليل على انه ﷺ مهبط الرحمات وافضل الاولين والآخرين على الاطلاق اذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونه بالتعظيم ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة «هو الذي يصلي عليكم وملئكته» فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين[4] وقال البخاري: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء.

وقال الاعمش عن عطاء بن رباح: والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى اخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الاعلى بانه يثني عليه عند الملائكة المقربين وان الملائكة تصلي عليه، ثم امر تعالى اهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من اهل العالمين العلوي والسفلي جميعا. وقد جاءت الاحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالامر بالصلاة عليه وكيفية الصلاة عليه: اما كيفية الصلاة على النبي فقل باي صيغة شئت، والوارد ان مالكاً روى عن ابن مسعود الانصاري قال رسول الله ﷺ «قولوا اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم».

(١) الاحزاب ٥٦.
(٢) صفوة التفاسير ٢/٥٣٦.
(٣) التفسير الواضح ٢/٢٥٤.
(٤) حاشية الصاوي ٣/٢٨٧.

ولننال شرف الصلاة عليه وثوابها الجزيل فقد روى ابن ماجه «من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر» وقال الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ لحاجة فلم يجد احداً يتبعه ففزع عمر فأتاه بمطهره من خلفه فوجد النبي ﷺ ساجداً في مشربه فتنحى عنه من خلفه حتى رفع النبي ﷺ رأسه فقال «احسنت يا عمر حين وجدتني ساجداً فتنحيت عني ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك من امتك واحده صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات» وقد اختار هذا الحديث الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين. وقال الامام احمد عن عبدالله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقال يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك قال «انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قلت بلى» رواه النسائي من حديث حماد.

الملك الموكل بقبر النبي ﷺ

عن ابي بكر «اكثروا الصلاة علي فان الله وكل بي ملكاً عند قبري فاذا صلى علي رجل من امتي قال لي ذلك الملك يا محمد ان فلان ابن فلان صلى عليك الساعة»[1] حديث حسن وعن ابن مسعود «ان لله تعالى: ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام»[2] صحيح وعن عمار بن ياسر «ان لله تعالى: ملكاً اعطاه سمع العباد، فليس من احدٍ يصلي علي الا ابلغنيها. واني سألت ربي ان لا يصلي علي عبد صلاة الا صلى عليه عشر امثالها» حسن الصحيحه ١٥٣٠.

(١) الصحيحه ١٥٣٠ وصحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٢٠٨.

(٢) نفس المصدر ٢٧١٦.

الملائكة ينزلون ليلة القدر

قال تعالى **﴿تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾** سورة القدر ان الملائكة ومنهم جبريل عليه السلام ينزلون فيها افواجاً الى الارض بامره تعالى بكل امر من الخير والبركة على كل مسلم قائم او قاعد يذكر الله تعالى فيها تعبداً لله[1].

تنزل الملائكة وجبريل الى الارض في تلك الليلة بامر ربهم من اجل كل امر قدره الله وقضاه لتلك السنة الى السنة القابلة[2] سلام من اول يومها الى طلوع الفجر تسلم فيها الملائكة على المؤمنين ولا يقدر الله فيها الا الخير والسلام لبني آدم[3] وهذه الليلة سلام وامان ولا غرابة ففيها ابتدأ نزول الوحي.

(١) صفوةالبيان ٨١٧.
(٢) صفوة التفاسير ٣/٥٨٥.
(٣) صفوة التفاسير ٣/٥٨٥.

الجزء الثاني

قصص الملائكة



قصة الملائكة وابراهيم والمشهد العظيم

ابـراهيم هو احد أولي العزم الخمسة الذين اخذ الله منهم ميثاقاً غليظاً. ﴿**واذا اخذنا من النبيين ميثقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا**﴾[1] وهو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين، بلاء فوق قدرة البشر، ورغم شدة البلاء، كان ابراهيم هو العبد الذي وفى، فكرمه الله واصطفاه، وجعل ملته هي التوحيد الخالص ﴿**ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه. ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين**﴾[2] وجعله امام المتقين، ويكفيه قوله تعالى ﴿**واتخذ الله ابراهيم خليلا**﴾[3].

نبدأ هذا المشهد من قوله تعالى ﴿**قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين**﴾[4] وذلك حين كسر اصنـامهم والـزمهم الحجـة ونـاقشهم بالمنـطق، فقرروا اعدامه حرقاً في النار. حيث بدأ الاستعداد لاحراق ابراهيم، وجاء الناس من المدن والقرى والجبال والسهول والوديان ليشهدوا عقاب الذي تجرأ على الآلهة.

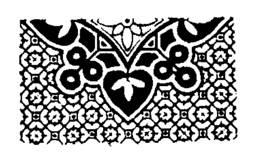
يقول المفسرون: لما أرادوا إحراق ابراهيم جمعوا له حطباً مدة شهر حتى كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطباً لحرق ابراهيم، ثم جعلوه في حفرة من الارض وأضرموها ناراً فكان لها لهب عظيم حتى إن الطائر ليمر من فوقه فيحترق من شدة وهجها وحرها.

ثم اوثقوا ابراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار، فجاء اليه جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: «حسبي من سؤالي علمه بحالي» فقال الله: ﴿**يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم**﴾[5].

(١) الاحزاب ٧.
(٢) البقرة ١٣٠.
(٣) النساء ١٣٥.
(٤) الانبياء ٦٨.
(٥) القرطبي ١١/٣٠٣.

وجلس الاشراف والكهنة والناس يرقبون النار ظلت النار تشتعل فترة من الزمن. فلما انطفأت فوجئوا بابراهيم حياً، فاذا وجوههم مسوده من صلي النار، ووجهه يتلألأ بالنور والجلال ثيابهم احترقت من الشرر، وثيابه كما هي نظيفة زاهية، عليهم أثر الدخان والحريق، وليس عليه أثر للدخان أو الحريق.

روى البخاري عن ابن عباس انه قال: حسبي الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد عليهما السلام حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ايضاً قال لما ألقي ابراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فأرسله قال فكان امر الله أسرع من أمره ﴿**يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم**﴾.



ابراهيم وبشرى الملائكة

﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ﴾[1]
قال الطبري: لما انزل الله الملائكة لعذاب قوم لوط مروا بابراهيم فظنهم اضيافاً وهم جبريل وميكائيل واسرافيل فسلموا عليه قالوا سلاماً قال لهم ابراهيم سلام عليكم. قال المفسرون: رد عليهم التحية باحسن من تحيتهم لانه جاء بها جمله اسميه وهي تدل على الثبات والاستمرار.

﴿هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين﴾[2] قال ابن كثير: وانما انكرهم لانهم قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا انكرهم[3] وقال ابوحيان: والذي يناسب حال ابراهيم عليه السلام انه لا يخاطبهم بذلك اذ فيه من عدم الانس ما لا يخفى، وانما قال ذلك في نفسه او لمن كان معه من اتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الاضياف[4].

فراغ الى اهله اي عدل ومال اليهم في خفيه عن ضيفه لان من أدب المضيف ان يبادر باحضار الضيافة من غير ان يشعر به الضيف حذراً من ان يمنعه الضيف او يثقل عليه في التأخير فما ابطأ ولا تأخر مجيئه حتى جاء بعجل مشوي فقدمه لهم. قال الزمخشري: والعجل: ولد البقرة ويسمى «الحسيل» وكان مال ابراهيم عليه السلام البقر.

والحنيذ المشوي بالحجارة المحماة في اخدود وقيل الذي يقطر دسمه وبدل عليه «بعجل سمين» واختاره سميناً زيادة في اكرامهم. فأدناه منهم ووضعه بين ايديهم فلم يأكلوا **﴿فقربه اليهم قال الا تأكلون﴾**[6] في تلطف وبشاشه.

(١) سورة هود ٦٩.
(٢) الذاريات ٢٤، ٢٥.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير.
(٤) البحر المحيط ٨/١٣٩.
(٥) الكشاف ٢/٤٠٩.
(٦) الذاريات ٢٧.

قال ابن كثير: وفي الآية تلطف في العبارة وعرض حسن وقد انتظمت الآية آداب الضيافة، فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم اولاً فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء، واتى بافضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي فقربه اليهم، ولم يضعه وقال اقتربوا، بل وضعه بين ايديهم، ولم يأمرهم امراً يشق على سامعيه بصيغة الجزم بل قال: الا تأكلون؟ على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل، ان رأيت ان تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل[1] **﴿فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط﴾**[2]. فلما رآهم لا يمدونَ ايديهم الى الطعام ولا يأكلون منه انكرهم واحس منهم الخوف والفزع. قال قتادة: كان العرب اذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا انه لم يجيء بخير وانه جاء يحدث نفسه بشر[3]. وكان انهم دخلوا عليه فجأة ولم يكن معهم دواب تحملهم وليس عليهم غبار السفر وهم في مقتبل الشباب حسان الوجوه، وكان الملائكة يقرأون افكاره، قالوا لا تخف فإنا ملائكة ربك لا نأكل الطعام وقد ارسلنا لاهلاك قوم لوط **﴿وامرأته قائمة فضحكت﴾**[5] وكانت امرأة ابراهيم واسمها «سارة» قائمة تخدمهم تسمع كلامهم فضحكت استبشاراً بهلاك قوم لوط **﴿ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾**[5]

فالبشرى كانت لابراهيم **﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾** اذ قالوا له لا تخف فانا نبشرك بغلام واسع العلم عظيم الذكاء هو اسحق، قال ابراهيم ابشرتموني بالولد على جالة الكبر والهرم فبأي شيء تبشروني؟ وقال ذلك على وجه التعجب والاستبعاد، لم يفهم الملائكة احساسه البشري قالوا: بشرناك بالحق وبالصدق واليقين الثابت فلا تستبعده ولا تيأس من رحمة الله. قال مستنكراً: لا يقنط من رحمة الله الا المخطئون طريق المعرفة والصواب الجاهلون برب الارباب الكافرون اما القلب السليم العامر بالايمان المتصل بالرحمن فلا ييأس ولا يقنط.

قال البيضاوي: وكان تعجب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشراً من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر؟ ولذلك اجابهم بهذا الجواب[6].

(١) مختصر ابن كثير ٣/٣٨٥.
(٢) هود ٧٠.
(٣) الطبري ١/٧١.
(٤) هود ٧١.
(٥) سورة الحجر ٥٢ ـ ٥٦.
(٦) البيضاوي ٨٢٦.

«فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجو عقيم»[1] لما سمعت بالبشارة وكانت في زاويه من زوايا البيت وسمعت ابراهيم يجادلهم في البشارة بالولد على كبر سنه وعلمت انها هي التي ستحمل بهذا المولود وانهم ملائكة وانها طرف في البشاره فرأت ان لها الحق بالاستفهام وهي العجوز العـاقر وكان تعجبها كتعجب ابراهيم فجاءت نحوهم في صيحة عظيم فقد كان الخبر عظيماً لم تستطع ان تتمالك نفسها فلطمت وجهها تعجباً كما تتعجب النساء من الامر الغريب، قائلة انا عجوز عقيم فكيف الد ـ والعقيم هي التي لم تلد قط لانقطاع حبلها. قال الامام الجلال: كان عمرها تسعاً وتسعين سنة وعمر ابراهيم مائة وعشرين سنة[2] قالت ساره متعجبة أألد وانا امرأة مسنة لي تسع وتسعون سنة وهذا زوجي ابراهيم شيخ هرم له مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب وغريب ان يولد لهرمين مثلنا. ﴿**قالوا أتعجبين من امر الله رحمت الله وبركته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد**﴾[3] اتعجبين من امر الله وقدرته وحكمته في خلق الولد من زوجين هرمين ليس هذا بمكان تعجب على قدرة الله، رحمكم الله وبارك فيكم يا أهل بيت ابراهيم انه تعالى محمود مجيد في صفاته وذاته مستحق للحمد والتمجيد من عباده. «قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم» اي كذلك الامر كما اخبرنا ابراهيم وكما سمعت هكذا حكم ربك في الازل فلا تعجبي ولا تشكي في قدرتـه. فبشروها بانها ستحمل وهي لم تحمل بعد وستضع ولداً ذكراً وسيكون اسمه اسحق وسيكـون ذو علم واسـع وسيعيش حتى تراه يكـبر ويتزوج وينجب ولداً يسميه يعقوب ﴿**فبشرنها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب**﴾[4].

سأل ابراهيم الولد فاعطاه الله الولد وولد الولد ﴿**ووهبنا له اسحق ويعقوب نافله وكلاً جعلنا صـلحين**﴾[5]

وكلا من ابراهيم واسحق ويعقوب جعلناه من اهل الخير والصلاح. وهكذا اعتزل ابراهيم قومه وعبادتهم للاوثان وهجر الاهل والاوطان فلم يتركه الله وحيدا بل وهب له ذرية وعوضه خيرا. ابدله من هو خير منهم فوهب له اولاداً انبياء انس بهما وحشته عن فراق قومه، وجعله اماماً للناس وجعل في ذريته النبوة والكتاب فجميع انبياء بني اسرائيل من سلالة ولده يعقوب ولم يوجد من سلالة اسماعيل سوى النبي العربي عليه افضل الصلاة واتم التسليم..

(١) الذاريات ٢٩.
(٢) حاشية تفسير الجلالين ١٢٦/٤.
(٣) هود ٧٣.
(٤) هود ٧١.
(٥) الانبياء.

مجادلة ابراهيم للملائكة في قوم لوط

قال تعالى: ﴿**فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم**﴾[1] اي فآمن معه لوط وصدقه وهو ابن اخيه وأول من آمن به لما رأى من الآيات الباهرة.

وقال ابراهيم اني تارك وطني ومهاجر من بلدي رغبة في رضى الله ﴿**ونجينه ولوطاً الى الارض التي باركنا فيها للعالمين**﴾[2] اي ونجينا ابراهيم مع ابن اخيه لوط حيث هاجر من العراق بعد محاولة احراقه بالنار ومجادلته للملك ﴿**الم تر الى الذي حاجَّ ابراهيم في ربه أن ءاتـه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا أُحي وأميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأتب بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾[3] فهاجر من العراق الى الشام.

قال المفسرون: هاجر من سواد العراق الى فلسطين والشام ابتغاء اظهار دين الله وليتمكن من نشره. قال ابن الجوزي: وبـركتها ان الله عز وجل بعث اكثر الانبياء منها واكثر فيها الخصب والانهار[4]. ﴿**ولوطاً ءاتينـه حكما وعلما**﴾[5] اي اعطيناه النبوة والعلم والفهم السديد.

قال ابن كثير: كان لوط قد آمن بابراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه ﴿**وان لوطاً لمن المرسلين**﴾[6] اي ان لوطاً رسولنا لهداية قومه وهم اهل سدوم وهي المدائن ﴿**وعاد وفرعون واخوان لوط**﴾[7] سماهم اخوان لوط لانه صاهرهم وتزوج منهم ولم يكن منهم نسباً.

قال المفسرون: لما دعى لوط على قومه استجاب الله دعائه وارسل ملائكته لاهلاكهم، فمروا بطريقهم على ابراهيم اولاً فبشروه بغلام وذرية صالحه. ﴿**فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم اواه منيب يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم ءاتيهم عذاب غير مردود**﴾[8] فلما ذهب عن ابراهيم الخوف الذي احسه في نفسه،

(١) سورة العنكبوت ٢٦.
(٢) الانبياء ٧١.
(٣) البقرة ٢٥٨.
(٤) زاد المسير ٥/٣٦٨.
(٥) الانبياء ٧٤.
(٦) الصافات ١٣٣.
(٧) ق ١٣.
(٨) هود ٧٤د ٧٥، ٧٦.

واطمأن قلبه لضيوفه حين علم انهم ملائكة، وجاءته البشارة بالولد **﴿قال فما خطبكم ايها المرسلون﴾**[1] اي ما شأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم ايها الملائكة الابرار سوى هذه البشارة.

قال البيضاوي: لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه[2] **﴿قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظلمين﴾**[3] جئنا لنهلك قرية قوم لوط لان اهلها ممعنون في الظلم والفساد، طبيعتهم البغي والعناد.

ولوط ابن اخيه النازح معه من مسقط رأسه وابراهيم يعرف معنى ارسال الملائكة الى قوم لوط وطبيعة ابراهيم الرحيم لا تجعله يطيق هلاك قوم بسهولة فلربما عادوا عن غيهم واقلعوا عن خطيئتهم واسلموا واجابوا رسولهم.

قال المفسرون: لما قالت الملائكة **﴿انا مهلكوا اهل هذه القرية﴾** قال لهم أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فاربعون؟ قالوا: لا فما زال يتنزل معهم حتى قال لهم: أرأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونهم؟ قالوا: لا. فقال لهم **﴿إن فيها لوطا. قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغبرين﴾**[4] ان ابراهيم لحليم غير عجول في الانتقام من المسيء، أواه منيب، كثير التأوه والتأسف على الناس لرقة قلبه. منيب رجاع الى طاعة الله.

قال المفسرون: اخذ يجادل الملائكة في شأن قوم لوط وغرضه تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون. فكان رد الملائكة: يا ابراهيم دع عنك الجدال في قوم لوط فقد نفذ القضاء بعذابهم **﴿انه قد جاء أمر ربك﴾** نزل امره باهلاكهم. وهم لا يخالفون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون **﴿انهم ءاتيهم عذاب غير مردود﴾** اي نازل بهم عذاب غير مصروف عنهم..

﴿الا آل لوط انا منجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغبرين﴾[5] علمنا وقضينا. إنها من الباقين في العذاب، واسناد الملائكة الفعل والتقدير الى انفسهم اسناد مجازي مثل قول خاصة الملك نحن فعلنا وان كانوا فعلوه بامر الملك.

(١) الحجر ٥٧ والذاريات ٣١.
(٢) تفسير البيضاوي ١٦٧/٤.
(٣) العنكبوت ٣١.
(٤) العنكبوت ٣٢.
(٥) الحجر ٦٠ ـ ٦١.

لوط والملائكة

﴿ولوطاً ءاتينه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فسٰقين﴾[1] اي اعطينا لوطاً النبوة والعلم والفهم السديد وفصل القضاء بالحق بين القوم وفقها في الدين وما ينبغي علمه ﴿ونجينٰه ولوطاً الى الارض التي برٰكنا فيها للعلٰمين﴾[2] قال ابن كثير: كان لوط قد آمن بابراهيم عليه السلام وهاجر معه كما قال تعالى ﴿فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي﴾ فآتاه الله حكماً وعلماً، واوحى اليه وجعله نبياً وبعثه الى سدوم فكذبوهه، فاهلكهم الله ودمر عليهم[3]. واخرجناه ومعه زوجته ساره ـ وابن اخيه وابن عمته لوط ـ من العراق الى الشام، فنزل ابراهيم بفلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكه ـ سدوم ـ فبعث نبياً الى اهلها. دعا لوط قومه الى عبادة الله، ودعاهم الى التوحيد، ونهاهم عن كسب السيئات والفواحش، ﴿اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون﴾[4] وقال ﴿ولوطاً اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العلمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون﴾[5] قال لهم على سبيل الانكار، أتفعلون الفعلة ما سبقكم: تدل على انهم اول من فعل هذه الفعلة القبيحة، وانهم ابتكروها ـ قال عمرو بن دينار: ما رؤي ذكر على ذكر قبل قوم لوط[6] ـ وقال ابن كثير: كانوا يقطعون طريق الناس يقتلونهم ويأخذون اموالهم[7] وقال مجاهد: كانوا يأتون الذكران امام الملأ يرى بعضهم بعضاً.

وقال ابن عباس: كانوا يحذفون بالحصى من مربهم من الفحش في المزاح الثقيل، وحل الازرار، والصفير. نقول كانوا يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويتواصون بالاثم والعدوان، ولا يتناهون عن منكر فعلوه وقد زادوا في سجل جرائمهم جريمة جديدة على الارض، ابتكروها وروح الابتكار دليل الغوص في الرذيله والتعمق في الجريمة، وكانوا يأتون الرجال شهوة دون النساء

(١) الانبياء ٧٢.
(٢) الانبياء ٧١.
(٣) المختصر ٢/٥١٥.
(٤) الشعراء ١٦١ ـ ١٦٣.
(٥) الاعراف ٨٠ ـ ٨١.
(٦) البحر ٤/٣٣٣.
(٧) مختصر ابن كثير ٣/٤٥.

﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون﴾[1] كانوا يفعلون اللواط في ناديهم ويتفاخرون امام بعضهم البعض بالفعل الخبيث **﴿أئنكم لتأتون الرجال وتقطعوا السبيل وتأتون في ناديكم المنكر﴾**[2]

﴿ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر﴾[3] ولقد خوفهم لوط عقابنا الشديد فتشككوا وكذبوا بالانذار **﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾** كذبوا بالانذارات التي انذرهم بها نبيهم لوط عليه السلام.

قال الامام الفخر: ان لوطا كان ثابتاً علي الدعوة والارشاد مكرراً عليهم النهي والوعيد فقالوا اولاً: إئتنا بعذاب الله - ان كنت من الصادقين - ثم لما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا: اخرجوا آل لوط[4]. وجاهدهم لوط جهادا عظيماً اقام عليهم الحجة، ومرت الايام والشهور والسنون وهو ماض في دعوته من غير ان يؤمن له احد، لم يؤمن له الا اهل بيته حتى أهل بيته لم يؤمنوا به جميعاً. حيث كانت زوجته خائنة له في الدين والعقيدة مثل زوجة نوح عليه السلام كافرة، فكان لوط عليه السلام يحارب الكفر في بيته وخارج بيته ويلقى ما يلقى من العذاب سنة الانبياء من قبله ومن بعده. من صنوف العذاب النفسي والجسدي والاستهزاء. وطالت المدة، ولم يؤمن به احد، وهو صابر مثابر على دعوته.

ثم ان لوطاً لما يئس منهم طلب النصرة من الله **﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾**[5] اي قال رب اهلكهم وانصرني عليهم فانهم سفهاء مفسدون لا يرجى منهم صلاح.

قال الرازي: واعلم ان نبياً ما طلب هلاك قومه الا اذا علم ان عدمهم خير من وجودهم.

قال المفسرون: لما دعى لوط على قومه استجاب الله لدعاءه وارسل ملائكته لاهلاكهم، فمروا بطريقهم على ابراهيم اولاً فبشروه بغلام وذرية صالحة ثم اخبروه بما ارسلوا من اجله، فجادلهم بشأن ابن اخيه لوط. **﴿ولما جائت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾**[6]. قال المفسرون: لما جائت الملائكة الى لوط في صورة شبان مرد حسان، اضافهم لوط عليه السلام. والملائكة مخلوقات من نور تتشكل كيف تشاء بالاشكال الحسنة، وتشكلوا بصورة غلمان حسان ليستدرجوا قوم لوط الى العذاب المقرر عليهم - ويضرب المثل في الجمال في جمال سيدنا

(١) النمل ٥٤، ٥٥.
(٢) العنكبوت ٢٩.
(٣) القمر ٣٦.
(٤) التفسير الكبير ٢٥/ ٢٩.
(٥) العنكبوت ٣٠.
(٦) هود ٧٧.

يوسف، لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في البشر **﴿فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حشى لله ما هذا بشراً ان هذا الا ملك كريم﴾**[1] فشبهن يوسف بالملك.

وسيء بهم لوط وحزن لحضورهم لاعتقاده انهم بشر، فخاف ان يقصدوهم قومه بالسوء وهو عاجز عن مدافعتهم فلم يجد من ذلك المكروه مخلصاً، وقال هذا يوم عصيب شره، عظيم بلاؤه، وزاد من حزنه انهم حسان الوجوه، فخاف عليهم، وضاق صدره بمجيئهم خشية عليهم من قومه الاشرار.

﴿وجاء قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ قال القرطبي: وكان سبب اسراعهم ان امرأة لوط الكافرة، لما رأت الاضياف وجمالهم، خرجت حتى اتت مجلس قومها فقالت لهم: إن لوطاً قد اضاف الليلة فتية ما رأيت مثلهم جمالاً، فحينئذ جاءوا يهرعون اليه[2]. اسرعوا فرحين يبشر بعضهم بعضاً. يقول سيد قطب رحمه الله: تسامع القوم بان في بيت لوط شباناً صباح الوجوه، ففرحوا بان هناك صيداً **﴿وجاء اهل المدينة يستبشرون﴾** والتعبير على هذا النحو يكشف عن مدى الشناعة والبشاعة التي وصل اليها القوم في الدنس والفجور ـ يكشف عن هذا المدى مشهد أهل المدينة يجيئون جماعة مستبشرين بالعثور على شبان يعتدون عليهم جهرة وعلانية، هذه العلانية التي يترفع عنها الحيوان، بينما اولئك القوم المجرمون يجاهرون بها ويتلمظون عليها، وهي حالة من الارتكاس معدومة النظير.

فأما لوط فوقف مكروباً يحاول ان يدفع عن ضيوفه وعن شرفهم، وقف يستبشر النخوة الآدمية فيهم ويستجيش وجدان التقوى لله وهو يعلم ان هذه النفوس المرتكسه المطموسة لم يعد فيها نخوة ولا شعور انساني ولكنه في كربه وشده حاول ما يستطيع[3]. **﴿قال يقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد﴾**[4] يرشدهم الى نسائهم واصنافهن الى نفسه لان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربيه.

هن يلبين الفطرة السوية، ويثرن مشاعر نظيفة، حيث اعدت القدرة الخالقة للحياة الناشئة مكمناً طاهراً يحاول اثارة نفوسهم من جانب التقوى بعد ان حاول من جانب الفطرة، **فاذكروا الله**

(١) يوسف ٣١.
(٢) القرطبي ٩/٧٥.
(٣) الظلال ١٤/٣١.
(٤) هود ٧٨.

وتذكروا ان الله سميع يسمع ويرى ويغضب ويعاقب، اليس منكم رجل رشيد عاقل يساعدني على تهدئة القوم فان ما تريدونه جنون، والعقل والحكمة اين العقلاء فيكم، ولكن لا حياة لمن تنادي، فقد بلغوا من الامر ذروته، وبلغت الفورة الشاذة الى اندفاعهم المحموم وتحديهم السافر. وعاد يحاول اثارة النخوة في نفوسهم، لا تخزون في ضيفي لا تفضحوني وتذلوني في اضيافي **﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد﴾**[1].

ما لنا في بناتك من ارب ولا حاجة وانت تعلم ما نريد، وهو اتيان الذكور صراحة، هكذا بصراحة، وكأنك تجهل الامر الذي تعرفه الدنيا، **﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾**[2] فانهم في غوايتهم وشدة غلمتهم حيارى **﴿قالوا اولم ننهك عن العلمين﴾**[3] قال الرازي: المعنى لسنا نهيناك ان تكلمنا في احد من الناس اذا قصدناه بفاحشة[4]؟. احس لوط بضعفه وهو الغريب بين قوم لئام، نازح اليهم، لا تحميه عشيرة، ولا سند له، دخله غضب شديد، فاغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب **﴿قال لو إن لي بكم قوة او ءاوي الى ركن شديد﴾**[5] وفي الحديث «رحم الله اخي لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد»[6] يريد ان الله كان ناصره فهو ركنه الشديد وسنده القوي. وقال قتادة: وذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبياً من بعد لوط الا في منعة من عشيرته[7].

وحين سمع الملائكة تحسر لوط على ضعفه وانقطاعه من الانصار، حيث بلغ الضيق ذروته، وقال النبي كلمته تحرك الاضياف ونهضوا فجأة **﴿قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك﴾** الله سندك وناصرك نحن رسله ارسلنا لاهلاكهم وانهم لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه، فلا تجزع ولا تخف **﴿قال انكم منكرون﴾** قالوا **﴿وأتيناك بالحق وانا لصادقون﴾**.

فتسوروا الجدران: قالوا يا لوط افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب، فضربهم جبريل بجناحه فطمس اعينهم وعموا، وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجاء النجاء، فقد القوم ابصارهم بعد ان فقدوا بصيرتهم وراحوا يتخبطون بالجدران وكانوا يتخبطوا في الضلال، خرجوا من البيت وهم يظنون انهم يدخلونه، انقلبوا على اعقابهم خاسرين، فقد خسروا الدنيا والآخرة **﴿ولقد راودوه**

(١) هود ٧٩.
(٢) الحجر ٧٢.
(٣) الحجر)٧.
(٤) الفخر الرازي ١٩/٢٠٢.
(٥) هود ٨٠.
(٦) اخرجه الشيخان عن ابي هريرة مرفوعاً.
(٧) روح المعاني ١٢/١٠٨.

عن ضيفه فطمسنا اعينهم **فذوقوا عذابي ونذر﴾**[1]. انتهت مهمة لوط مع القوم المسرفين. **﴿فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾**[2] واوحينا الى لوط ذلك الامر العظيم: ان اولئك المجرمين سيستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد، اذا دخل الصبح، فقال اريد اعجل من ذلك. قالوا اليس الصبح بقريب. فاسر باهلك ليلاً اخرج من بين اظهرهم انت واهلك ببقية من الليل، وستسمعون اصواتاً مروعة تزلزل الجبال، ولا يلتفت منكم احد وراءه، كي لا يصيبه ما يصيب القوم، وكن خلف اهلك على اثرهم لتطلع عليه وعلى احوالهم. ثم ان لوطاً سرى بمن معه قبل الفجر، ولما حان وقت عذابهم. فكانت جريمتهم غريبه وعذابهم اغرب يكفي ان يقع المرء ميتاً بمجرد النظر الى عذابهم.

﴿فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها﴾[3] فلما جاء وقت العذاب امر الله جبريل فاقتلع قوم لوط وهي خمس وقيل سبع ـ من تخوم الارض حتى ادناها من السماء بما فيها حتى سمع اهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم ارسلها مقلوبة واتبعهم الله بالحجارة شبهها بالمطر لكثرتها وشدتها منضودة متتابعة بعضها اثر بعض مسومة معلمة قد كتب على كل حجر اسم من يرمى به، وقوله عند ربك دليل على انها ليست من حجارة الارض. **﴿والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى﴾**[4]، اي وقرى قوم لوط اهواها فاسقطها على الارض بعد ان انقلب بهم فصار عاليها سافلها، فغطاها من فنون العذاب ما غطى. قال في البحر: والمؤتفكة هي مدائن قوم لوط. **﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾**[5] وقت الشروق فكان العذاب الصبح وانتهاؤه عند الشروق: **﴿وانها لبسبيل مقيم﴾**[6] القرى المهلكة وما ظهر بها من آثار قهر الله وغضبه لبطريق ثابت لم يندرس يراها المجتازون **﴿وتركنا فيها ءاية للذين يخافون العذاب الاليم﴾** علامة هلاكهم واضحة، وجعلت محلتهم بحيرة منتنه خبيثة **﴿فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين(٢٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾**[7] فما كان فيها بعد البحث والتفتيش غير اهل بيت واحد من المسلمين، قال مجاهد: هم لوط وابنتاه، والغرض بيان قلة المؤمنين، وامرأة لوط قيل لم يخرج بها وقال القرطبي: ان امرأة لوط لما سمعت هده العذاب التفتت وقالت واقوماه، فادركها حجر فقتلها وبذلك انطوت صفحة قوم لوط. وطويت صفحة الفساد.

(١) سورة القمر ٣٧.
(٢) الحجر ٦٥ ـ ٥٦.
(٣) هود ٨٢.
(٤) النجم ٥٣ ـ ٥٤.
(٥) الحجر ٧٣.
(٦) الحجر ٧٦.
(٧) الذاريات ٣٥ ـ ٣٦.

مريم ابنة عمران/ والملائكة

قال تعالى **﴿واذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم﴾**[1] تبدأ قصة مريم ابنة عمران من وقت قول امرأة عمران **«رب اني نذرت لك ما في بطني محررا»**.

وامرأة عمران اسمها حنة بنت فاقود وهي ام مريم. وعمران هذا غير عمران ابي موسى عليه السلام وبينهما نحو الف وثمانمائة سنة، حيث قالت لما احست بالحمل واشتاقت للولد، فدعت الله رب اني نذرت ان اجعل لك ما في بطني محرراً عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا، لخدمة بيتك المقدس ـ مخلصاً للعبادة والخدمة ـ ليس لاحد عليه يد ولا تصرف، فتقبل مني انك انت السميع العليم بالنيات، وكان هلك عمران وهي حامل. **﴿فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطـٰن الرجيم﴾**[2] اي فلما ولدتها جارية وكانت ترجو ان يكون غلاما، اذ لم يكن يحرر الا الغلمان ـ **قالت** على وجه التحسر والاعتذار ـ يا رب انها انثى.

قال ابن عباس: انما قالت هذا لانه لم يكن يقبل في النذر الا الذكور ـ فقبل الله مريم ـ **وليس الذكر كالانثى** ـ وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت، لانه يقصد للخدمة وهي **لا تصلح** لضعفها وعورتها، وما يعتريها من الحيض ونحوه، ويجوز ان تكون الجملتان معترضتان من كلامه تعالى. تعظيما لشأن هذه المولودة وما علق بها من عظائم الامور وجعلها وابنها آية للعالمين.

واني سميتها مريم: اي سميت هذه الانثى مريم، ومعناه في لغتهم العابدة خادمة الرب. واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، امنعها وأجيرها بحفظك وأولادها من شر الشيطان الرجيم ـ وفي الحديث «ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم

(١) ال عمران ٣٥.
(٢) آل عمران ٣٦.

وابنهـا»[1] ﴿**فتقبلهـا ربهـا بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يمريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[2] قبلها من امها قال ابن عباس: سلك بها طريق السعداء. ﴿**وانبتها نباتا حسنا**﴾ واتت بها الاحبار ـ سدنة بيت المقدس ـ فقالت: دونكم هذه النذيره. فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم، فقال زكريا انا احق بها لان خالتها عندي، فقالوا لا. حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون الى نهر الاردن، والقوا اقلامهم على ان من يثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت قلم زكريا فأخذها. وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد اليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف[3] ﴿**وما كنت لديهم اذ يلقون أقلمهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون**﴾[4] وما كنت عندهم حاضرا وهم يتنافسون على كفالة مريم حين القوا سهامهم للقرعة كل يريدها في كنفه ورعايته.

والغرض ان هذه الاخبار من الله العليم الخبير. قال ابن كثير، وانما قدر الله كون زكريا كافلا لها لسعادتها لتقتبس منه علما جما وعملا صالحا. ﴿**وكفلها زكريا**﴾ اي ضمها اليه وجعل زكريا كافلا لها، ومتعهد للقيام بمصالحها، وهو زوج خالتها. ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا**﴾[5].

وكلما دخل عليها زكريا حجرتها، مكان عبادتها، وجد عندها فاكهة. ﴿**قال يمريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾[6] سألها من اين يجيء لك هذا الرزق الذي أرى عندك في غير أوانه رزقا واسعا بغير جهد ولا تعب. قالت هو من عند الله. ان الله يرزق من يشاء بغير حساب، قالت ذلك وهي صغيرة. هو من عند الله، الله يأتيني به من الجنة فكان ذلك بداية تهيئة مريم نفسيا للمعجزة، وكذلك تهيئة للمجتمع الذي تعيش فيه وهم اقرب الناس عليها كزكريا والاحبار بما يشاهدونه من طاعتها ويسمعونه عن تربيتها وتنشأتها وصلاحها والرزق الحسن من عند الله عز وجل.

(١) رواه الشيخان.
(٢) آل عمران ٣٧.
(٣) تفسير الجلالين.
(٤) آل عمران ٤٤.
(٥) آل عمران ٣٧.
(٦) آل عمران ٧٣.

فكانت الملائكة تاتيها بالرزق الحسن وتخبرها ان هذا من عند الله لك من الجنة. ﴿**وإذ قالت الملئكة يمريم ان الله اصطفك وطهرك واصطفك على نساء العلمين**﴾[1] تناديها الملائكة وتكلمها يا مريم ان الله اختارك من بين سائر النساء فخصك بالكرامات، وطهرك من الادناس والاقذار ومن مسيس الرجال، واصطفاك على نساء العالمين ـ نساء اهل زمانها ـ فبعد ان كانت الملائكة تحضر لها الفاكهة من الجنة لتؤلف قلبها وتهيئها بامر الله، اذ الملائكة تخاطبها وتبشرها باختيارها على نساء العالمين لمعجزة ارادها، وتعلمها التقرب الى الله وحسن العبادة والتربية الصالحة ﴿**يمريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين**﴾[2] فالزمي عبادته وطاعته وشكره على اصطفائه وصلي مع المصلين. ﴿**اذ قالت الملئكة يمريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين**﴾[3] ها هي تبشرها بالمعجزة يا مريم ان الله يبشرك بمولود يحصل بكلمة أمر مبتدأها الله من غير توسط الاسباب العادية بأمر كن فيكون غلاما اسمه عيسى ولقبه المسيح، ونسبه الى مريم، الملائكة تنبئها انها ستلده بلا أب. اذ عادة الرجال نسبتهم الى آبائهم، وجيها في الدنيا والآخرة: ذا جاه وقدر وشرف وسيدا معظما فيها بالنبوة في الدنيا، والآخرة بالشفاعة والدرجات العلا. ومن المقربين عند الله، وقوله: اذ قالت الملائكة: القائل من الملائكة مبهم وغير معروف، انما هي لا تزال تهيئة مريم نفسيا للمعجزة.

﴿**ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصلحين**﴾[4] يكلم الناس حال كونه صغيرا قبل أوان كلامه وفي حال الكهولة. قال الزمخشري: ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حالة الطفولة والكهولة[5]. ـ ومن الصالحين: وهو من الكاملين في التقى والصلاح. ﴿**وقالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون**﴾[6] قالت يا رب كيف يكون لي ولد، وذلك قبل ان يتمثل لها جبريل، فهي تناجي الله، كيف يأتيني الولد وانا لست متزوجه، وكما تعجب ابراهيم من قبل وزوجته سارة عندما بُشرا باسحاق كذلك تعجبت مريم، باعتبار العادة دون القدرة، فان الله قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين ﴿**ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾[7] شأن

(١) آل عمران ٤٢.
(٢) آل عمران ٤٣.
(٣) آل عمران ٤٥.
(٤) آل عمران ٤٦.
(٥) لكشاف ١/ ٢٧٨.
(٦) آل عمران ٤٧.
(٧) آل عمران ٥٩.

عيسى بالنسبة لقدرة الله حيث خلقه من غير أب كشأن آدم حيث خلقه من غير ابوين بل شأن آدم اعجب، فمن آمن بقدرته تعالى في خلقه آدم من تراب كيف لا يؤمن بها في خلق عيسى من مريم من غير أب. فرد الملك عليها قائلا: كذلك اي الامر كذلك يخلقه كما قلت من غير اب هكذا امر الله عظيم، الله يخلق ما يشاء، لا يعجزه شيء يخلق بسبب ومن غير سبب، اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون، فورا بلا مهلة، بأمر المطاع الى المطيع في حصول المأمور من غير امتناع ولا توقف.

﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل﴾[1] يعلمه الكتابة والخط ليستفيد منهما، ويحفظ التوارة والانجيل - قال ابن كثير: وقد كان عيسى يحفظ هذا وهذا وكذلك يرسله رسولا الى بني اسرائيل في الصبا او بعد البلوغ قائلا لهم اني رسول الله اليكم، مؤيدا بالمعجزات...

﴿واذكر في الكتب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا﴾[2] اذكر خبر مريم حين اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار للتخلي للعبادة وكأنها القت بنفسها الى جانب معتزلة الناس. ﴿فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾[2] اي جعلت بينها وبين قومها سترا وحاجزا حيث بلغت سن الحلم وفي هذه السن لا بد لها من الاغتسال والامور الخاصة بالمرأة، والعبادة مختفية عن الانظار.

وبعد ان هيئت نفسيا اصبحت مهيئة جسديا للمعجزة التي بشرت بها، ارسلنا اليها روحنا وهو جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا، اي تصور لها في صورة البشر التام الخلقه.

قال المفسرون: لتستأنس كلامه ولا تنفر منه، ولو بدى بالصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على السماع لكلامه. ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن[3].

﴿قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا﴾[4] فزعت منه وخشيت ان يكون انما ارادها بسوء فقالت اني التجيء واحتمي الى الله منك - وجواب الشرط تقديره ان كنت تقيا فاتركني ولا تؤذيني

(١) آل عمران ٤٨.
(٢) مريم ١٥ - ١٦.
(٣) البحر ٦/١٨٠.
(٤) مريم ١٨.

- ان كان يرجى منك التقوى فاني عائذة بالله منك **﴿قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا﴾**[1] قال لها جبريل عليه السلام مزيلا لما حصل عندها من الخوف، ما أنا الا ملك مرسل من عند الله اليك ليهب لك غلاما طاهرا من الذنوب، مزكى مطهرا بالخلقة ونبيا، **﴿قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا﴾**[2] على اي صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج حتى يأتيني الولد ولست بزانية فاجرة تبغي الرجال او يبغيها الرجال للفجور بها.

﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله ءاية للناس ورحمة منا وكان امراً مقضياً﴾[3] كذلك الامر من خلق الغلام منك من غير الاب. فان ذلك على الله يسير، ليكون مجيئه دلالة للناس على قدرتنا العجيبة، ورحمة لهم ببعثة نبيا يهتدون بارشاده، وانتهى الحوار بين الروح الامين ومريم العذراء.

﴿ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمٰت ربها وكتبه وكانت من القٰنتين﴾[4] حفظت فرجها وصانته من الفواحش، فهي عفيفة شريفة طاهرة، لا كما يزعم اليهود لعنهم الله.

فنفخ جبريل في فتحة جيبها فوصل اثر ذلك الى فرجها فحملت بعيسى. **﴿والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها ءاية للعٰلمين﴾** واضاف الروح الى نفسه وهو جبريل عليه السلام على جهة التشريف. وجعلنا مريم مع ولدها علامة واعجوبة للخلق تدل على قدرتنا ليعتبر الناس **﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا﴾** فحملت بالجنين فاعتزلت وهو في بطنها بعيدا عن أهلها خشية ان يعيروها. فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت **﴿يٰليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾**[5] **فالجأها الم الطلق وشدة الولادة الى ساق النخلة وكانت يابسة لتعتمد عليها عند الولادة. قالت يا ليتني كنت قد مت قبل هذا اليوم وكنت شيئا تافها لا يذكر متروكا مطروحا قال ابن كثير: عرفت انها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود، فتمنت الموت لانها عرفت ان الناس لا يصدقونها في خبرها وبعدما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عاهرة زانية، ولذلك قالت ما قالت**[6].

(١) مريم ١٩.
(٢) مريم ٢٠.
(٣) مريم ٢١.
(٤) التحريم ١٢.
(٥) مريم ٢٢.
(٦) مختصر ابن كثير ٢/٤٤٨.

﴿فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾[1] ناداها جبريل عليه السلام من تحت النخلة قائلا لها لا تحزني لهذا الامر قد جعل ربك تحتك سريا: اي انسانا رفيع القدر والمراد به عيسى عليه السلام. وقيل ضرب جبريل برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا صغيرا، وسمي سريا لان الماء يسري فيه.

﴿وهزي اليك بجذع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا﴾[2] امرها بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى من احياء موات الجذع بعد رؤيتها عين الماء الذي جرى عذبا وذلك ليسكن المها وتعلم ان ذلك كرامه من الله وان الله لن يضيعها **﴿وجعلنا ابن مريم وامه ءاية وآوينهما الى ربوة ذات قرار ومعين﴾**[3] لان الآية فيهما واحدة. وأنزلناهما في ربوة اوصلناهما اليها فكانت مسكنهما، والربوة: المكان المرتفع وهي ذات قرار مستويه يستقر عليها ساكنوها. ويؤوى اليها لما فيها من الثمار والزروع. ومعين الماء الجاري على وجه الارض. قال قتادة: ذات ثمار وماء يعني لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها[4]. **﴿فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا﴾**[5] فكلي من الرطب واشربي من الماء وطيبي نفسا بهذا المولود ولا تحزني فإن رأيت احدا من الناس وسألك عن شأن المولود فامسكي عن الكلام والزمي الصمت في شأنه، أمرت بالكف عن الكلام ليكفيها ولدها ذلك فتكون ءاية. **﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يمريم لقد جئت شيئا فريا﴾**[6] اتت قومها بعد ان طهرت من النفاس تحمل ولدها عيسى على يديها، فرأوه، قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً عظيما وعجيباً. اعظموا امرها واستنكروه **﴿يأخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا﴾**[7] كقولك يا اخا العرب، وقيل هارون اخو موسى عليه السلام وكانت من نسله، وقيل هو رجل صالح في بني اسرائيل بمعنى يا شبيهته في العفة، يا شبيهه هارون في الصلاح والعبادة، ما كان ابوك رجلا فاجرا، وما كانت امك زانية، فكيف صدر هذا منك وانت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة. قال السهلي: هارون رجل من عباد بني اسرائيل المجتهدين كانت مريم تتشبه به في اجتهادها وليس بهارون اخي موسى بن عمران فان بينهما دهرا طويلا[8]

(١) مريم ٢٤.
(٢) مريم ٢٥.
(٣) المؤمنين ٥٠.
(٤) التفسير الكبير ٢٣/١٠٣.
(٥) مريم ٢٦.
(٦) مريم ٢٧.
(٧) مريم ٢٨.
(٨) مختصر ابن كثير ٢/٤٥٠.

﴿فـأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾[1] لم تجبهم واشارت الى عيسى ليكلموه ويسألوه، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا طفلا يغتذي بلبان امه؟ قال الرازي: روي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل بوجهه وكلمهم، ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان[2].

﴿قال اني عبد الله ءآتاني الكتب وجعلني نبيا﴾[3] قال عيسى حين كلمهم، أنا عبدالله خلقني بقدرته من دون أب، وقدم ذكر العبودية ليبطل قول من ادعى فيه الربوبية. سبق في قضاءه ايتائي الكتاب.

اي قضى ربي ان يؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا، وانما جاء بلفظ الماضي لافادة تحققه، فان ما حكم به الله أزلا لابد ان يقع **﴿وجعلني مباركا اين ما كنت واوصني بالصلوٰة والزكوٰة ما دمت حيا﴾**[4] جعل في البركة والخير والنفع للعباد حيثما كنت واينما حللت، واوصاني بالمحافظة على الصلاة والزكاة مدة حياتي.

﴿وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا﴾[5] وجعلني باراً بوالدتي محسنا لها ولم يجعلني متعظما متكبرا على احد شقيا في حياتي عاصيا لربي. **﴿والسلٰم علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا﴾**[6] سلام من الله علي في يوم ولادتي وفي يوم مماتي وفي يوم خروجي من قبري ـ هذا ما نطق به المسيح عليه السلام وهو طفل رضيع في المهد ـ وهكذا يعلن عيسى عبوديته لله فليس هو الهاً ولا ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى انما عبدالله ورسوله، يحيى ويموت كسائر البشر خلقه الله من ام دون أب ليكون آية على قدرة الله الباهرة **﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾**[7] ذلك هو قول الحق اي حال كون عيسى لا ما يصفه النصارى ويشكون في امره. ولهذا جاء التعقيب **﴿ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحنه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون﴾**[8] فقال **﴿يـأهل الكتٰب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فئامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله الٰه واحد سبحنه ان يكون له ولد له ما في السموٰات وما في الارض وكفى بالله وكيلا﴾**[9] اي يا

(١) مريم ٢٩.
(٢) التفسير الكبير ٢١/٢٠٨.
(٣) مريم ٣٠.
(٤) مريم ٣١.
(٥) مريم ٣٢.
(٦) مريم ٣٣.
(٧) مريم ٣٤.
(٨) مريم ٣٥.
(٩) النساء ١٧١.

معشر النصارى لا تتجاوزوا الحد في امر الدين بافراطكم في شأن المسيح، والغلو: هو مجاوزة الحد، ولا تقولوا على الله الا القول الحق من تنزيهه عن الشريك والولد. ما عيسى الا رسول من رسل الله، وكلمته اوصلها الى مريم، اي خلقه بكلمة كن من غير توسط سبب عادي فكان من غير واسطة اب ولا نطفة، وذو روح من امر الله، واضيف اليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم ابن الله او ثالث ثلاثة. لان ذا الروح مركب، والاله منزه عن التركيب وعن نسبه المركب اليه، ذو روح مبتدأه من امر الله، وهو اثر نفخة جبريل في صدر مريم، حيث حملت بتلك النفخة بعيسى، فآمنوا بالله بوحدانيته، وصدقوا رسله أجمعين وفي الحديث «من شهد ان لا اله الا الله، وحده لا شريك له، وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم، وروح منه، وان الجنة حق والنار حق، ادخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل»[1] **﴿ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقه كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾**[2] ما المسيح الا رسول كالرسل السابقة الذين تقدموه، خصه الله تعالى ببعض الآيات الباهرات، اظهارا لصدقه، كما خص بعض الرسل.

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجت وءاتينا عيسى ابن مريم البينت وأيدنه بروح القدس﴾[3] اي فضلنا بعضهم على بعض في الرفعة والمنزلة والمراتب العالية، فمنهم من خصه الله بالتكليم بلا واسطة كموسى عليه السلام، ومنهم من خصه الله بالمرتبة الرفيعة السامية كخاتم المرسلين محمد ﷺ. فهو سيد الاولين والآخرين في الدنيا والآخرة وكأبي الانبياء ابراهيم الخليل، ومنهم من اعطاه الله المعجزات الباهرات كإحياء الموتى وابراء الاكمة والابرص، والاخبار عن المغيبات، وقويناه بجبريل الامين وهو عيسى بن مريم عليه السلام ولو شاء لجعل الناس متفقين على اتباع الرسل كما ان الرسل متفقون على كلمة الحق. ولو شاء لجعل البشر على طبيعة واحدة فان احيا الموتى على يده، فقد احيا العصا في يد موسى وجعلت حيه تسعى وهي اعجب وان خلق من غير اب، فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب وخلقت حواء من غير ام وفي الحديث الطويل عن عمر بن الخطاب يرثي رسول الله ﷺ فيه «لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله احياء الموتى فماذا باعجب من الشاة المسومة حين كلمتك وهي مشويه فقالت لك الذراع: لا تأكلني فاني مسمومة. والمعجزات للرسل من الله عز وجل دليل بعثهم واظهارا

(١) متفق عليه من حديث عباده بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) المائدة ٧٥.

(٣) البقرة ٢٥٣.

لحجتهم. وامه صديقه مبالغة في الصدق مخلوقة كسائر المخلوقات مركب من عظم ولحم ودم وعروق واعصاب وفيه اشارة لطيفة الى ان من ياكل ويشرب لا بد ان يكون بحاجة الى اخراج ومن يكن هذا حاله فكيف يعبد او كيف يتوهم أنه اله وكيف يصرفون عن اتباع الحق، انتهوا ولا تقولوا ثلاثة الله وعيسى وأمه الله ثلاثة الاب والابن والروح القدس والثلاثة واحد وواحد ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد ﴿**اذ قال الله يٰعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحٰنك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب**﴾[1] ما امرتهم الا ما امرتني به. قلت لهم اعبدوا الله خالقي وخالقكم فانا عبد مثلكم. وسورة آل عمران تناولت النصارى الذين جادلوا في شأن المسيح وزعموا ألوهيته، وقد تناول الحديث عنهم ما يقرب من نصف السورة الكريمة، وكان فيها الرد على الشبهات التي أثاروها بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة، وبخاصة فيما يتعلق بشأن مريم وعيسى عليه السلام.

وحين جاء وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا، فيهم اربعة عشر من اشرافهم ثلاثة منهم اكابرهم «عبد المسيح» اميرهم و «الايهم» مشيرهم و «أبو حارثه بن علقمة» حبرهم، فقدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم منهم اولئك الثلاثة معه فقالوا تارة عيسى هو «الله» لانه كان يحيى الموتى، وتارة هو «ابن الله» اذ لم يكن له أب وتارة انه «ثالث ثلاثة» لقوله تعالى ﴿**فعلنا وقلنا**﴾ ولو كان واحدا لقال ﴿**فعلت وقلت**﴾ فقال لهم رسول الله ﷺ: الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يموت!! قالوا: بلى، قال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه!! قالوا بلى، قال الستم تعلمون ان ربنا قائم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك؟ قالوا: لا، قال الستم تعلمون: أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهل علم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم؟ قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وان عيسى كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث!! قالوا: بلى فقال ﷺ فكيف يكون كما زعمتم؟ فسكتوا وأبو الا الجحود فانزل الله من اول السورة الى نيف وثمانين آية[2].

(١) المائدة ١١٦/٨

(٢) الفخر الرازي ١٦٥/٧.

زكريا والملائكة

هو من ذرية ابراهيم الكاملين الصلاح ونبي مرسل الى بني اسرائيل. قال تعالى: **﴿ووهبنا له اسحٰق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داوٗد وسليمٰن وأيوب ويوسف وموسى وهرٰون وكذلك نجزي المحسنين(٨٤) وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصلحين﴾**[١] قال ابن كثير: يذكر تعالى انه وهب لابراهيم اسحاق بعد أن طعن في السن وأيس من الولد، وبشر بنبوته، وبأن له نسلاً وعقباً، وهذا اكمل في البشارة واعظم في النعمة، وكان هذا مجازاة لابراهيم حين اعتزل قومه وهاجر من بلادهم لعبادة الله، فعوضه الله عن قومه وعشيرته باولاد صالحين من صلبه لتقر بهم عينه[٢]. وذكر تعالى نوحاً لانه أب البشر الثاني، وذكر شرف ابناء ابراهيم وشرف آبائه **﴿ومن ذريته داود وسليمٰن﴾** ومن ذرية ابراهيم هؤلاء الابناء الانبياء الكرام. فزكريا من اولاد ابراهيم، وهو من الكاملين الصلاح، ونبي مرسل الى بني اسرائيل.

وتبدأ هذه القصة من قوله تعالى **﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا﴾**[٣] جعل زكريا كافلاً لمريم ومتعهدا للقيام بمصالحها، وهو زوج خالتها وذلك بالقرعة التي اجروها **﴿وما كنت لديهم اذ يلقون اقلٰمهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون﴾**[٤] فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد اليها غيره وكان يأتيها باكلها وشربها ودهنها وما تحتاجه فيجد فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء **﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يٰمريم أنىّٰ لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**[٥] قال ابن كثير والآية فيها دلالة على كرامات الاولياء، في ذلك الوقت الذي رأى فيه زكريا كرامه الله لمريم دعا ربه متوسلا ومتضرعاً **﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾**[٦] قال رب ارزقني ولداً صالحاً، وكان شيخا

(١) الانعام ٨٤، ٨٥.
(٢) مختصر ابن كثير ١/٥٩٦.
(٣) آل عمران ٣٧.
(٤) آل عمران ٤٤.
(٥) آل عمران ٣٧.
(٦) آل عمران ٣٨.

كبيراً، وامرأته عجوز وعاقر، انك سميع الدعاء مجيب لدعاء من ناداك، ﴿**ذكر رحمت ربك عبده زكريا(٢) اذ نادى ربه نداء خفيا(٣) قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا**﴾[١] هذا ذكر رحمة ربك بعبده زكريا نقصه عليك يا محمد حين ناجى ربه ودعاه بصوت خفي لا يكاد يسمع، لان الاخفاء في الدعاء أدخل في الاخلاص. وابعد من الرياء، دعا في ضراعة قائلا: يا رب لقد ضعف عظمي وذهبت قوتي، اني وهن العظم مني وانتشر الشيب في راسي انتشار النار في الهشيم، ولم تخيب دعائي في وقت من الاوقات، بل عودتني الاحسان والجميل، فاستجب الآن دعائي كما كنت تستجيبه من قبل، قال البيضاوي: هذا توسل بما سلف من الاستجابة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها. ومن حق الكريم ان لا يخيب من أطعمه[٢] ﴿**واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا(٥) يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا**﴾[٣] اي خفت بني العم والعشيرة من بعد موتي ان يضيعوا الدين، ولا يحسنوا وراثة العلم والنبوة وكانت امرأتي عاقرا لم تلد، فهب لي وارزقني من محض فضلك ولدا صالحاً يتولاني، يرثني ويرث اجداده في العلم والنبوة. قال البيضاوي: المراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال[٤] قال الرازي: قدم زكريا عليه السلام على طلب الولد امورا ثلاثة: احدهما كونه ضعيفا والثاني ان الله ما رد دعاءه البتة والثالث كونه المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين ثم صرح بسؤال الولد.

وذلك مما يزيد الدعاء توكيدا لما فيه من الاعتماد على حول الله وقوته، والتبري عن الاسباب الظاهرة[٥] ﴿**فنادته الملئكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمه من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين**﴾[٦] نادته الملائكة حال كون زكريا قائما في الصلاة. ان الله يبشرك بيحيى. ﴿**يا زكريا انا نبشرك بغلم اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا**﴾[٧] غلام يسمى يحيى لم يسم احد قبله بهذا الاسم سماه الله تعالى ولم يترك تسميته لوالديه. مصدقا بعيسى موقنا برسالته، وسمي عيسى كلمة الله لانه خلق بكلمة كن من غير اب، وسيدا يسود قومه ويفوقهم، وحصورا يحبس نفسه عن الشهوات عفه وزهدا ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك، ونبيا من الصالحين، بشارة ثانية بنبوته بعد ولادته.

﴿**قال رب أنى يكون لي غلم وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء**﴾[٨]

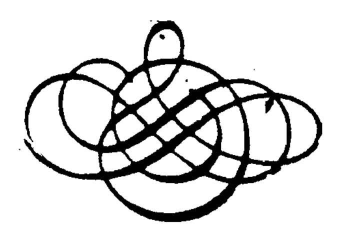
(١) مريم ٢، ٣، ٤.
(٢) البيضاوي ٢/١٤.
(٣) مريم ٥، ٦.
(٤) البيضاوي ٢/١٤.
(٥) التفسير الكبير ٢١/١٨١.
(٦) آل عمران ٣٩.
(٧) مريم ٧.
(٨) آل عمران ٤١.

كيف يأتيني الولد وقد ادركتني الشيخوخة والعقم في الزوجة وكل من السببين مانع من الولد **﴿قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾** لا يعجزه شيء **﴿قال رب انى يكون لي غلٰم وكانت امرأتي عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا(٨) قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾**[١] يستفهم بتعجب وسرور بالامر العجيب كيف يكون لي غلام، والحال ان امرأتي كبيرة السن لم تلد في شبابها فكيف وهي عجوز بلغت من الكبر الشيخوخة، اراد ان يطمئن ويعرف الوسيلة التي يرزقه بها هذا الغلام، قالت الملائكة لزكريا كذلك قال الله، اخلقه من شيخين كبيرين، وخلقه وايجاده سهل علي يسير. قال المفسرون: ليس في الخلق هين وصعب على الله، وانما هو اهون في اعتبار الناس، فان القادر على الخلق من العدم قادر على الخلق من شيخين هرمين **﴿قال رب اجعل لي ءاية قال ءايتك الا تكلم الناس ثلٰثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكٰر﴾**[٢] اجعل لي علامة تدل على حمل امرأتي، قال علامتك عليه ان لا تقدر على كلام الناس الا بالإشارة ثلاثة ايام بلياليهن مع انك سوي صحيح والغرض: انه ياتيه مانع يمنعه من الكلام بغير ذكر الله ـ قال ابن عباس: اعتقل لسانه من غير مرض ـ وقال ابن زيد: حبس لسانه فكان لا يستطيع ان يكلم احدا وهو مع ذلك يسبح ويقرأ التوواة.

منع من الكلام ولم يمنع من الذكر والتسبيح وذلك في الاعجاز اكبر، وسبح بالعشي والابكار. **﴿قال رب اجعل لي ءاية قال ءايتك الا تكلم الناس ثلٰث ليال سويا(١٠) فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا﴾**[٣] اشرف عليهم من المصلى وهو بتلك الصفة فاشار الى قومه بان سبحوا الله اول النهار وآخره، وكان كلامه مع النٰاس بالاشارة **﴿وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين﴾**[٤] حين دعا ربه دعاء مخلص منيب قائلا يا رب لا تتركني وحيدا بلا ولد ولا وارث، وانت يا رب خير من يبقى بعد كل من يموت **﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسرٰعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خشٰعين﴾**[٥] فأجبنا دعائه ورزقناه ولدا واسمه يحيى على شيخوخته. وجعلنا زوجه ولودا بعد ان كانت عاقرا وذلك لانهم كانوا صالحين يجدون في طاعة الله، ويتسابقون في فعل الطاعات وعمل الصالحات ويدعوننا طمعا ورجاءً في رحمتنا وخوفا وفزعا من عذابنا، وكانوا متذللين خاضعين لله

(١) مريم ٨، ٩.
(٢) آل عمران ٤١.
(٣) مريم ٩، ١٠.
(٤) الانبياء ٨٩.
(٥) الانبياء ٩٠.

يخافونه في السر والعلن ﴿يٰيحيى خذ الكتٰب بقوة وءاتينٰه الحكم صبيا(١٢) وحنانا من لدنا وزكوٰة وكان تقيا(١٣) وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا(١٤) وسلٰم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا(١٥)﴾[١] فلما ولد يحيى وبلغ السن الذي يؤمر فيه قال الله يا يحيى خذ الكتاب التوراة بجد واجتهاد واعطاه الحكمة ورجاحة العقل منذ الصغر. . روي ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقيل اعطي النبوة منذ الصغر[٢]. فعلناه رحمة منا وعطفا على والديه وتزكية له من الخصال الذميمة وكان عبداً صالحاً متقيا لله ـ قال ابن عباس: طاهراً لم يعمل بذنب وجعلناه، بارا بوالديه محسنا اليهما، وسلام عليه يوم ولد الى حين مبعثه.



(١) مريم ١٢، ١٣، ١٤، ١٥.

(٢) صفوة التفاسير.

السر في جمع قصة مريم وزكريا

القرآن الكريم يعرض المعجزة لاثبات طلاقة القدرة الالهية، وانه خالق الاسباب والمسببات، وهو القادر على تغييرها او خرقها كيف يشاء.

فمثلا اعتاد الناس في قضية البقاء والتناسل والتكاثر، انه مشروط بالتقاء رجوله وانوثة فينشأ اخصاب وحمل بشرط رجولة مكتملة وانوثة غير ناقصة. فيتم التكاثر.

فتأتي المعجزة لتثبت ان بقاء النوع ليس مرهون بالذكر والانثى ولكن ـ بمشيئة الله عز وجل ـ الله خلق آدم وهو اصل البشرية بلا ذكر ولا انثى، خلقه من تراب ونفخ فيه من روحه. فأصل البشرية غير متوقف على ذكر وانثى وانما ـ مشيئة الله عز وجل ـ وخلق حواء من آدم بلا انثى ـ ذكر بلا انثى ـ مشيئة الله عز وجل ـ ثم خلق البشرية كلها من الذكر والانثى ـ بقي ان يخلق الله من الانثى بلا ذكر ـ فتأتي المعجزة ميلاد عيسى عليه السلام من انثى لم يمسسها رجل. فالاسباب والمسببات ـ مشيئة الله عز وجل. والمعجزة ايضا مشيئة الله. وكذلك الاسباب والمسببات وهي سنة الله في خلقه هي معجزة. الله جعلها تمضي في الدنيا وجعل لها قوانين. ولكنه ايضا لم يطلقها بل ادخل فيها المشيئة.

﴿لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور(٤٩) او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير﴾[1] هو تعالى المالك للكون علوية وسفلية المتصرف فيه بالخلق والايجاد كيفما يشاء يعطي ويمنع لاراد لقضاءه ولا معقب لحكمه. فالله ان اراد للاسباب ان تفعل تفعل، وان ارادها ان تتعطل تتعطل، فلا حدود لقدرة الله سبحانه وتعالى. فاذا تعطلت الاسباب فالله خالق الاسباب وموجدها، فالمؤمن يأخذ بالاسباب، فاذا تعطلت يلجأ الى موجدها فلا ييأس ولا يقنط.

ففي سورة آل عمران بدأ بقصة ولادة مريم، وقصة ولادة يحيى، وقصة ولادة عيسى وكلها خوارق تدل على قدرة الله العلي القدير وفي سورة مريم عرضت السورة مبتدأة بقصة زكريا وولده

(١) الشورى ٤٩، ٥٠.

يحيى الذي وهبه على الكبر من امرأة عاقر لا تلد ولكن الله قادر على كل شيء، وسميت سورة مريم تخليدا للمعجزة في خلق انسان بلا اب ثم انطاق الطفل في المهد لتبرئة مريم وما جرى من احداث رافقت ميلاده عليه السلام، فربط بين القصتين فبدأ بولادة مريم وكفلها زكريا فبدأ بالرزق فاكهة في غير اوانها ورزق ليس موجود في الارض وكان قد علمها ان لكل شيء سببا وان الله يحدث ما يريد بلا اسباب تمهيدا للمعجزة **﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يمريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾**(1) فعندما رأى الرزق والمعجزات دعا زكريا ربه **﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء﴾**(2) فذكرته ان الله قادر على اختراق الاسباب لانه هو خالق الاسباب.

«هنالك» هنالك عند تذكرة، هنالك عند رؤيته القدرة، هنالك في المحراب، هنالك امام مريم، هنالك امام ناظريها، لتشهد ما يثبت فؤادها فيما اعده الله لها، تمهيدا للمعجزة، هنالك تسمع البشرى، فترى الخلق يتم بلا اسباب من امرأة عاقر وشيخ كبير، تمهيدا للمعجزة، وتهيئة لمريم، وتهيئة لزكريا، وتهيئة للمجتمع من حولها، ومع كل هذه المقدمات اهتزت مريم عندما رأت جبريل، وقد شهدت بام عينها ان الله قادر على تعطيل نواميس الكون، وايجاد المسببات بلا اسباب، شهدته في الرزق الحسن، شهدته في كلام الملائكة، شهدته في دعاء زكريا واجابته في المحراب امام عينها، ومع ذلك اهتزت.

من هنا يتبين لنا ان القصتان متكاملتان لا انفصال بينهما.

(1) آل عمران ٣٧.

(2) آل عمران ٣٨.

الخلاصة

١ - مريم كانت وسيلة وليست غاية للمعجزة، وليس كل من كلمه ملك رسولا ولا نبيا، ولكنها كانت صديقة أجريت المعجزة عن طريقها، وكانت كأي امرأة أخرى، ولكنها هيئت لهذه المعجزة تهيئة خاصة تتناسب مع المعجزة وخصت بكرامات في الدنيا والآخرة، جزاء كونها وسيلة للمعجـزة ومـا لحقها من تجريح وآلام وتصديقها بالله ورسله. وابتلاءها في الدنيا، ويكفيها ما ذكرت به في القرآن انها صديقة.

٢ - خلق عيسى بكلمة كن مصدرها الله عز وجل والتقت الكلمة بالنفخة التي نفخها جبريل وهي الروح فكان عيسى عليه السلام فلم يمر بالاطوار المعهودة لخلق ابن آدم في بطن امه، نطفه، ثم علقه، ثم مضغة، ثم عظاما الى آخر الاطوار لان اصله ليس نطفة وانما بكلمة كن فكان كامل الخلقة. فكان خلقه وحمله وولادته في اقل من ساعة، وبلا حبلا سريا.

٣ - كانت مهمة جبريل عليه السلام النفخ، فكل مخلوق من بني آدم، يخلّقه ملك، ويصوره ملك، فاذا اكمل اربعة اشهر نفخ ملك فيه الروح، فكانت مهمة جبريل عليه السلام نفخ الروح، قام بهذه المهمة رئيس الاملاك بنفسه مهمة خاصة يقوم بها رئيس الاملاك للتشريف والتكريم بأمر الله عز وجل.

٤ - خلق عيسى عليه السلام يشبه خلق حواء عليها السلام الا انها من أب بلا ام، وهو من ام بلا اب، ولم يثر حولها الجدل لانها كانت قبل خلق البشر، وضرب مثله بخلق آدم لانه اعجب من خلق عيسى عليهما السلام.

٥ - وقصة زكريا - وهب الله له يحيى وكانا شيخين كبيرين، كانت تهيئة الناس للمعجزة، ومبشر بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين، وجدير هذا بجعل الناس يفكرون بقدرة الله عز وجل سابقا ولاحقا.

٦ - «ان كل نفس لما عليها حافظ» وجبريل بنفسه كان يقوم بالمهمة ومهمة الوحي **﴿وايدناه بروح القدس﴾**.

الملائكة تكلم بعض الناس
وليس كل من كلمه ملك كان نبيا او رسولا

والله سبحـانـه وتعالى يقول ﴿إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكـروا يرضه لكم﴾(١). قال الرازي: اشار تعالى الى انه وان كان لا ينفعه إيمان، ولا يضره كفران، الا انه لا يرضى بالكفر. بمعنى انه لا يمدح صاحبه، ولا يثيبه عليه(٢).

وقـال ابو السعود: عدم رضاءه بكفر عباده لاجل منفعتهم، ودفع مضرتهم، رحمة بهم لا لتضرره تعالى بذلك ورضاه بشكرهم لاجلهم ومنفعتهم لانه سبب فوزهم بسعادة الدارين، ولهذا فرق بين اللفظين(٣).

فقد يرضى الله من احد عباده طاعة، فيرسل اليه ملك يبشره، وهذا الملك اما ان يتصور له بصورة بشر يكلمه، ليقويه على العبادة، فيبشره برضا الله بهذا العمل، او ان يوحي اليه ما يريد، او ان يلهمه الهاما، او بالرؤيا الصالحة.

تكليم الملائكة لمريم:

فقد كلمت الملائكة مريم ولم تكن رسولا ولا نبيا، وفي الحديث الصحيح ـ رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب (باب فضل الحب في الله) عن ابي هريرة رضـي الله عنه عن النبي ﷺ: «ان رجلا زار اخا له في قرية اخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى. قال: فإني رسول الله اليك، بأن الله قد احبك كما احببته فيه» رواه مسلم.

المدرجة: الطريق ـ تربها: تقوم بها، وتسعى فيها.

فالمراد من محبة الله للعبد، ارادة الخير والتوفيق، والحديث فيه تنويه لبيان ان الله يحب لعبادة

(١) الزمر ٧.
(٢) التفسير الكبير ٢٦/٤٦.
(٣) تفسير ابي السعود ٤/٣٠٢.

التزاور. **﴿وأوحينا الى ام موسى أن أرضعيه، فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رآدوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾**[1] قال ابن عباس: هو وحي الهام ـ وقال مقاتل: أخبرها جبريل بذلك ـ وقال القرطبي: فعلى قول مقاتل هو وحي اعلام لا الهام، واجمع الكل على انها لم تكن نبيه، وانما ارسال الملك اليها على نحو تكليم الملك للاقرع والابرص والاعمى، كما في الحديث المشهور وكذلك تكليم الملائكة للناس من غير نبوة[2].



(١) القصص ٧.

(٢) صفوة التفاسير ٢/٤٢٥.

تكليم الملائكة للناس

وعن ابي هريرة رضـي الله عنه «ان ثلاثة نفر من بني اسرائيل، ابرص، واقرع، واعمى، بدا لله ان يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص، فقال: اي شيء أحب اليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني النـاس فمسحه، فذهب، وأعطى لوناً حسناً، فقال: اي المال أحبُّ اليك؟ قال الابل، فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها، واتى الاقرع، فقال: اي شيء أحب اليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب هذا عني، قد قذرني الناس، فمسح، فذهب وأعطي شعراً حسناً، قال: فاي المال أحب اليك؟ قال: البقر، فاعطاه بقرة حاملا، وقال: يبارك لك فيها، وأتى الاعمى، فقال: اي شيء أحب اليك؟ قال رد الله الي بصري، فأبصر به الناس، فمسحه، فرد الله بصره، قال: فاي المال احب اليك؟ قال: الغنم، فاعطاه شاة والدا، فانتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم، ثم انه أتى الابرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم الا بالله، ثم بك، اسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه في سفري، فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني اعرفك الم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت، وأتى الأقرع في صورتـه وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا. قال ان كنت كاذباً فصيرك الله الى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم الا بالله، ثم بك، اسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى، فرد الله بصري، وفقيرا، فخذ ما شئت: فوالله لا احمدك اليوم لشيء أخـذته لله، فقال: امسك مالك: فانما ابتليتم، فقد رضى الله عنك، وسخط على صاحبيك» رواه البخاري ومسلم. وقد سلمت على «عمران بن حصين»

سجود الملائكة لآدم

قال تعالى: ﴿**واذ قال ربك للملٰئكة إني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني اعلم ما لا تعلمون**﴾[1].

قال ابن كثير: وقول الملائكة «أتجعل فيها من يفسد فيها» الآية: ليس هذا على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم، وانما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك. يقولون: ما الحكمة في خلق هؤلاء مع ان منهم من يفسد في الارض[2].

وقال في التسهيل: وانما علمت الملائكة ان بني آدم يفسدون، باعلام الله اياهم بذلك، وقيل كان في الارض جن فافسدوا، فبعث الله اليهم الملائكة، فقتلتهم، فقاس الملائكة بني آدم عليهم[3].

﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ الحجر ٢٧ اي من قبل خلق آدم

وأما السجود لأدم: فقد كررت هذه القصة في القرآن الكريم سبع مرات ـ تعليما للعباد امتثال الاوامر من الله عز وجل، واجتناب نواهيه، وتذكيرا لهم بعداوة ابليس لابيهم آدم، ودوام عدواته لبني آدم الى يوم القيامة. وفيما يلي مواقع هذه الآيات.

١ ـ في سورة البقرة: ﴿**واذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين**﴾آية ٣٤.

٢ ـ وفي سورة الاعراف ﴿**ولقد خلقنٰكم ثم صورنٰكم ثم قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من السٰجدين**﴾ آية ١١.

٣ ـ وفي سورة الحجر ﴿**ولقد خلقنا الانسٰن من صلصٰل من حمأ مسنون. والجآن خلقناه من قبل من نار السموم. وإذ قال ربك للملٰئكة اني خٰلق بشرا من صلصٰل من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له سٰجدين، فسجد الملٰئكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون من السٰجدين**﴾ من آية ٢٦ الى ٣١.

(١) البقرة ٣٠.
(٢) مختصر ابن كثير ١/٤٩.
(٣) التسهيل لابن جزي ١/٤٣.

٤ ـ وفي سورة الاسراء ﴿**واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا**﴾ آية ٦١ .
٥ ـ وفي سورة الكهف ﴿**واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظلمين بدلا**﴾ آية ٥٠ .
٦ ـ وفي سورة طه ﴿**واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى**﴾ آية ١١٦ .
٧ ـ وفي سورة ص ﴿**إذ قال ربك للملئكة اني خلق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له سجدين. فسجد الملئكة كلهم اجمعون. الا ابليس استكبر وكان من الكافرين**﴾ آية من ٧١ ـ ٧٤ .

نستفيد من الآيات : ١ ـ ان سجود الملائكة كان امتثالا لامر ربهم ـ بأمره اياهم مرتين : فقعوا له ساجدين. خسمة مرات : اسجدوا.
٢ ـ كان امتثالهم لامر ربهم عباده وانقياداً وطاعة وتكريما وتعظيما لآدم ـ ولا يلزم من ذلك ان آدم او بني آدم افضل من الملائكة ـ كما لا يلزم سجود يعقوب لابنه عليهما السلام تفضيل ابنه ـ ولا تفضيل الكعبة على بني آدم. بسجودهم لها امتثالا لامر ربهم ـ وسجود الملائكة هو سجود تحية لا سجود عبادة ـ وهو انحناء وتعظيم وتكريم.
٣ ـ فيه تنويه بذكر آدم في الملائكة قبل خلقه له، وتشريفه اياه بأمر الملائكة بالسجود له. وامتناع ابليس عدوه عن السجود له حسدا وكفرا ـ وتكبرا وعجبا بنفسه ﴿**قال انا خير منه**﴾ ومعاندة وازدراء لآدم عليه السلام.
٤ ـ سجد الملائكة كلهم اجمعون ـ الاستثناء منقطع ـ لان ابليس خلق آخر غير الملائكة فهو من نار وهم من نور ـ وهو مخير ـ وهم لا يعصون الله ما امرهم ـ وهو ابى وعصى. وكان من الجن ففسق عن امر ربه» ابليس من الجن وليس من الملائكة.
٥ ـ والجان خلقناه من قبل نار السموم ـ اي قبل آدم ـ فهو ليس من الملائكة ولكن كان بين صفوفهم قيل انه كان مختارا ان يطيع اولا يطيع. فألزم نفسه بالطاعة وتشبه بالملائكة ـ فكان بين صفوفهم.
قال كثير من علماء التفسير: فلما اراد الله خلق آدم ليكون في الارض هو وذريته من بعده، وصور جثته منها، جعل ابليس وهو رئيس الجان واكثرهم عباده اذ ذاك، وكان اسمه عزازيل، يطيف به فلما رآه أجوف عرف انه خلق لا يتمالك، وقال أما لئن سلطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطت علي لأعصينك فلما ان نفخ الله في آدم من روحه وامر الملائكة بالسجود له، دخل ابليس منه حسد عظيم، وامتنع من السجود له، وقال انا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين، فخالف الامر واعترض على الرب عز وجل، واخطأ في قوله، وابتعد من رحمة ربه، وانزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته، وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لانه مخلوق من نار وهم من نور، فخانه

طبعه في احوج ما كان إليه، ورجع الى اصله الناري ﴿**فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين**﴾[1] ففسق عن امر ربه.

فاهبط ابليس من الملأ الاعلى، ونزل حقيرا ذليلا، مذؤما مدحورا متوعدا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والانس، الا انـه مع ذلـك جاهد كل الجهد على اضلال بني آدم بكل طريق. فقال «انظرني الى يوم يبعثون: ليشفي غليله من آدم وبنيه لانهم سبب خروجه، والشيطان يجري منك مجرى الدم وهدفه افساد طاعتك ـ «لاقعدن لهم صراطك المستقيم» والشيطان لا يحوم حول البيت الخرب. ﴿**واما ينزغك من الشيطـٰن نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم**﴾[2] فالتجيء منه الى الله.

٦ ـ واشارت الآيات الى ان الله تعالى خص آدم عليه السلام بالخلافة، كما خصه بعلم غزير وقفت الملائكة عاجزة عنه بقوله تعالى ﴿**وعلم ءادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملٰئكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صدٰقين**﴾[3] والآيات بعدها.

٧ ـ واضافت الآيات نوع آخر من التكريم وذلك من اظهر وجوه التكريم والتشريف لهذا النوع الانساني ممثلا في اصل البشرية آدم عليه السلام تكريما له ولذريته ـ وكذلك عداوة ابليس لآدم ممتدة الى بني آدم الى يوم القيامة. ﴿**ان الشيطٰن لكم عدو فاتخذوه عدوا**﴾[4].

(١) البداية والنهاية لابن كثير في خلق الجان الجزء الأول.
(٢) الاعراف ٢٠٠.
(٣) البقرة ٣١.
(٤) فاطر ٦.

آدم والملائكة/ غسل آدم

عن ابي ابن كعب قال ان آدم لما حضره الموت قال لبنيه اي بني اني اشتهي من ثمار الجنة قال فذهبوا يطلبونه، فاستقبلهم الملائكة، ومعهم اكفان وحنوط، ومعهم الفؤس والمساحي والمكاتل فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون، او ماتريدون واين تطلبون.

قالوا ابونا مريض واشتهى من ثمار الجنة فقالوا لهم، ارجعوا فقد قضى ابوكم، فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم، فقال اليك عني فاني انما اتيت من قبلك، فخلي بيني وبين ملائكة ربي عز وجل فقبضوه، وغسلوه، وكفنوه، وحنطوه، وحفروا له، والحدوة، وصلوا عليه، ثم ادخلوه قبره، فوضعوه في قبره، ثم حثوا عليه، ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم»

اسناد صحيح اليه[1]. وفي مستدرك الحاكم ومعجم الطبراني باسناد صحيح عن ابيّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ «لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا والحدوا له، وقالوا، هذه سنة آدم في ولده» صحيح. واختلفوا في موضع دفنه فالمشهور انه دفن في الجبل الذي اهبط منه في الهند وقيل بجبل ابي قبيس بمكة ويقال ان نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفنهما ببيت المقدس حكى ذلك ابن جرير وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة[1] وذكر ابن اسحق ان آدم عليه السلام لما حضرته الوفاة اخبر بنيه ان الطوفان سيقع بالناس واوصاهم اذا كان ذلك ان يحملوا جسده معهم في السفينة وان يدفنوه في مكان عينه لهم[1].

(١) البداية والنهاية «وفاة آدم» الجزء الأول.

موسى وملك الموت

اخرج البخاري في كتاب بدء الخلق ـ باب وفاة موسى عليه السلام[1] عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت الى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه، فرجع الى ربه، فقال: أرسلتني الى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع اليه، فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعره سنة قال: اي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن، قال: فسأل الله ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر، قال ابو هريرة ـ رضى الله عنه ـ فقال رسول الله ﷺ: لو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الاحمر» واخرجه ايضا في باب الجنائز إلا انه زاد «فرد الله ـ عز وجل ـ عليه عينه».

واخرجه مسلم في باب: «من فضائل موسى ﷺ[2] عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال «أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه، فقال: ارسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال: فرد الله اليه عينه، وقال: ارجع اليه، وقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده، بكل شعرة سنة قال: أي رب، ثم مَهْ؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الاحمر».

وأخرجه مسلم برواية أخرى فقال عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فذكرا احاديث، منها: (وقال): جاء ملك الموت الى موسى ـ عليه السلام ـ فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك الى الله تعالى، فقال: إنك أرسلتني الى عبد لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله اليه عينه، وقال: ارجع الى عبدي، فقل: الحياة تريد؟ فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعره، فانك تعيش بها سنة، قال: ثم مَهْ؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، رب أمتني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله ﷺ: والله لو أني عنده لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر» واخرجه النسائي في باب التعزية بلفظ قريب من رواية مسلم[3].

(١) قسطلاني ٥/٣٨٧.

(٢) ٩/٢٢٤ هامش القسطلاني.

(٣) ٤/١١٨ باب التغريد.

شرح الاحاديث

قال النبي ﷺ «أرسل الله ملك الموت الى موسى عليهما السلام» اي أتاه في صورة آدمي، وكان عمر موسى اذ ذاك مائة وعشرين سنة . . فلما جاءه ظنه آدميا حقيقة، تسور عليه منزله بغير إذنه ليوقع به مكروها، فلما تصور ذلك (صكة) اي لطمة على عينه التي ركبت في الصورة البشرية دون الصورة الملكية ففقأها.

وعند أحمد: «ان ملك الموت كان يأتي الناس عيانا فأتى موسى فلطمه ففقد عينه (فرجع) ملك الموت الى ربه، فقال: رب (ارسلتني الى عبد لا يريد الموت).

رأي آخر: أرسل الله ملك الموت الى موسى عليهما السلام في صورة آدمي اختبارا وابتلاء. فلما جاءه ملك الموت بهذه الصورة ظنه آدميا حقيقه، تسور عليه منزله، بغير اذنه ليوقع به مكروها، فلما تسور عليه صكه، اي لطمه على عينه التي ركبت في الصورة البشرية التي جاءه فيها دون الصورة الملكية.

ويحتمل: أن موسى عليه السلام علم انه ملك الموت، وانه دافع عن نفسه الموت باللطمة المذكورة، والاولى أولى، ويؤيده انه جاء لقبضه ولم يخيره، وقد كان موسى عليه السلام علم أنه لا يقبضن حتى يخير، ولذا لما خيره في الثانية، قال الآن[1].

اذا صح ذلك يكون قول من قال: ان الكلام على سبيل المجاز، وليس فيه فقء للعين أقرب وذلك انه غلبه بالحجة، لانه حاجة، كيف تقبضني دون ان تخيرني، وان الانبياء يخيرون عند قبضهم فأقام الحجة عليه. يقال فقأ عين فلان. اذا غلبه بالحجة فغلبه، ويقال: عورت الشيء اذا ادخلت فيه نقصا.

قال المازري: وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وانكر تصوره، قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟ واجاب العلماء عن ذالك باجوبة عديدة منها. احدهما: انه لا يمتنع ان يكون موسى صلى الله عليه وسلم قد اذن له في تلك اللطمة ويكون ذلك امتحان للملطوم وان الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما أراد.

(١) القسطلاني في كتاب الجنائز.

والثاني: ان ذلك على المجاز ناظره فغلبه بالحجة قال وفي هذا ضعف لقوله ﷺ (فرد الله عينه) فان قيل: اراد رد حجته كان بعيدا.

والثالث: ان موسى عليه السلام لم يعلم انه ملك من عند الله تعالى، وظن أنه رجل قصده، يريد نفسه، فدافعه عنها، فأدت المدافعة الى فقء عينه، لا انه قصدها بالفقء.

ويؤيده رواية: (فصكة) وهذا جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين. واختار المازري والقاضي عياض. قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه فان قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه الثانية بانه ملك الموت، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الاولى[1].

وقال القسطلاني: خرج موسى لبعض حاجته، فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا، لم ير شيئا قط احسن منه فقال لهم: لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا: أتحب ان يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه، وتوجه الى ربك، قال: ففعل، ثم تنفس اسهل تنفس، فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب، وقيل: ان ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة، فشمها، فقبض روحه[2].

(١) النووي على صحيح مسلم ٩/٢٢٤.

(٢) القسطلاني في كتاب الجنائز.

حنظلة غسيل الملائكة

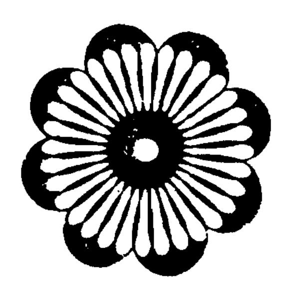
ثبت في الصحيح ان الملائكة غسلت حنظلة الذي استشهد في معركة احد فقد قال رسول الله ﷺ لاصحـابه بعد مقتل حنظلة «ان صاحبكم تغسله الملائكة، يعني حنظلة» فسأل الصحابة زوجته فقالت: انه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال رسول الله ﷺ«لذلك غسلته الملائكة» رواه الحاكم والبيهقي والحافظ بن عساكر باسناد صحيح.

وتغسل حمزه: وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «رأيت الملائكة تغسل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة الراهب» حديث حسن الطبراني.



تحيتهم السلام

عن ابي هريرة رضـي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: اذهب فسلم على اولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فانها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب، فقال: السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله» قال «فزادوه ورحمة الله»، متفق عليه ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب(٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾ سورة الرعد ﴿**هل اتك حديث ضيف ابراهيم المكرمين(٢٤) اذ دخلوا عليه فقالوا سلٰما قال سلٰم قوم منكرون**﴾ الذاريات ﴿**وقال لهم خزنتها سلٰم عليكم طبتم فادخلوها خلٰدين**﴾ الزمر ٧٣ والآيات في الباب كثير.



خصام الملائكة والقضاء بينهم

عن سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضـي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الارض، فدُل على راهب فأتاه فقال: إنَّه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا فقتله فكمل به مئة. ثم سأل عن أعلم أهل الارض، فدُل على رجل عالم فقال: إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء، فانطلق حتى اذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلاً بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: انه لم يعمل خيرا قط: فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ـ اي حكما ـ فقال: قيسوا ما بين الارضين، فإلى أيهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة» متفق عليه وفي رواية في الصحيح «فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من اهلها» وفي رواية في الصحيح: «فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدي والى هذه أن تقربي». وقال: «قيسوا ما بينهما، فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له». وفي رواية: «فنأى بصدره نحوها». الحديث رواه البخاري في كتاب الانبياء ومسلم في كتاب التوبة.

افاد الحديث: الحديث فيه موعظة، ولا يحكم على الانسان بعمله، وان انحرفت به الاهواء قد يعود الى طريق الهدى والصواب، ويفيد فضل العالم على العابد الجاهل. وان باب التوبة مفتوح ما لم يغرغر. التحكيم قبل استفحال الخصام والخلاف، قبول توبة القاتل العمد، وان كان شرع من قبلنا لكن جاء في شرعنا ما يؤيده. وان الله يأخذ بيد عباده التائبين اذا بذلوا الجهد من اجل اللحاق بالصالحين، وعمله كان دليل صدق الرغبة في التوبة.

وفي الحديث: اشارة الى قدرة الملائكة على التشكل.

وان الملائكة قد تختصم اذا تداخل عمل كل منهم في الآخر وعمى عليهم. فهم لا يعلمون

معاني بعض الكلمات: راهب: هو العابد المتخلي عن اشغال الدنيا والزاهد المعتزل لاهلها المتعمد للمشاق.

ارض كذا: روى الطبري ان اسمها بصرى واسم القرية التي كان فيها كفره.

الارضين: التي خرج منها والتي ذهب اليها.

نأى: نهض بجهد ومشقة رغم ثقل ما اصابه من الموت، لعزمه الاكيد، وهمته المتوثبة. اصراراً على التوبه.

الغيب وهذا التائب ـ كان من نصيب ملائكة العذاب ـ والله سبحانه وتعالى هو الذي يقرر ان كان سيقبل توبته اولا. وهذا علم غيب عن الملائكة. فلذلك حضرت ملائكة الرحمة ايضا لتقبضه.

«وما منا الا له مقام معلوم» وظيفة لا يتعداها. فتداخلت هذه المهمة بين الوظيفتين، فكان الخصام وليس الشجار، بل خصام حجة ودليل وبرهان، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: انه لم يعمل خير قط ـ فاصبح الحكم لله، فالهمهما التحكيم لاول عابر. وهو الملك الذي ارسله الله عز وجل، ليحكم بينهم بحكم الله عز وجل، والحديث فيه الموعظة، وحكم كثيرة كما تقدم.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترايا عين الشمس، فخرج سريعا، فثوب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ، وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته، قال لنا: على مصافكم كما أنتم، ثم انفتل إلينا، ثم قال: أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت، وصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فاذا أنا بربي ـ تبارك وتعالى ـ في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أدري، قالها ثلاثاً، قال: فرأيتُهُ وضع كفَّه بين كتفيَّ، حتى وجدْتُ بَرْدَ أناملِهِ بين ثدييَّ، فتجلَّى لي كُلُّ شيءٍ وعرفتُ، فقال: يا محمدُ، قلتُ: لبيكَ ربِّ قال: فيم يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال: ما هن؟ قال: مشى الاقدام الى الحسنات والجلوس في المساجد بعد الصلوات، واسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: فيم؟ قلت: اطعام الطعام ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم، اسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وان تغفر لي وترحمني، واذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، اسألك حبك، وحب من يحبك، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إلى حُبِّكَ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها حق، فادرسوها، ثم تعلموها»(1).

أقول: ان أول ما يجب على المؤمن أن يعتقد تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، قال تعالى **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** وقال تعالى **﴿قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾** واعتقاد غير ذلك مخل بالايمان، واتفق أئمة المسلمين قاطبة على ان ما ورد من الكتاب والسنة بما ظاهرة يوهم تشبيه الله تعالى ببعض خلقه، يجب الايمان بأن ظاهرة غير مراد ولا يصح وصف الله تعالى بما يفيده هذا الظاهر من حيث عمومه.

(1) اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

والملأ الاعلى: الملائكة الكرام سكان السماوات وما فوقهن من الكرسي والعرش، والحافين بالعرش. واختصامهم في ذلك يحتمل وجهين:

احدهما: انهم يتخاصمون في التسابق الى كتابة ثواب هذه الامور - او يتخاصمون في معرفة كنه ثوابها فبعضهم يزيد عن الآخر في تقديره له.

الوجه الثاني: يحتمل انهم يتمنون ان يكونوا من اهل الارض، حتى يتمكنوا من التسابق في هذه الاعمال لما انهم على يقين من جزيل ثوابها، وحسن عاقبتها.

فالمفهوم من جملة الروايات أن الملأ الاعلى يختصمون في شيئين: في الكفارات وفي الدرجات - اي في الاعمال التي تكون سببا لتكفير الذنوب والخطايا، وفي الاعمال التي تكون سببا في رفع الدرجات، ثم بين الكفارات بأنها مشي الاقدام الى الحسنات من صلاة جماعة او حضور علم او زيارة مريض او غيرها. والجلوس في المساجد لانتظار الصلوات، واسباغ الوضوء على المكاره.

ورفع الدرجات يكون باطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، والله اعلم. والمراد باسباغ الوضوء على المكارة، هو الوضوء في البرد وغيره ومثله جميع انواع الطهارات والله اعلم. وقال تعالى **﴿قل هو نبؤا عظيم(٦٧) أنتم عنه معرضون(٦٨) ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون﴾**[(٢)].

وهذا الاختصام غير الاختصام السابق، اي هذا القرآن الذي جئتكم به هو نبأ عظيم، من اين لي العلم باختلاف الملائكة في شأن خلق آدم لولا الوحي المنزل علي - لأنه اخبر بامور لم يكن يعلمها قبل، والاختصام في قصة آدم.

(١) شرح الحديث من كتاب الاحاديث المقدسة مع شيء من التدبر ١٦١، ١٦٢/١.
(٢) ص ٦٧، ٦٨، ٦٩.

اكرام الملائكة

عن ابي هريرة رضي الله عنه «عثمان حيي تستحي منه الملائكة» صحيح الجامع الصغير وزيادتـة رقم ٣٩٧٨ وعن عائشة «ان عثمان حيي ستير، تستحي منه الملائكة» صحيح الجامع وزيادتة ٢١٠٦.

فنحن نؤمن بالملائكة، ونحبهم جميعا، لا نفرق بين ملك وملك، لانهم جميعا عباد الله، مأمورين بامر الله، ينفذون اوامر الله، يحبون المؤمن ويسددونه، ويستغفرون له ويمجدونه، فلو كنت بين اربعة رجال. هل تعمل المعصية امامهم، الا تستحيي منهم، فما بالك لا تستحي من الملائكة المكرمين، فملائكة الله احق ان يستحيي منهم، فان معكم من لا يفارقكم ابدا فاستحيوا منهم واكرموهم، وفي الحديث «ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم، واكرموهم»[1] وهم يتأذون مما يتأذى منه الانسان، صاحب الفطرة السليمة، يتأذون من الروائح الكريهة كالثوم والبصل، وعليك بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب، ولا تدخل التماثيل والصور بيتك لتدخله ملائكة الرحمة، «اذا سمعتم اصوات الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا» صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٦١١ واذكر الله في كل وقت «ما من راكب يخلو في مسيرة بالله وذكره الا كان ردفه ملك، ولا يخلو بشعر ونحوه الا كان ردفه شيطان» صحيح رقم ٥٧٠٦ فهم «يسبحون الليل والنهار لا يفترون» لا يسأمون ولا ينامون ولا يتعبون ولا ياكلون ولا يشربون، شغلهم الشاغل التسبيح والاستغفار للذاكرين جعلنا الله من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات.

(١) الاحاديث الضعيفة ٢٢٤١.

الملائكة/ والصور والكلاب

أخرج مسلم في صحيحه بلفظ «دخلت مع ابي هريرة في دار مروان فرأى فيها تصاوير فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: «ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا شعيرة».

وقال ﷺ «لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة الارقم في ثوب»[١] وقال ايضا «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة»[٢] وقال ايضا «لا تصحب الملائكة رفقه فيها جرس»[٣] وقال ايضا «لا تصحب الملائكة رفقه فيها كلب ولا جرس»[٤] وقال ايضا «لا تصحب الملائكة رفقه فيها جلد نمر»[٥] وقال ايضا «ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل او صور»[٦] وقال ايضا «ان الملائكة لا تحضر الجنب ولا المضمخ بالخلوق حتى يغتسل»[٧] والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا نكتفي بهذا القدر منها.

والمختار في هذا الباب من شرح الاحاديث: ان الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا تماثيل ولا تصحب رفقة فيها جرس ولا جلد نمر والجنب وما اشارت اليه الاحاديث هم الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والذين يستغفرون للعبدد والطوائف، اما الحفظة فانهم لا يفارقون العباد في حال من الاحوال. والمراد بالبيت هو مكان اقامة الانسان من بيت وخيمه وغيرها، واستثنى الخطابي وغيره الكلاب التي اذن الشارع في اتخاذها وهي اللتي للصيد او للماشية، وسبب الامتناع كونها معصية فاحشة، وقال النووي: رحمه الله قال العلماء تصوير الحيوان حرام شديد الحرمة وهو من الكبائر لانه متوعد عليه بالوعيد الشديد.

(١) الاحاديث من صحيح الجامع الصغير وزيادته ارقام الاحاديث (١) ٧٢٦١.
(٢) ٧٢٦٢.
(٣) ٧٣٤٣.
(٤) ٧٣٤٤.
(٥) ٧٣٤٥.
(٧) ١٩٥٩.

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «أتاني جبريل، فقال: إني كنت اتيتك البارحة، فلم يمنعني أن اكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه، الا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب، فمر برأس التمثال الذي في البيت فليقطع فيجعل وسادتين منبوذتين توطئان، ومر بالكلب فليخرج»[1] حديث صحيح وعن عائشة رضي الله عنها تقول: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت بقرام لي على باب سهو، لي فيها تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ هتكة وقال «اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهو بخلق الله» قالت فجعلتا وساده أو وسادتين» والقرام هو الستر فيه نقوش، قال القسطلاني: والحاصل مما سبق كراهة الصور المنقوشة على سقف او جدار او وسادة وانه يجوز كل ما يكون ممتهنا كفرش ونسيج سجاد وكذا مقطوع الرأس لان المنصوبَ المرتفع يشبه الاصنام.

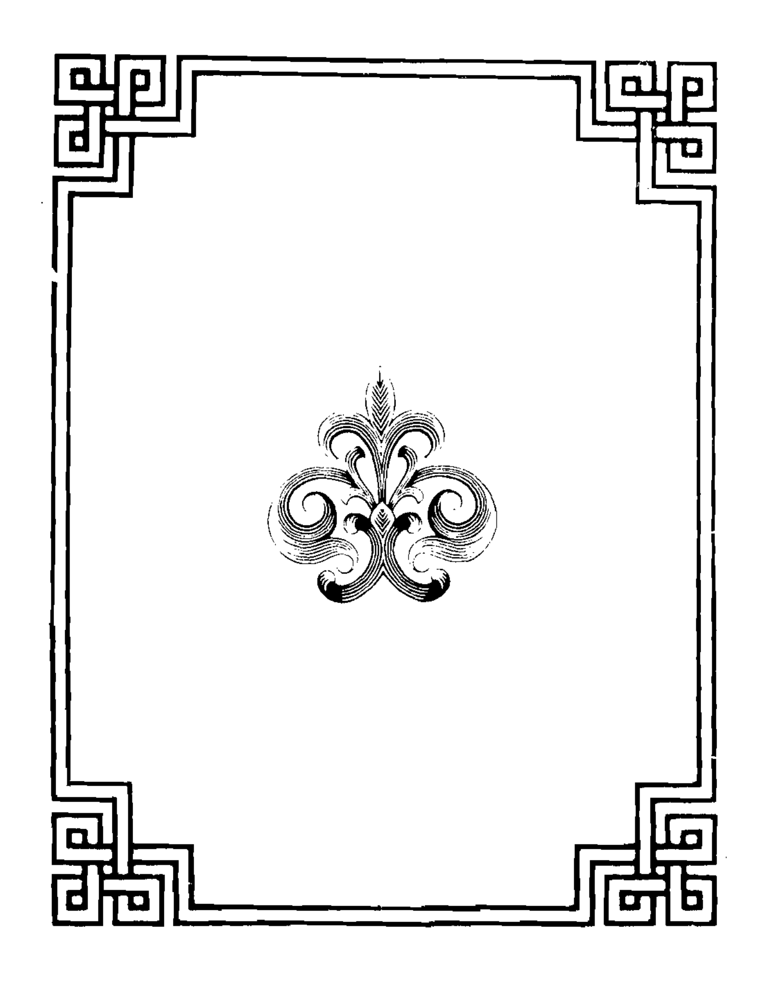
تتأذى من الرائحة

قال ﷺ «من اكل من هذه البقلة الثوم والبصل والكرات فلا يقربنا في مساجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[2] وقال ايضا «اذا قام احدكم يصلي من الليل فليستك فان احدكم اذا قرأ في صلاته وضع ملك فاه على فيه ولا يخرج من فيه شيء الا دخل في فم الملك»[3] وقال ايضا «اذا قام الرجل يتوضأ ليلا او نهارا فاحسن الوضوء واستن ثم قام فصلى اطاف بن الملك ودنا منه حتى يضع فاه على فيه فما يقرأ الا في فيه واذا لم يستن اطاف به ولا يضع فاه على فيه»[4].

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ١٦٨.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٦٠٨٩.
(٣) نفس المصدر ٧٢٠.
(٤) نفس المصدر ٧٢٣.

الجزء الثالث

رحلة مع الملائكة



بقاء النوع

﴿**ومن ءايته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لأيت لقوم يتفكرون**﴾[1] ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته ان خلق لكم من صنفكم وجنسكم نساء، ولم يجعلهن من جنس آخر وذلك من تمام رحمته، لتميلوا اليهن وتألفوهن وجعل بين الازواج والزوجات محبة وشفقة قال ابن عباس: المودة: حب الرجل امرأته والرحمة شفقته عليها ان يصيبها سوء. فالزواج يجمع بين الزوجين برابطة مقدسة ﴿**وأخذن منكم ميثقا غليظا**﴾[2] عهدا وثيقا موثقا مؤكدا «عقد النكاح» رابطة مقدسة ينظمها ويباركها الشرع ويرضى عنها المجتمع بتقاليده واعرافه الكريمة وللزواج اكثر من حكمه.

فهو اولا يوفر للزوجين الاشباع النفسي والصحي السليم للغرائز التي فطرا عليها. فمنها ميل كل منهما للآخر وأنس والفة وسكن ﴿**لتسكنوا اليها**﴾ فتسكن غضه وغريزته ويطمئن بجوارها وروح الامومة والابوة المتأصلة فيهما فيتوفر لهما استقرار نفسي واجتماعي، ويعلمان اولادهما ويعطفان عليهما، وفي حفظ تراث الاجيال وتربية للاجيال القادمة.

وكذلك المودة الناشئة في المجتمع نتيجة المصاهرة فهي وسيلة لتعارف الاسر وتآلفها. «وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا»[3] ذكورا ينسب اليهم واناثا يصاهر بهن فبالنسب يتعارفون ويتواصلون وبالمصاهرة تكون المحبة والمودة واجتماع الغريب بالقريب. والفائدة الاولى للزواج هي الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل. وانما الشهوة خلقت باعثه مستحثه، كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الالهية الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب تحقيقا للمشيئة الالهية مع الاحتفاظ بحق المشيئة الالهية بالتدخل وقت يشاء بلا اسباب.

(١) الروم ٢١.
(٢) النساء ٢١.
(٣) الفرقان ٥٤.

فالله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين، وخلق النطفة، وهيأها في الانثيين، وجعل الرحم قرارا ومستودعا، فسلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له ارضا مهيأة للحراثة يقول الامام الغزالي: الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه، ولعمري في الشهوة حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد، وهو في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي مبنية على اللذات الموعودة في الجنان، اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقا لا ينفع، فلو رغب العنين في لذة الجماع او الصبي في لذة الملك والسلطة لم ينفع الترغيب، واحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة، ليكون باعثا على عبادة الله، فانظر الى الحكمة ثم الرحمة، ثم الى التعبئة الالهية كيف عبئت تحت شهوة واحدة، حياتان، حياة ظاهرة، وحياة باطنة، فالحياة الظاهرة، حياة المرء ببقاء نسله فانه نوع من دوام الوجود، والحياة الباطنة: هي الحياة الاخروية، فان هذه اللذة ناقصة بسبب سرعة الانصرام، تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام، فيستحث على الزيادة في العبادة الموصلة اليها[1].

وما من ذرة من ذرات ملكوت السموات والارض الا وتحتها لطائف الحكمة وعجائبها، ما تحار العقول فيها.

﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾[2] الخطاب لجميع البشر نحن بقدرتنا خلقناكم من اصل واحد، كلكم من آدم وآدم من تراب، وجعلناكم شعوبا شتى وقبائل متعددة ليعرف الانسان نسبه فيقال فلان بن فلان. ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشها حملت حملا خفيفا فمرت به**﴾[3] خلق جميع الناس من آدم وخلق منه زوجته حواء من قبل ثم انتشر الناس منهما. فلا الف بين روحين اعظم مما بين الزوجين. ولهذا ذكر تعالى ان الساحر ربما توصل بكيده الى التفريق بين المرء وزوجه. فلما تغشاها اي وطئها «حملت حملا خفيفا» وذلك اول الحمل لا تجد المرأة له الما انما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة (فمرت به) استبان حملها، فلما اثقلت بدا حملها وكبر الولد في بطنها.

﴿**وانه خلق الزوجين الذكر والانثى(٤٥) من نطفة اذا تمنى(٤٦)**﴾[4] هو القادر على ايجاد الصنفين في محل واحد بقدرته، لا تفعله الطبيعة، فالنطفة شيء واحد خلق الله منها اعضاء مختلفة، وطباعا متباينة، وذكرا وانثى.

(١) احياء علوم الدين للامام الغزالي ٢٧ ـ ٢/٢٨.

(٢) الحجرات ١٣.

(٣) الاعراف ٨١٨٩

(٤) النجم ٤٥ ـ ٤٦.

﴿**وفي الارض قطع متجوٰرات وجنت من اعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لأيت لقوم يعقلون**﴾[1] وفي الارض بقاع مختلفة قريب بعضها من بعض قال ابن عباس: ارض طيبة وأرض سبخة تنبت هذه وهذه الى جنبها لاتنبت[2]. وفي هذه القطع انواع الزروع والحبوب والنخيل والرطب، منها ما نبت منه من اصل واحد شجرتان فاكثر ومنها ما نبتت منه شجرة واحدة. والكل يسقى بنفس الماء والتربة واحدة لكن الثمار مختلفات الطعوم، بعضها حلو وبعضها حامض وبعضها افضل من بعض، هذه علامات ظاهرة لمن عقل وتدبر. فسنة الله سبحانه وتعالى في خلقه واحدة، دليل على ان الخالق واحد. فاختلاف الوان **بقاع الارض،** فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء وهذه محجرة، **وهذه سهلة، وهذه** صعبة، وهذه رقيقه، والكل متجاورات فهذه بصفتها وهذه بصفتها الاخرى، **فهذا** كله يدل على الفاعل المختار لا اله الا هو ولا رب سواه.

﴿**لله ملك السموٰت والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنثا ويهب لمن يشاء الذكور(٩٩) او يزوجهم ذكرانا وانثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير**﴾[3] والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة، على مقتضى المشيئة والمراد بيان نفاذ قدرته تعالى كيف يشاء. فسبحان العليم القدير.

(١) الرعد ٤.

(٢) الطبري ١٣/٩٧.

(٣) الشورى ٤٩، ٥٠.

ملك الرحم

﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير﴾[1].

وفي الحديث ان الله «كتب مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وكان عرشه على الماء»[2]. وان الرسول ﷺ رفع ليلة الاسراء الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام. هذه الاقلام التي تنسخ من اللوح المحفوظ ما دبره ويدبره الله عز وجل من امر العالم العلوي والسفلي.

وورد في الآيات ان الله قدر اعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم. وقال تعالى **﴿فيها يفرق كل امر حكيم﴾**[3] اي في ليلة القدر يفصل ويبين كل امر محكم من أرزاق العباد وآجالهم وسائر احوالهم، وكذلك كل مخلوق جديد من ذكر أو انثى.

قال ابن عباس: يحكم الله أمر الدنيا الى السنة القابلة ما كان من حياة أو موت أو رزق. وقال المفسرون: ان الله تعالى ينسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ما يكون في تلك السنة من أرزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من خير وشر، وصالح وطالح، حتى ان الرجل ليمشي في الاسواق وينكح ويولد له وقد وقع اسمه في الموتى[4].

«امرا من عندنا» جميع ما تقدر في تلك الليلة وما نوحي به الى الملائكة من شئون العباد هو من أمرنا وبعلمنا فيتلقى رؤساء الاملاك اعمال السنة القادمة، وتوزع على الملائكة كل حسب عمله، ويتلقى الملك الموكل بالرحم امره.

(١) لقمان ٣٤.
(٢) ثبت في الصحيح من حديث عبدالله بن عمرو.
(٣) سورة الدخان ٤.
(٤) حاشية زاده علي البيضاوي ٣/٣١٠.

قال تعالى في خلق الانسان ﴿**نحن خلقنكم فلولا تصدقون(٥٧) افرأيتم ما تمنون(٥٨) ءأنتم تخلقونه ام نحن الخـلقون(٥٩) نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين(٦٠) على ان نبدل امثـلكم وننشئكم في ما لا تعلمون(٦١) ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون**»[1].

هكذا بدأ الخلق: بلقاء مني الرجل (الامشاج الذكرية) وماء المرأة (الامشاج الانثوية) فهل انتم تخلقون هذا المني؟ ام نحن بقدرتنا خلقناه وصورناه، فالحيوانات المنوية: مخلوقات حية نشطة. مخلوقة ولها تكوينها الخاص بها. لها رأس وذنب دقيق طويل، الذيل للحركة، يندفع به الى الامام بسرعة، وحركة نشيطة، فهذه المخلوقات الصغيرة جدا بالنسبة لنا، لها حياتها الخاصة، وقانونها الخاص. والسائل المنوي الذي يصل الى المهبل يحوي عشرات الملايين من هذه المخلوقات في «١ سم٣» فتتخذ طريقها سابحة نحو عنق الرحم متجهة بفطرتها التي فطرها الله عليها للقاء البويضة.

وبما ان كل مخلوق مقدر له اجله، وان كانت حياته بالنسبة لنا قصيرة جدا.

فقضى سبحانه: ﴿**نحن قدرنا بينكم الموت**﴾ على كل مخلوق في السماء وفي الارض، سواء شريفها ووضيعها. الانسان والحيوان كل مخلوق وكذلك الحيوان المنوي والبويضة وغيرهما.

وما نحن بعاجزين على ان نهلككم وانتم في عالم الذر، ونستبدلكم بغيركم، يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير الظلال ما نصه «هذه هي الحقيقة الهائلة المتكررة في كل لحظة، ينساها الانسان لتكرارها امام عينيه، وهي اعجب من كل عجيب تبدعها شطحات الخيال: نطفة تمنى وتراق وهي من افرازات هذا الجسد الانساني الكثيرة كالعرق، والدمع، والمخاط، فاذا هي بعد فترة من الزمن انسان سميع بصير، واذا هذا الانسان ذكر وانثى! كيف تمت هذه العجيبة التي لم تكن ـ لولا وقوعها ـ تخطر على الخيال؟! اين كان هذا الانسان كامنا بعظمه ولحمه وجلده، وعروقه وشعره وأظافره، وخلائقه وطباعه؟ اي قلب بشري يقف امام هذه الحقيقة الهائلة العجيبة، ثم يتمالك أو يتماسك، فضلا عن أن يجحد ويتبجح ـ ويقول: انها وقعت هكذا والسلام؟ ان دور البشر في امر هذا الخلق لا يزيد على ان يودع الرجل ما يمني رحم امرأة، ثم ينقطع عمله وعملها، وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهين، تعمل وحدها في خلقه وتنميته، وبناء هيكله ونفخ الروح فيه، ومنذ اللحظة الاولى تتم المعجزة، وتقع الخارقة التي لا يصنعها الا الله، وهذا القدر من التأمل يدركه كل انسان، وهذا يكفي لتقدير هذه المعجزة والتأثر بها[2].

(١) سورة الواقعة ٥٧ ـ ٦٥.

(٢) سيد قطب في تفسير «أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون».

﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار(٨) علـم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[١] والله يعلم ما تحمل كل انثى علم لزوم الوقوع، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ ولذلك أتبعها **﴿علـم الغيب والشهادة﴾** ما غاب وما كان مشاهدا، الكائن وما سيكون، فعلمه تعالى شامل للخفى والمرئي، لا يخفى عليه شيء، لا يحد علمه زمان، فالماضى والحاضر والمستقبل عنده سواء. وفي صحيح بخاري «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله: لا يعلم ما في غد الا الله، ولا يعلم ما تغيض الارحام الا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر احد الا الله، ولا تدري نفس باي ارض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله»[٢] ومعنى تغيض الارحام: ايضا ياتي بهذه المعاني، فالحيوانات المنوية المتوفاة يمتصها جدار الرحم. وكذلك الاجنه: فيها ما يتم خلقه، ومنها ما يسقط فتغيضه الارحام، اي تسقطه وتنقصه والله اعلم. وما تزداد: ما يكمل الحياة فيتم خلقه، او يزيد عن التسعة شهور قبل ولادته والله اعلم وكان ذلك عند الله عز وجل بقدر محدد.

والحيوان المنوي الذي سيخترق البويضة ليلقحها هو حيوان واحد بذاته مقدر له ذلك رغم وصول عدد هائل معه للبويضة.

فليس من كل الماء يكون الولد. «انا خلقنا الانسن من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصـيرا»[٣] وهو خليط الامشاج الذكرية (الحيونات المنوية) والانثوية، (البويضة) هنا يبدأ عمل الملك المـوكل بالرحم. فقد جاءت النطفة التي فيها الحيوان المنوي الذي قدر له ان يلقح هذه البويضة في هذا الوقت وفي هذا الزمان المحدد له في برنامجه الذي تلقاه من السماء، فالتخليق يبدأ من الامشاج وفي الصحيحين «ان الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول: اي رب نطفة، اي رب علقة، اي رب مضغة، فاذا أراد الله ان يقضي خلقها قال: اي رب شقي ام سعيد؟ ذكر او انثى؟ فما الرزق؟ فما الاجل؟ فيكتب كذلك في بطن امه».

يستأذن في كل طور من اطوار النشأة، وبيان للاطوار، فبعد ان كانت نطفة، اصبحت علقة، ثم مضغة **﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا(١٣) وقد خلقكم اطوارا﴾**[٤] فما لكم لا تعظمون الله وقد خلقكم اطـوارا مختلفة، طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة، الى سائر الاحوال العجيبة، فتبارك الله احسن الخالقين.

(١) الرعد ٨، ٩.
(٢) رواه البخاري في تفسير سورة الرعد ١٤٥/٣.
(٣) الانسان ٢.
(٤) نوح ١٣، ١٤.

قال القاضي وغيره: والمراد ارسال الملك في هذه الاشياء، أمره بها والتصرف فيها بهذه الافعال والا فقد صرح في الحديث انه موكل بالرحم، وانه يقول يا رب نطفة، يا رب علقه، وفي الحديث الصحيح عن حذيفة بن اسيد «ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها، فيقول: يا رب أذكر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكرا او أنثى ثم يقول: يا رب أسوي أو غير سوي فيجعله الله سويا أو غير سوي ثم يقول: يا رب ما رزقه؟ ما أجله؟ وما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيا او سعيدا»[1] صحيح رواه مسلم.

فقوله ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليله مجموع تخلقها وان هذا الملك موكل في تخلقها مدة الاربعين ليلة.

قال العلماء: ان للملك ملازمة تامة ومراعاة لحالة النطفة، وانه يقول هذه نطفة، هذه علقة، هذه مضغة، في اوقاتها، فكل وقت يقول فيه، ما صارت اليه باذن الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم.

وهذه مدتها اربعون يوما، ثم انتقل الى الكلام عن الملك، فموضوع الملك. ثم يتسور عليها الملك، ثم هنا على الموضوع وليس بعد الاربعين يتسور عليها الملك والله اعلم والتسور: له معان كثيرة: بمعنى علوا ونزلوا من اعلاه اليه مثل قوله **﴿وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب﴾**[2] وقد تاتي بمعنى : تحصن وهو الاقرب، بمعنى ثم يتسور عليها: اي بمعنى ثم يتحصن عليها الملك، وذلك ان الحيوانات المنوية تتنافس، في اختراق الطبقة الشفافة المغلقة للبويضة، فيدخل الملك الموكل بالرحم الحيوان المطلوب ثم يتسور عليها اي يتسور على البويضة والحيوان بداخلها فلا يسمح لاي حيوان منوي آخر ان ينفذ، وبذلك يحدث ما يسمى بالاخصاب، وهو الاساس لخلق الانسان، وقد يكون المقدر توأمين او اكثر، فيدخل حيوان منوي واحد او اكثر بحسب المقدر مع الملك في برنامج السماء من اللوح المحفوظ، كذلك قد يكون تعدد الاجنة في الرحم لسبب آخر هو انقسام الجنين نفسه في اطواره الاولى الى اثنين او اكثر وكل ذلك بمشيئة الله عز وجل، فيتحصن عليها بمعنى السور المانع والحاجب، فيحجب عنها كل متطفل يؤثر عليها او يؤثر فيها، ثم يبدأ يخلقها. فتنقسم الى خليتين ثم الى اربع وهكذا تستمر الانقسامات اثناء عبور الملك بها القناة متجها بها الى الرحم حيث ينغرس في بطانة الرحم، وتغتذي من الدم والسوائل المحيطة بها، وهكذا تنمو وتتطور في تفاصيل مذهلة. هذه الخلية الواحدة تبدأ في الانقسام والتكاثر، فاذا هي

(١) الجامع الصغير وزيادته ١٩٨٤.
(٢) ص ٢١.

بعد فترة ملايين الملايين من الخلايا، كل مجموعة من هذه الخلايا ذات خصائص عجيبة، وهي العلقة العلوق بجدار الرحم تشبه العلقة شكلا وهي معلقة بجدار الرحم فيقول الملك اي رب علقة.

ثم تبدأ بالاستدارة بشكل المضغة، وتبرز كالندبة من جدار الرحم الى تجويفه، وعندما يصل الى الرحم يكون جسما لا تراه العين، وبعد شهر يصبح في حجم حبة البازلاء او حبة الحمص. كشكل المضغة اذا مضغت، فيقول الملك اي رب مضغة، ويبدأ يخلقها.

﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقنكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج﴾[1] فذكر هنا اطواره السبعة وهي ـ التراب، والنطفة، والعلقة، والمضغة، والاخراج طفلا، وبلوغ الاشد، والتوفي او الرد الى ارذل العمر.

من مضغة مخلقة وغير مخلقة: مستبينة الخلق مصورة وغير مصورة، فهذه خلايا عظام، وهذه خلايا عضلات وهذه خلايا جلد، وهذه خلايا اعصاب، ثم هذه خلايا لعمل عين، وهذه لعمل لسان، وهذه لعمل اذن وكل منها في مكانها، لتبدأ رحلة تكوين الاجهزة والاعضاء المختلفة الى يوم الاربعين، او الى اليوم الثاني والاربعين يشبه برنامج الكمبيوتر.

«في اي صورة ما شاء ركبك» **قال** ابن جرير... عن رباح حدثني ابي عن جدي ان النبي ﷺ قال له «ما ولد لك» قال يا رسول الله **ما عسى ان** يولد لي اما غلام واما جارية **قال** «فمن يشبه» قال يا رسول الله ومن عسى ان يشبه اما اباه واما امه فقال النبي ﷺ عندها «مه لا تقولن ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضرها **الله** تعالى كل نسب بينها وبين آدم، اما قرأت هذه الاية في كتاب **الله** تعالى «في اي صورة ما شاء ركبك» قال شكلك[2].

فقوله تعالى **﴿وانه خلق الزوجين الذكر والانثى(٤٥) من نطفة اذا تمنى﴾**[3] وهو نطفة تقرر ان يكون ذكر او انثى. الحامل الوراثي يعلن عن وجود الانسان ويتقرر وهو نطفة «من نطفة خلقه فقدره» التقدير اي صفة ستسود ما هي عوامل الوراثة، طويل او قصير، ابيض او اسود، قوى او

(١) الحج ٥.
(٢) ابن كثير ٤/٤٨١.
(٣) النجم ٤٥، ٤٦.

ضعيف، طوله وبنيته، قوي الشخصية او ضعيفها حتى النزعة العدوانية، الحزم والربط الايجابية والسلبية، ذكر او انثى حتى الشهوة، كل صفاته الوراثية والخلقية كل شيء يتقرر وهو نطفة، حسب البرنامج السماوي بيد الملك الموكل بامر الله سبحانه وتعالى. وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان امرأتي ولدت غلاما أسود قال «هل لك من ابل» قال نعم قال «فما الوانها» قال حمر قال «فهل فيها من اورق» قال نعم قال «فاني أتاها ذلك» قال عسى ان يكون نزعة عرق قال «وهذا عسى ان يكون نزعة عرق».

وفي دور المضغة تبدأ تتخلق الاجهزة المقررة، فهي مخلقة بالتقرير والبرنامج موضوع، ويبدأ التنفيذ في طور المضغة الى ان يتم البرنامج المعد في المدة المطلوبة. ﴿**ثم جعلنٰه نطفة في قرار مكين(١٣) ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظٰما فكسونا العظٰم لحما ثم انشأنٰه خلقا ءاخر فتبارك الله احسن الخالقين**﴾[١].

والمعلوم ان جسم الانسان يرفض كل جسم غريب، ولكن الرحم لا يرفضه فهذه حكمة الله عز وجل، ثم انه يتسع وينمو ليتناسب مع حجم الجنين فهو مهيأ لذلك، ولا يتأثر الجنين بالصدمات فهو في قرار مكين ممكن للجنين مجهز ومهيأ لنمو الجنين فيه.

فاذا بلغ الوقت المعلوم وانتهى البرنامج الاول، فينتهي عمل الملك الذي ورد في الحديث. «ان النطفة تقع في الرحم اربعين ليلة، ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها، فيقول يا رب اذكر او انثى فيجعله الله ذكرا او انثى، ثم يقول، يا رب اسوي او غير سوى فيجعله الله سويا او غير سوي ثم يقول يا رب ما رزقه؟ ما اجله؟ وما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيا او سعيدا»[٢].

ثم يبدأ البرنامج الثاني «إذا مر بالنطفة اثنتان واربعون ليلة، بعث الله اليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب اذكر ام انثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على امر، ولا ينقص»[٣].

(١) المؤمنون ١٣، ١٤.
(٢) حديث حذيفة بن اسيد مختصر سلم ١٨٤٨.
(٣) الجامع الصغير وزيادته ٧٩٧.

اما ان يكون هذا نفس الملك بالبرنامج الجديد او يكون ملكا آخر ليصورها. لقد بدأ الله بالسمع لانه أول ما يؤدي وظيفته قبل البصر، فيصور سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها والتصوير بمعنى يكمل عمل الملك الاول، ويكمل ما تم وضع اسسه في البداية.

﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظمٰ لحما ثم أنشأنـه خلقا ءاخر فتبارك الله احسن الخـلقين﴾ فصيرنا قطعة اللحم عظاما صلبة لتكون عمودا للبدن اي شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعروقها وفي الصحيح عن ابي هريرة قال رسول الله ﷺ «كل جسد ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب» وهو البرنامج الأساسي.

«فكسونا العظام لحما» اي سترنا العظام باللحم وجعلناه كالكسوة، ثم يشكل الجلد والاجهزة التناسلية.

ثم يكون للملك فيه تصوير آخر، وهو وقت نفخ الروح، «ثم انشأناه خلقا آخر» اي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقا آخر فذلك سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب «فتبارك الله احسن الخالقين»

وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: اذا اتت على النطفة اربعة اشهر بعث الله اليها ملكا فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث فذالك قوله «ثم انشأناه خلقا آخر» يعني نفخنا فيه الروح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وابو العالية[1] وفي الحديث «ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين، ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤذن باربع كلمات فيكتب رزقه، واجله، وعمله، وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه».

واتفق العلماء على ان نفخ الروح لا يكون الا بعد اربعة اشهر.

قال الرازي: جعلناه خلقا مباينا للخلق الاول حيث صار انسانا وكان جمادا، وناطقا وكان ابكما، وسميعاً وكان اصما، وبصيرا وكان اكمة، واودع كل عضو من اعضائه عجائب فطرته وغرائب حكمه لا يحيط بها وصف الواصفين[2].

قال تعالى **﴿يخلقكم في بطون امهٰتكم خلقا من بعد خلق في ظلمٰت ثلٰث ذٰلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون﴾**[3].

(١) تفسير ابن كثير ٣/٢٤١.
(٢) الفخر الرازي ٢٣/٨٥.
(٣) الزمر ٦.

يقول سيد قطب: في ظلمات ثلاث هي ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين وظلمه الرحم الذي يستقر فيه الجنين، وظلمه البطن الذي يستقر فيه الرحم، ويد الله تخلق هذه الخليقة الصغيرة، وعين الله ترعى هذه الخليقة، وتودعها القدرة على النمو والقدرة على الارتقاء، كما قدر لها بارئها[1].

«وهو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذا انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى»[2].

قال مكحول : كنا اجنة في بطون امهاتنا فسقط منا من سقط، وكنا فيمن بقي ثم كنا مراضيع فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يفعه فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخا لا ابا لك. فماذا بعد هذا ننتظر[3]؟ ﴿ثم السبيل يسره(٢٠) ثم اماته فاقبره﴾[4] ثم سهل له طريق الخروج من بطن امه. وفي رواية البخاري «ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك يبعث الله ملكا فيؤمر باربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الاذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل اهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة»[5].

(١) الظلال ٩/٣٠٣.
(٢) النجم ٣٢.
(٣) رواه ابن ابي حاتم - ابن كثير ٤/٢٥٧.
(٤) عبس ٢٠، ٢١.
(٥) رواه البخاري باب ذكر الملائكة ٢/٢١١ حدثنا الحسين بن الربيع عن عبدالله.

الاحاديث الصحيحة الخاصة بملك الرحم وما يستنتج منها

الحديث الاول: «ان الله تعالى وكل بالرحم ملكا يقول: اي رب نطفة، اي رب علقة، اي رب مضغة، فاذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: اي رب شقي ام سعيد؟ ذكر او انثى؟ فما الرزق؟ فما الاجل؟ فيكتب كذلك في بطن امه» في الصحيحين.

الحديث الثاني «ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها، فيقول: يا رب أذكر أو انثى؟ فيجعله الله ذكرا او انثى، ثم يقول: يا رب أسوي او غير سوي فيجعله الله سويا أو غير سوي ثم يقول: يا رب ما رزقه؟ ما أجله؟ وما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيا او سعيدا» صحيح رواه مسلم وفي الجامع الصغير وزيادته برقم ١٩٨٤.

الحديث الثالث «اذا مر بالنطفة اثنتان واربعون ليلة، بعث الله اليها ملكا فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب: اذكر ام انثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على امر ولا ينقص» الجامع الصغير وزيادته ٧٩٧.

الحديث الرابع «ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر باربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فان الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة الاذراع فيسبق عليه كتابة فيعمل بعمل اهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة».

رواه البخاري باب ذكر الملائكة ٢/٢١١ حدثنا الحسن بن الربيع... عن عبد الله.

الحديث الخامس: «ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله تعالى الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر باربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله» اخرجه مسلم بروايات متعددة عن ابن مسعود وغيره من الصحابة.

وقال تعالى **﴿ان كل نفس لما عليها حافظ﴾**

تنبيه: المقصود بهذه الاحاديث جميعها ملك الرحم وما يقوم به من تطوير للجنين، بيان مدة تصرف كل ملك في الرحم، فاذا نظرنا للأحاديث من هذا المنطلق يزول الاشكال باذن الله.

لقوله تعالى **﴿هل أتى على الانسٰن حين من الدهر لم يكنْ شيئا مذكورا(١) انا خلقنا الانسٰن من نطفة امشاج نبتليه فجعلنٰه سميعا بصيرا﴾**

قال المفسرون: «هل أتى» بمعنى قد أتى.... والمراد بالانسان الجنس وبالحين: مدة لبثه في بطن امه[١] - يقول الصابوني: والغرض من الآية تذكير الانسان باصل نشأته فقد كان شيئا منسيا لا يفطن له، وكان في العدم في صلب ابيه، وماء مهينا لا يعلم به الا الذي يريد ان يخلقه[٢].

اي انه لم يكن شيئا مذكورا الى ان نفخ فيه الروح واصبح سميعا بصيرا.

(١) انظر التفسير الكبير للرازي ٣٠/٢٣٥.

(٢) وصفوة التفاسير ٣/٤٩١.

ما يستنتج من الاحاديث

الاحاديث جميعها تتكلم عن ملك الرحم المتصرف بامر الله عز وجل، التصرف بهذه الافعال. وقد فصل الرسول ﷺ الاطوار وكيفية التخليق والتصوير والتطوير ونفخ الروح من خلال كلامه عن الملك المرسل بامر الله عز وجل.

فالحديث الاول: يبين ان الله سبحانه وتعالى: وكل بالرحم ملكا يتصرف في تخليق النطفة بأمره بالتصرف فيها بهذه الافعال وبين من خلال ذلك الاطوار التي كلف الملك بفعلها.

والحديث الثاني: بين مدة تصرف هذا الملك وحددها بأنها أربعون ليلة، وذلك من اول ما يتسور عليها الملك الى ان ينهي برنامج عمله الذي تلقاه من السماء - ووصفه بانه الذي يخلقها - كما جاء في الشرح.

الحديث الثالث: بين ان الله يبعث ملكا آخر - يصورها - فالاول يخلقها والثاني يصورها. او ان يكون نفس الملك. البرنامج الاول للخلق ومدته اربعون ليلة - والبرنامج الثاني او المرحلة الثانية للتصوير ومدتها أربعون ليلة ايضا. وبين بعض من برنامج التصوير في هذه المرحلة.

الحديث الرابع: بين مدة عمل الملك الاول ثم بين ان برنامج الملك الثاني يشبه برنامج الملك الاول في التطوير اي ان الملك الثاني يطوره كما يطور الاول من النطفة الى العلقة، تشبيه وتمثيل، ويشير ايضا الى المرحلة الثالثة ايضا في التطوير مثل السابق. مثل تطوير العلقة الى مضغة، برنامج حافل الى ان ينتهي بنفخ الروح في نهاية مرحلته. وهي نهاية الاربع شهور.

والحديث الخامس: تشبيه بنفس طريقة الحديث الرابع مع بيان ارسال الملك في المرحلة الثالثة.

فاذا نفخ فيه الروح اصبح حيا ويسمى نفسا. وينطبق عليه قوله تعالى ﴿**ان كل نفس لما عليها حافظ**﴾ سورة الطارق. فيلازمه الملك الحافظ الى ما شاء الله. وسيأتيَ تفصيله فيما بعد. النتيجة: ان عدد الملائكة اربعة املاك. الاول: يخلقها. الثاني: يصورها والثالث: ينفخ فيها الروح. والرابع: يحفظها.

فسبحان ﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسن من طين**﴾.

الحافظ

﴿والسماء والطارق(١) وما ادراك ما الطارق(٢) النجم الثاقب(٣) ان كل نفس لما عليها حافظ(٤) فلينظر الانسنُ مم خلق﴾ اقسم سبحانه وتعالى بالسماء والكواكب النيرة قال المفسرون: سمي النجم طارقا لانه انما يظهر بالليل ويختفي بالنهار، وما ادراك ما الطارق استفهام وتعظيم النجم الثاقب المضيء جواب القسم «ان كل نفس لما عليها حافظ» من الملائكة يحرسها وهو الملك الموكل بالانسان وذلك من اول خلقه من ماء دافق ينقله من حال الى حال ملك يسلم آخر الى ان يموت ثم البعث حيث تبلى السرائر وتظهر مكنونات الضمائر الاول يخلقه وآخر يصوره، وآخر الى ان ينفخ فيه الروح فتصبح نفسا فينزل عليه الحافظ الى ان يبلغ سن الحلم. عن عائشة «رفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يعقل»[١] رفع القلم عن الصبي كناية عن عدم التكليف حتى يحتلم اي يبلغ وقد اجمع اهل العلم على ان الصبي غير مكلف قبل ان يدرك. فاذا بلغ سن التكليف نزل حافظان يحفظان عمله وحافظان معقبات من بين يديه ومن خلفه وصعد الحافظ الى ان يسلمانه الى ملك الموت. وهكذا ان معكم من لا يفارقكم. كأنه سلطان يكون عليه الحرس من امر الله. فحرس الملائكة للعبد تشبه حرس الملوك وامرائهم. وقد روى الامام ابو جعفر[٢] ابن جرير عن كنانه العدوي قال دخل عثمان بن عفان على رسول الله فقال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال «ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا، واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتبها؟ قال: لا، لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات، فاذا قال ثلاثا قال اكتبها اراحنا الله منه فبئس القرين، ما اقل مراقبته لله واقل استحياءه منا، يقول الله **﴿ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد﴾** وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى **﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾** الآية وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك، واذا تجبرت على الله قصمك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على

(١) رواه احمد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الحديث غريب والغريب هو الذي انفرد بروايته شخص واحد وقع الفرد به.

محمد ﷺ وملك قائم على فيك لا يدع ان تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة املاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لان ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وابليس بالنهار وولده بالليل».

وقال كعب الاحبار: لو تجلى لابن آدم كل سهل وكل حزن لرأى كل شيء من ذلك شيئا يفنيه لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم اذا لتخطفتم، وقال ابو امامه: ما من آدمي الا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلم للذي قدر له، وقال ابو مجلز: جاء رجل من مراد الى علي رضى الله عنه وهو يصلي، فقال احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكان يحفظانه مما لم يقدر، فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه، ان الاجل جنه حصينة.



الحفظة

﴿وإن عليكم لحفظين(١٠) كراما كتبين(١١) يعلمون ما تفعلون﴾[١] ان عليكم ملائكة حفظة يضبطون اعمالكم ويراقبون تصرفاتكم. قال القرطبي: عليكم رقباء من الملائكة[٢].

كراما على الله يكتبون اقوالكم واعمالكم، يعلمون ما يصدر منكم من خير وشر، ويسجلون في صحائف اعمالكم لتجازوا به يوم القيامة، واما العلم بآلة الكتابة وما يكتب فيه فمفوض الى الله. علمه عند ربي. **﴿ام يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾**[٣] وملائكتنا الحفظة يكتبون اعمالهم **﴿ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾**[٤] ان الملائكة الحفظة يكتبون مكركم ويسجلون اجرامكم، وفيه تنبيه على ما دبروه ليس بخاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير.

«وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرءان ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتب مبين»[٥] نحصي عليكم اعمالكم حين تندفعون وتخوضون فيها ولا يخفى على الله من وزن هباء او نملة صغيرة في سائر الكائنات او الموجودات، الا وهو معلوم لدينا مسجل في اللوح المحفوظ قال الطبري: والاية خبر منه تعالى انه لا يخفى عليه اصغر الاشياء وان خف في الوزن ولا اكبرها وان عظم الوزن، فليكن عملكم ايها الناس فيما يرضى ربكم. فانا محصوها عليكم ومجازوكم بها[٦] **﴿ولقد خلقنا الانسن ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد(١٦) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد(١٧) ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد(١٨)﴾**[٧] نحن خلقنا جنس الانسان، ونعلم ما يجول في قلبه وخاطره، ونحن اقرب اليه بعلمنا من حبل الوريد، وهو العرق في صفحة العنق.

(١) الانفطار ١٠، ١١، ١٢.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/٢٤٥.
(٣) الزخرف ٨٠.
(٤) يونس ٢١.
(٥) يونس ٦١.
(٦) الطبري ١١/١١٣٠.
(٧) سورة ق ١٦، ١٧، ١٨.

قال ابو حيان : ونحن اقرب اليه قرب علم ـ نعلم به وباحواله لا يخفى علينا شيء من خفياته فكأن ذاته تعالى قريب منه[1] وقال مجاهد : وكل الله بالانسان ـ مع علمه باحواله ـ ملكين بالليل وملكـين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان أثره، الزاما للحجة، احدهما عن يمينه يكتب الحسنات والآخر عن شماله يكتب **السيئات**[2].

وقال الالوسي : والمراد انه سبحانه اعلم بحال الانسان من كل رقيب، حين يتلقى **الملكان** الحفيظان ما يتلفظ به، وفيه ايذان بانه عز وجل غني عن استحفاظ الملكين لعرض الصحائف يوم يقوم الاشهاد، فاذا علم العبد ذلك، مع علمه باحاطة الله تعالى بعلمه ازداد رغبة في الحسنات وانتهاء عن السيئات[3]. ﴿**هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون**﴾[4] كنا نأمر الحفظة ان تكتب اعمالكم قال ابن عباس رضى الله عنهما: تكتب الملائكة اعمال العباد، ثم تصعد بها الى السماء الدنيا، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الاعمال على ما بايدي الكتبة مما قد ابرز لهم من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر مما كتبه الله في القدم على العباد قبل ان يخلقهم، فلا يزيد حرفـا ولا ينقص حرفـا. ﴿**فيها يفرق كل امر حكيم**﴾[5] ﴿**وان عليكم لحفظين (١٠) كراما كتبين(١١) يعلمون ما تفعلون**﴾[6].

(١) تفسير البحر المحيط ٨/١٢٣.

(٢) تفسير القرطبي ٩/١٧.

(٣) تفسير روح المعاني ٢٦/١٧٩.

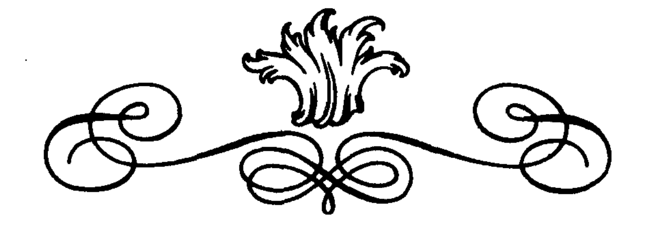
(٤) الجاثية ٢٨.

(٥) الدخان ٤.

(٦) الانفطار ١٠، ١١، ١٢.

قال ابن كثير: ان عليكم لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح، فانهم يكتبون عليكم جميع اعمالكم. عن مجاهد قال رسول الله ﷺ «اكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى حالتين الجنابة والغائط - فاذا اغتسل احدكم فليستتر بجرم حائط او ببعيره أو ليستره اخوه» وقد رواه الحافظ ابو بكر البزاز فوصله بلفظ آخر. وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: يقول الله: اذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة واذا اراد عبدي ان يعمل حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف» وزاد في بعض الروايات (الى اضعاف كثير) اخرجه البخاري في كتاب التوحيد. وقد تظاهرت النصوص على المؤاخذة بعزم القلب المستقر «ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة»[1] الآية وقد تظاهرت نصوص الشرع واجماع الامة على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وارادة المكروه بهم وغير ذلك من اعمال القلوب وعزمها. وقال الامام ابو جعفر الطحاوي: في هذه الاحاديث دليل على ان الحفظة يكتبون اعمال القلوب وعقدها اي عزمها المصمم - خلافا لمن قال انها لا تكتب الا الاعمال الظاهرة والله اعلم.

وذكر ابن كثير عن الامام احمد انه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاوس انه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الانين فلم يئن احمد حتى مات رحمه الله.



(١) النور ١٩.

الحفظة تكتب القول والفعل والنية

وقد ثبت بالنصوص المذكورة ان الملائكة تكتب القول والفعل وكذلك النية لانها فعل القلب فدخلت في عموم «يعلمون ما تفعلون».

ويشهد لذلك قوله ﷺ «قال الله عز وجل اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها، فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا»[1] وقال ﷺ «قالت الملائكة يا رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جرّاى»[2].

﴿انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثٰرهم وكل شيء أحصينٰه في امام مبين﴾[3].

قال الطبري: نكتب ما قدموا في الدنيا من خير وشر، ومن صالح الاعمال وسيئها «وءاثارهم» اي وآثار خطاهم بأرجلهم الى المساجد[4] وفي الحديث عن جابر: قال «اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد ـ والبقاع خاليه ـ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» فقالوا ما ان يسرنا انا كنا تحولنا»[5] وكل امر من الامور جمعناه وضبطناه في كتاب مسطور هو صحائف الاعمال كقوله تعالى ﴿يوم ندعو كل اناس بامامهم﴾ اي بكتاب اعمالهم الشاهد عليهم بما عملوا من خير او شر. وقال آخرون: هو اللوح المحفوظ.

فعبر عن احاطه علمه. بالكتابة في اللوح المحفوظ، وصحائف الاعمال. «ووضع الكتب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يويلتنا مال هذا الكتب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصىٰها ووجدوا ما عملو حاضرا ولا يظلم ربك احدا»[6].

(١) متفق عليه من ابي هريره.
(٢) الجامع الصغير وزيادته ٤٣٥٦.
(٣) يس ١٢.
(٤) تفسير القرطبي ٢٢/٩٩.
(٥) اخرجه مسلم في صحيحه.
(٦) الكهف ٤٩.

ووضعت صحائف الاعمال وبدأ عرض الحساب «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» ووجدوا ما عملوا حاضرا، فترى المجرمين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب، يقولون يا حسرتنا ويا هلاكنا على ما فرطنا في حياتنا الدنيا، وما شأن هذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا ضبطها واحاط بها ﴿**وكل شيء فعلوه في الزبر(٥٢) وكل صغير وكبير مستطر(٥٣)**﴾[1] وكل ما فعلته الامم المكذبة من خير وشر مكتوب عليهم مسجل في كتب الحفظة التي بايدي الملائكة وكل صغير وكبير من الاعمال مسطور ومكتوب في اللوح المحفوظ مثبت فيه[2]. ﴿**يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور**﴾ وكيف بانسان طالبة هو الواحد الديان الذي لا ينسى ولا يغفل ولا ينام ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾. انه ليرجف ويضطرب ويفقد توازنه وتماسكه حين يشعر ان السلطان في الارض يتتبعه بجواسيسه وعيونه ويراقبه في حركته وسكونه، وسلطان الارض مهما تكن عيونه لا يراقب الا الحركة الظاهرة، وهو يحتمي منه اذا أوى الى داره واذا اغلق عليه بابه أو اذا اغلق فمه.

اما في قبضة الجبار فهي مسلطة عليه أينما حل واينما سار، وأما رقابة الله فهي مسلطة على الضمائر والاسرار[3].

(١) القمر ٥٢، ٥٣.

(٢) صفوة التفاسير ٣/٣٠١.

(٣) اليوم الآخر في ظلال القرآن ٢٢٣.

المعقبات

سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار(١٠) له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله﴾[١] يستوي علمه تعالى ما اضمرت القلوب وما نطقت به الالسن، وما هو مستتر في ظلمات الليل، وما هو ظاهر في وضح النهار.

ولكل انسان ملائكة موكلة به، تتعاقب في حفظة، ياتي بعضهم بعقب بعض. نظام النوبة كالحرس في الدوائر الحكومية، من امام الانسان ومن خلفه، يحفظونه من الاخطار بأمر الله تعالى. قال قتادة: وفي بعض القراءات يحفظونه بأمر الله، قيل المراد حفظهم له من امر الله، رواه علي ابن ابي طلحة وغيره، وعن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير والنخعي وغيرهم[٢].

وقال مجاهد: ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانسان والهوام[٣] والحفظة يحفظون الانسان من كل شر سوى ما قدر عليه.

وعن ابن عباس: قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلو عنه. وقال مجاهد: ما من عبد الاله ملك موكل بحفظة في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شيء يأتيه يريده الا قال له الملك ورائك الا شيء اذن الله فيه فيصيبه[٤].

﴿ان كل نفس لما عليها حافظ﴾[٥] اي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الافات والهوام والجن والانس وما اريد به الا ما قدر عليه.

(١) الرعد ١٠، ١١.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٤.
(٣) الطبري ١٣/١١٩.
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٣.
(٥) الطارق ٤.

الحفظة والمعقبات يتعاقبون فيكم

قال ﷺ «يتعـاقبـون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبدي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»[1]. وأخرجه البخاري فقدم صلاة العصر على صلاة الصبح في كتـاب التوحيد. وفي الصحيحين «فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر» وعن ابي هريرة رضـي الله عنه.

«تفضـل صلاة الجمـع صلاة احـدكم وحـده بخمس وعشرين جزءاً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»[2].

شرح الاحـاديث ملخصـا من القسـطلاني في كتاب الصلاة: التعاقب: تأتي جماعة عقب الاخرى ثم تعود الاولى عقب الثانية، وتنكير ملائكة. في الموضعين ليفيد ان الثانية غير الاولى. كما قيل في قوله تعالى ﴿إن مع العسر يسرا﴾ إن استئناف، وعده تعالى بان اليسر مشفوع بيسر آخر لقوله صلى الله عليه وسلم «لن يغلب عسر يسرين» فان العسر معروف فلا يتعدد، واليسر منكر فيكون الثاني غير الاول.

وفي حديث الاعمش عن ابي هريرة عنـد ابي خزيمـة مرفـوعا لفظة «يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر وصلاة العصر، يجتمعون في صلاة الفجر، فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكـة النهـار، ويجتمعون في صلاة العصر فتصعد ملائكة النهار، وتثبت ملائكة الليل فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم».

(١) اخرجه النسائي من باب فضل صلاة الجماعة ١/٢٤٠.

(٢) رواه البخاري والنسائي.

والسؤال لاظهار فضل بني آدم للملائكة، لانهم يجيبون بالثناء عليهم. فيكون ذلك شهادة من الملائكة لبني آدم، وذلك شرف لهم وفي الحديث «انتم شهداء الله في الارض، والملائكة شهداء الله في السماء» نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الذين تشهد لهم الملائكة بالخير والصلاح.

وعددهم: **﴿اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾**[1] يكتب الملائكة في صحيفتي حسناته وسيئاته ما يعمله، فأحدهما عن يمينه لكتاب الحسنات والاخر عن شماله لكتابة السيئات وجاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الاعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد من وراءه وواحد امامه. فهو بين اربعة املاك بالنهار، واربعة اخرين بالليل بدلا. حافظان وكاتبان[2]. **﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله﴾**[3].

(١) سورة ق ١٧.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٩.
(٣) الرعد ١٠.

سبب تعاقبهم

قال تعالى ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتبْ﴾[1] اي ينسخ الله ما يشاء نسخه من الشرائع والاحكام وصحف الملائكة الكرام، ويثبت ما يشاء منها دون تغيير قال ابن عبّاس: يبدل الله ما يشاء فينسخه الا الموت والحياة والشقاء والسعادة فانه قد فرغ منها وهذا قول مجاهد ايضا حيث قال الا الحياة والموت والشقاوة والسعادة فانهما لا يتغيران، وقيل ان المحو والاثبات عام في جميع الاشياء لما روي أن عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت ويبكي ويقول: اللهم ان كنت كتبت علي شقوة او ذنبا فامحه، فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب واجعله سعادة ومغفرة»[2] وقد رجحه ابو السعود وهو قول ابن مسعود ايضا[3] «وعنده ام الكتاب» اي اصل كل كتاب ـ وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الاشياء كلها. وفي الحديث عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من حافظين رفعا الى الله ما حفظا من ليل أو نهار، فيجد الله في اول الصحيفة، وفي آخر الصحيفة خيرا، الا قال الله تعالى: **﴿أشهدكم أني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة﴾**[4] وذكر ابن كثير عن ابن عباس قال: يكتب كل ما تكلم به من خير او شر حتى انه ليكتب قوله: اكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير أو شر والقى سائره.

وقال ابن عباس رضي لله عنهما: تكتب الملائكة اعمال العباد، ثم تصعد بها الى السماء، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الاعمال على ما بايدي الكتبة مما قد ابرز لهم من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر مما كتبه الله في القدم على العباد قبل ان يخلقهم، فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفا «فيها يفرق كل امر حكيم»[5].

(١) الرعد ٣٩.
(٢) الطبري ١٣/١٦٧.
(٣) صفوة التفاسير ٢/٨٧.
(٤) اخرجه الترمذي ١/١٨٣.
(٥) الدخان ٤.

انتهاء حفظهم

﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون(٦١) ثم ردوا الى الله مولٰهم الحق ألا له الحكم وهو اسرع الحسٰبين﴾[١] يرسل عليكم ملائكة تحفظكم من بين ايديكم ومن خلفكم، فاذا جاء قدر الله خلو عنه. والمعنى: ان حفظ الملائكة للاشخاص ينتهي عند نهاية الاجل فهم مأمورون بحفظ ابن آدم ما دام حيا، فاذا انتهى اجله فقد انتهى حفظهم له، وهم لا يقصرون في شيء مما أمروا به من الحفظ، والتوفي.

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملٰئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[٢].

قال شيخ زاده: ان الملائكة تتنزل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة ان لا تخافوا من هول الموت ولا من هول القبر وشدائد يوم القيامة، وان المؤمن لينظر الى حافظيه قائمين على راسه يقولان له: لا تخف اليوم ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد، وانك سترى اليوم امورا لم تر مثلها. فلا تهولنك، فانما يراد بها غيرك[٣].

نقـول تتنزل الملائكة الذين في النوبة الاخرى. لان ملائكة النوبة الاولى موجودون معه. فيجتمع عنده الحفظة الاربعة والمعقبات الاربعة، الثمانية املاك. مع ملائكة الموت يبشرونه والله اعلم. فاذا انتهى اجله فقد انتهى حفظهم له، واما الكتبة فذكر ابن كثير في تفسيره عن الحسن البصري انـه تلى هذه الآية (عن اليمين وعن الشمال قعيد)[٤] ثم قال: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك، فأما الذي عن يمينك

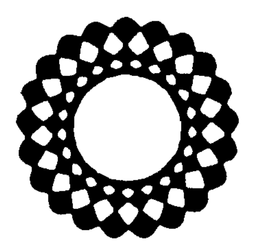
(١) الانعام ٦١، ٦٢.
(٢) فصلت ٣٠.
(٣) حاشية زاده علي البيضاوي ٣/٢٦١.
(٤) سورة ق ١٧.

فيحفظ الحسنات، واما الذي عن يسارك فيحفظ السيئات، فاعمل ما شئت، اقلل او اكثر، حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى **﴿وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾**[1] وهذا ليس كل انسان فقد ورد في الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية، او علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[2] انقطع عمله: اي الاثابة على عمله، لان العمل يتوقف بالموت فيتوقف الثواب المترتب عليه، الا ثلاث خصال، فان ثوابها لا ينقطع بموت فاعلها بل يستمر باستمرار اثرها ـ صدقة جارية: كالوقف من مسجد ـ علم ينتفع به: كتعليم غيره او تاليف كتب في العلم. واستغفار ولده. وفي الحديث «ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحد الا كان له صدقة»[3] وفي رواية له «فلا يغرس المسلم غرسا فيا كل منه انسان ولا دابة ولا طير الا كان له صدقة الى يوم القيامة».

وفي مسند الامام احمد عن بلال بن الحارث المزني ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ـ ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله ـ عز وجل ـ له بها رضوانه الى يوم يلقاه ـ وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن ان تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه الى يوم يلقاه» وقال ﷺ «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان»[4] وهذه فضيلة خاصة بالمرابطة ورزق في الجنة «**احياء عند ربهم يرزقون**» ﴿كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمي عمله الى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر﴾[5] وفي صحيح مسلم «من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا» مضاعفة اجر من تعلم العلم وعلمه. اما الحفظة وهم المعقبات، فينتهي عملهم بموته لقوله تعالى «**وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون**»[6].

(١) سورة الأسراء ١٣، ١٤.
(٢) رواه مسلم في الوصيه.
(٣) رواه مسلم والبخاري.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه ابوداود.
(٦) االانعام ٦١.

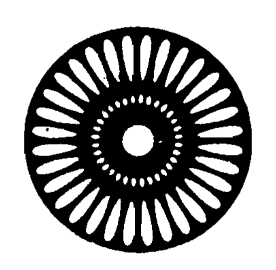
وقال ﷺ «من دعا الى هدى، كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة، كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[1] حديث صحيح، وفي الحديث الشريف «من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء، ومن سنَّ في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير ان ينقص من اوزارهم شيء»[2].



(١) صحيح الجامع الصغي وزيادته رقم ٦٢٣٤.
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٦٣٠٥.

الفراق

الملائكة والبلاء



سكرات الموت/ النزاع والمرض

قال تعالى ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين**﴾[1].

وقال تعالى ﴿**انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب**﴾[2] وقال تعالى ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾[3]. قال الاصفهاني في مفرداته: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل او الشرع، او على البعد عما يقتضيان حبسها عنه - ولنبلونكم: اللام للقسم اي والله لنختبرنكم بان نامركم بالجهاد وغيره من المشاق، حتى يظهر الطائع والعاصي منكم.

وعن ابي يحيى صهيب بن سنان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لامر المؤمن: **إن أمره كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنين - إن اصابته سراء شكر فكان خيرا له، وان اصابه ضراء صبر فكان خيرا له**»[4] والسراء: ما يسر، والضراء: ما يضر، في البدن او ما يتعلق به من أهل او ولد أو مال. فالمؤمن الكامل يشكر الله تعالى في السراء ويصبر على الضراء، فينال خير الدارين، أما ناقص الايمان فانه يتضجر ويتسخط من المصيبة، فيجتمع عليه نصيبها ووزر سخطه، وعن انس رضـي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضـي الله عنها: واكرب أبتاه! فقال: «ليس على ابيك كرب بعد اليوم» فلما مات قالت «يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه الى

(١) البقرة ١٥٥.
(٢) الزمر ١٠.
(٣) محمد ٣١.
(٤) رواه مسلم في كتاب الزهد.

جبريل ننعاه» فلما دفن قالت فاطمة رضـي الله عنها «اطابت انفسكم أتحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟»[1] ثقل من شدة المرض، والكرب: الشدة في سكرات الموت لعلو درجته وشرف رتبته، وفي الحديث «اشد الناس بلاء الانبياء» والفردوس: بستان يجمع كل ما في البساتين من شجر وزهر ـ ننعاه: نرفع خبر موته. ويفيد الحديث صبر النبي ﷺ على ما هو فيه من سكرات الموت وشدائده.

وعن ابي سعيد الخدري وابي هريرة رضـي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه»[2] متفق عليه ـ والوصب: المرض. من خطاياه: بعض خطاياه لأن بعض الذنوب لا تكفر بذلك، كحقوق الناس والكبائر.

وعن ابن مسعود رضـي الله عنه قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يوعكُ، فقلت: يا رسول الله، انك توعك وعكاً شديداً، قال: اجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» قلت: ذلك أن لكَ أجـرين؟ قال «أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى ـ شوكة فما فوقها ـ الا كفر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها»[3] متفق عليه، وعن ابي سعيد قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو محموم فوضعت يدي فوق القطيفة فوجدت حرارة الحمى فوق القطيفة، فقلت ما أشد حماك يا رسول الله قال «انا كذلك معشر الانبياء يضاعف علينا الوجع ليضاعف الأجر» افاد الحديث حصول الثواب على انواع البلاء مع الصبر «اشدكم بلاء الانبياء» لانهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب ولان الله تعالى جعل منهم قدوة واسوة حسنة[4] وقال النبي ﷺ «ان عظم الجزاء مع عظم البلاء، وان الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم، فمن رضـي فله الرضى، ومن سخط فله السخط»[5].

(١) رواه البخاري باب مرض النبي ﷺ.
(٢) رواه البخاري في المرض ومسلم في البر.
(٣) رواه البخاري في المرض ومسلم في البر.
(٤) نزهة المتقين لشرح رياض الصالحين ١/٧١.
(٥) رواه الترمذي في كتاب الزهد. وقال حديث حسن.

الملائكة/ وبلاء المؤمن

عن عطاء بن يسار قال: اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين، فقال: انظروا ماذا يقول لعواده؟ فان هو إذا جاءوه حمد الله، واثنى عليه، رفعا ذلك الى الله ـ عز وجل ـ وهو اعلم ـ فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته، ان أبدل له لحما خيرا من لحمه، ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته»[1] هذا الحديث برواية عطاء بن يسار، ولم يذكر رفعه الى النبي ﷺ، فيحتمل ان يكون موقوفا عليه، وهو ليس صحابيا فيكون من**كلامه او سمعه من صحابي.**

وعن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ـ انه عاد مريضا، ومعه ابو هريرة، من وعك كان به، فقال رسول الله: «أبشر، فإن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار في الآخرة»[2] وفي الحديث الصحيح «قال تعالى اذا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا فحمدني وصبر على ما بليته فانه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته امه من الخطايا ويقول الرب عز وجل للحفظة اني قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الاجر»[3] وقال ﷺ «اذا مرض العبد قال الله للكرام الكاتبين: اكتبوا لعبدي مثل الذي كان يعمل حتى اقبضه او أعافيه»[4]. وقال ايضا «ان العبد اذا مرض أوحى الله الى ملائكته: انا قيدت عبدي بقيد من قيودي فان اقبضه اغفر له وان اعافيه فحينئذ يقعد لا ذنب له»[5] فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم، فالمصائب مكفرة، بالصبر عليها يثاب العبد، وبالسخط يأثم، والصبر والسخط امر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، والصبر والسخط من فعله، والمصائب التي تصيب الناس لتكفر السيئات، واما الانبياء فإنما هي لرفع الدرجات لانهم معصومون عن الذنوب والآثام.

(١) اخرجه الامام مالك في الموطأ ٢/٢٠٦.
(٢) اخرجه ابن ماجه ٢/١٨٢.
(٣) الجامع الصغير وزيادته رقم ٤٣٠.
(٤) الحلية لابي نعيم ومسند احمد بن حنبل.
(٥) رواه الحاكم.

ملك الموت واعوانه

﴿قل يتوفكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾[1] يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم هو وأعوانه ثم مرجعكم الى الله يوم القيامة للحساب والجزاء.

قال ابن كثير: والظاهر أن ملك الموت شخص معين وقد سمي في بعض الاثار ب «عزرائيل». وهو المشهور، وله اعوان كما ورد في الحديث - ينتزعون الارواح من سائر الجسد، حتى اذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت[2].

وقال مجاهد: جمعت له الارض فجعلت مثل الطشت يتناول منها حيث يشاء[2].

﴿حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾[3] حتى اذا انتهى اجل الانسان توفته الملائكة الموكلون بقبض الارواح. والملائكة اكثر من ملك.

﴿والنزعت غرقا(١) والنشطت نشطا﴾ اقسم بالملائكة التي تنزع ارواح الكفار بشدة واقسم بالملائكة التي تنزع ارواح المؤمنين بسهولة ويسر. اي ينتزعون الارواح من سائر الجسد حتى اذ بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت واستخرجها ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة. او ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بأمر الله وقضائه وقدره وحكمة أمرة فصحت اضافة التوفي الى كل حسب عمله.

(١) السجده ١١.
(٢) مختصر ابن كثير ٣/٧٣.
(٣). الانعام ٦١.

الروح

﴿ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا﴾[1] ما هي وما حقيقتها؟ فقل لهم انها من الاسرار الخفية التي لا يعلمها إلا رب البريه، وما اوتيتم أيها الناس من العلم إلا شيئا قليلا لأن علمكم قليل بالنسبة إلى علم الله، والله فقط هو الذي يستطيع ان يقول لنا، لان الانسان لا يستطيع ان يدخل الروح المعمل. فهذا علم اختص به الله وحده فالانسان حين يكون في يقظة يرى الاشياء بقدر ما تعطيه هذه اليقظة من وعي وهو خاضع للعقل. فاذا نام مثلا تغير الحال، واصبح يرى في نومه اشياء لا يراها في اليقظة، فيمكن ان يرى نفسه يطير في الهواء او يخترق الجدران وينتقل من بلد الى بلد باسرع من البرق او يتحدث في علوم او يرى اشياء عجيبة، والعجيب ان الرؤيا تتم والعين مغلقة، فالذي يرى ليس العين وانما الروح، وقد تلتقي مع الاموات وتتحدث معهم فاذا استيقظ ضاع كل هذا.

اذن فالروح لها رؤية خاصة، ولاننا لا نعرف قوانين الروح والجسد قائم حي متيقظ، لا نعرف قوانينها بعد مفارقة الجسد لانه غيب عنا. لذلك نلجأ الى علم الله والذي لا ينطق عن الهوى فعن ابي سعيد الخدري رضـي الله عنه قال كان النبي ﷺ يقول: «اذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت: قدموني قدموني. وان كانت غير صالحة قالت لأهلها يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء الا الانسان، ولو سمع الانسان لصعق»[2].

أفاد الحديث: ان للميت ادراكا خاصا بعد المهات الله اعلم به. والنطق حقيقة لظاهر الحديث يسمع صوتها كل شيء الا الانسان، وانما اخفى الله عن الناس ما يكون عليه حال الاموات، ليحقق الاختيار والارادة الحرة في الكسب والعمل كما اخفى من قبل الملائكة والجن وغيرهم.

وقال تعالى ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايت لقوم يتفكرون﴾[3] يقبضها من الابدان عند فناء آجالها وهي الوفاة الكبرى والتي لم ينقضي اجلها في منامها وهي الوفاة الصغرى، بمعنى

(١) الاسراء ٨٥.

(٢) رواه البخاري في باب الجنائز (باب حمل الرجال الجنازه دون النساء).

(٣) الزمر ٤٢.

انه يتوفى الانفس على وجهين وفاة كاملة حقيقية وهو الموت، ووفاة صغرى وهو النوم ومنه قوله تعالى **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه لتقضىٰ اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظه حتى اذجاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾**[1] فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الاية ذكر الكبرى ثم الصغرى، وفيه دلالة على انها تجتمع في الملأ الاعلى كما ورد عن ابن عباس: ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام، فتتعارف ما شاء الله لها فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل أرواح الاحياء الى اجسادها[2].

ففيها الاخبار بتوفيها وامساكها وارسالها «ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملئكة باسطوا ايديهم أخرجوا انفسكم»[3] ففيها بسط الملائكة ايديهم لتناولها ووصفها بالاخراج والخروج والاخبار بعذابها ذلك اليوم، والاخبار عن مجيئها الى ربها، وكذلك توفي النفس بالليل وبعثها الى اجسادها بالنهار **﴿يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾**[4] ففيها وصفها بالرجوع والدخول والرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم «ان الروح اذا قبض تبعه البصر»[5] وصفه بالقبض وان البصر يراه.

فما هي الروح؟ والذي يدل عليه الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل: ان النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الاعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الاثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف ساريا في هذه الاعضاء وأفادها . . واذا فسدت هذه بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها خرجت عن قبول تلك الاثار، فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح[6]. اذا فالموت ليس نهاية المطاف، انما هو حلقة لها ما بعدها من حلقات النشأة المقدرة المدبرة التي ليس شيئا منها عبثا ولا سدى فالموت نهاية المطاف للرحلة القصيرة على الارض، والى الله يرجع الجميع .

فالموت طور من اطوار النشأة الانسانية وليس نهاية الاطوار، والاحداث والاحوال التي تمر في هذه الارض ان هي إلا فصل صغير من الرواية الكبيرة .

(١) الانعام ٦٠ .
(٢) تفسير القرطبي ١٥/٢٦٠ .
(٣) الانعام ٩٣ .
(٤) الفجر ٧ الى ٣٠ .
(٥) رواه مسلم عن ام سلمه .
(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٤٤٣ .

الملائكة والبشارة

من احب لقاء الله احب الله لقاءه

عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ـ قال : من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ـ قالت عائشة :ـ او بعض أزواجه :ـ انا لنكره الموت ، قال : ليس ذاك ولكن المؤمن اذا حضره الموت ، بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء احب اليه مما امامه ، فأحب لقاء الله ، واحب الله لقاءه ، وان الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما أمامه ، كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه» اخرجه بخاري[1] واخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه (من احب لقاء الله احب الله لقاءه) بروايات عدة فاخرجه بسنده الى أبي موسى الاشعري رضي الله عنه مختصر ، واخرجه عن ابي هريرة رضى الله عنه ، مقتصرا على هذا اللفظ وعن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «من احب لقاء الله احب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه والموت قبل لقاء الله» . وفي رواية بسنده عن شريح ، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه» قال : اي شريح : فأتيت عائشة رضي الله عنها ـ فقلت : يا ام المؤمنين ، سمعت ابا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ ـ حديثا ، ان كان كذلك فقد هلكنا فقالت : ان الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قال : قال رسول الله ﷺ «من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» وليس منا أحد الا وهو يكره الموت ، فقالت ، قد قاله رسول الله ﷺ وليس بالذي تذهب اليه ، ولكن اذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، وتشنجت الاصابع ، فعند ذلك ، (من احب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) شرح الحديث[2] . قال الخطابي : محبة اللقاء : ايثار العبد الآخرة على الدنيا ، طول الاقامة فيها لكن يستعد للارتحال منها .

(١) البخاري في كتاب الرقاق جـ٩ قسطلاني ص ٢٩٥ .

(٢) من القسطلاني كتاب الرقاق ٤٩٥/٩ .

واللقاء على وجوه الاول: الرؤية. والثاني البعث «قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله» اي البعث والثالث الموت «من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت».

وقال ابن الاثير: المراد باللقاء المصير الى الدار الآخرة وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت لان كلا يكرهه، فمن ترك الدنيا وابغضها احب لقاء الله، ومن آثرها وركن اليها كره لقاء الله. ومحبة الله للقاء عبده: ارادة الخير له، وانعامه عليه.

قال حسان ابن الاسود: الموت جسر يوصل الحبيب الى حبيبه.

وفي رواية «ولكن اذا حضر، فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، فاذا بشر بذلك «أحب لقاء الله، والله للقاءه احب»[1].

وقال النووي[2]: معنى الحديث ان الكراهية المعتبرة، هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل انسان بما هو صائر اليه، وما اعده الله له، وما يكشف له عن ذلك فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله، لينتقلوا الى ما أعد لهم، ويحب الله ـ لقاءهم. اي فيجزل لهم العطاء والكرامة.

واهل الشقاوة يكرهون لقاء الله، لما علموا من سوء ما ينتقلون اليه، ويكره الله لقاءهم، اي يبعدهم عن رحمته وكرامته، ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه وتعالى لقاءهم. وليس معنى هذا الحديث ان سبب كراهة الله تعالى لقاءهم ـ هو كراهتهم ذلك، ولا أن حبه لقاء الاخرين هو حبهم ذلك بل هو صفة لهم.

وقولها «اذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الاصابع».

شخص البصر: ارتفاع الاجفان وتحديد النظر.

واما الحشرجة: فهي تردد النفس في الصدر.

واما اقشعرار الجلد: فهو قيام شعره.

وتشنج الاصابع: تقبضها[3] والله اعلم.

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون(٣٠) نحن أولياؤكم في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون(٣١) نزلا من غفور رحيم﴾[4] استقاموا على طاعة الله فكانوا مؤمنين

(١) رواه احمد بسند قوي.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١١٨/١٠.

(٣) من شرح النووي.

(٤) فصلت ٣٠، ٣١، ٣٢.

صادقين كما قال عمر بن الخطاب رضـي الله عنه على المنبر بعد ان تلا الآية: استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يروغوا روغان الثعالب. [1] تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت بأن لا تخافوا يبشرونهم ويطمئنونهم لا تخافوا مما تتقدمون عليه من احوال القيامة ولا تحزنوا على ما خلفتموه في الدنيا من اهل ومال وولد، فنحن نخلفكم فيه. ويبشرونهم. ابشروا بجنة الخلد التي كنتم توعدون، التي وعدكم الله بها على لسان الرسل.

وكما تقدم ان الملائكة تنزل بهذه البشارة وان المؤمن لينظر الى حافظيه قائمين على راسه يقولان: لا تخف اليوم ولا تحزن وابشر بالجنة التي كنت توعد.

وتقـول لهم المـلائكـة نحن انصاركم واعوانكم في الدنيا والآخرة ولكم في الجنة ما تشتهيه نفوسكم وتقربه اعينكم ضيافة وكرامة من رب واسع المغفرة عظيم الرحمة الكريم الجواد.

﴿لهم البشرى في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة﴾[2] حيث تبشرهم الملائكة برضوان الله ورحمته، وفي الاخرة بجنات النعيم والفوز العظيم، لهم ما يسرهم في الدارين.

﴿الذين تتوفٰهم الملائكة طيبين يقولون سلٰم عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾[3] حال كونهم ابرارا قد تطهروا من دنس الشرك والمعاصي طيبة نفوسهم بلقاء الله تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم بالجنة قال ابن عباس: الملائكة يأتونهم بالسلام من قبل الله ويخبرونهم انهم من اصحاب اليمـين[4] **﴿فـاما ان كان من المقربين(٨٨) فروح وريحان وجنت نعيم(٨٩) واما ان كان من اصحاب اليمين(٩٠) فسلام لك من اصحاب اليمين﴾**[5]: فاما ان كان المتوفٰى الذي يبين حاله من السابقين فرح وسرور وطيب رائحة. عند قبض روحه وفي قبره وعند بعثه، وجنه ذات تنعم في آخرته. وبشارة عند قبض روحه. واما ان كان من اصحاب اليمين الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم. تقول لهم الملائكة سلام عليك وسلام لك يا صاحب اليمين، عند قبض روحه تبشره. او فسلام لك يا محمد منهم.

وعن ابي هريرة رضـي الله عنـه «اذا حضر المؤمن، اتتـه ملائكـة الـرحمة بحريره بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك، الى روح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كاطيب ريح المسك، حتى انه ليناوله بعضهم بعضا[6] . . . الحديث.

(١) تفسير القرطبي ١٥/٣٥٨.
(٢) يونس ٦٤.
(٣) النحل ٣٢.
(٤) الطبري ١٠١/١٤.
(٥) الواقعة ٨٨ ـ ٩١.
(٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٤٩٠.

وفي رواية اخرى «ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل صالحا قال: اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميده، وابشري بروح وريحان، ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقول: فلان فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميده وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله تبارك وتعالى»[1].

﴿يا أيتها النفس المطمئنة(٢٧) ارجعي الى ربك راضية مرضية(٢٨) فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[2]﴿كلا ان كتب الابرار لفي عليين (١٨) وما ادرك ما عليون (١٩) كتب مرقوم (٢٠) يشهده المقربون﴾[3].

قال المفسرون: ان روح المؤمن اذا قبضت، صعدت الى السماء، وفتحت لها ابواب السماء وتلقتها الملائكة بالبشرى ثم يخرجون معها حتى ينتهون الى العرش، فيخرج لهم رق. فيكتب فيه ويختم عليه بالنجاة من الحساب والعذاب[4].

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾[5].

اي جاءت بحقيقة الامر من سعادة الميت وشقاوته، او بنفس الموت وهو الامر الذي لا بد ان يكون لكل حي.

ذلك ما كنت منه تحيد، ذلك ما كنت منه تهرب وتفر في حياتك، فاين تذهبون.

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ١٩٦٨.
(٢) الفجر ٢٨ ـ ٢٩.
(٣) سورة المطففين ١٨ ـ ٢١.
(٤) ذكره الطبري عن كعب ١٩/٢٦٠.
(٥) سورة ق ١٩.

الملائكة والبشارة
ملائكة العذاب وتقريع الكافر

﴿ان الذين توفهٰم الملٰئكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض، قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولٰئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾[1] تتوفاهم حال كونهم ضالمي انفسهم بالاقامة في دار الشرك وترك الهجرة والايمان، توبخهم الملائكة تسألهم سؤال توبيخ وتقريع. «ولو ترى اذ الظٰلمون في غمرات الموت والملٰئكة باسطوا ايديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن ءايته تستكبرون»[2] وملائكة العذاب يضربون وجوههم وادبارهم لتخرج ارواحهم من اجسادهم قائلين لهم خلصوا انفسكم من العذاب.

هاتوا ارواحكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح الشديد في الازهاق من غير تنفيس ولا امهال. «حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كفٰرين»[3] قالت لهم الملائكة للتبكيت والحجة ادعوا الالهة التي كنتم تعبدون من دون الله ليخلصوكم من العذاب، قالوا على سبيل التحسر لا نرجو نفعهم ولا ضرهم، واعترفوا بالكفر والضلال.

﴿ولو ترى اذ يتوفّى الذين كفروا الملٰئكة يضربون وجوههم وأدبٰرهم وذوقوا عذاب الحريق(٥٠) ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد﴾[4] لو رأيت حالتهم ببدر حين تقبض الملائكة ارواح الكفرة. تضربهم الملائكة من امامهم ومن خلفهم على وجوهكم وعلى ادبارهم، بمقامع من حديد قائلين لهم ذوقوا عذاب النار المحرق» بشارة لهم بالعذاب والخسارة، وقال البيضاوي: كانت معهم اسواط مِّن نار يضربونهم بها فتشتعل جراحاتهم نارا[5].

(١) النساء ٩٧.
(٢) الانعام ٩٣.
(٣) الاعراف ٣٧.
(٤) الانفال ٥٠، ٥١.
(٥) البيضاوي ٢١٥.

﴿يوم يرون الملٰئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا﴾[1].

قال ابن كثير: حين الاحتضار تبشرهم الملائكة بالنار فتقول للكافر عند خروج روحه: اخرجي ايتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث اخرجي الى سموم وحميم وظل من يحموم فتأبى الخروج، وتتفرق في البدن، فيضربوه بمقامع من حديد[2].

﴿فكيف اذا توفتهم الملٰئكة يضربون وجوههم وأدبٰرهم﴾[3] قال ابن عباس: لا يتوفى احد على معصية الا تضرب الملائكة في وجهه ودبره[4].

وفي الحديث: «. . . وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند راسه، فيقول: ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده. فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول. . .»[5].

وفي الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه نروي بعضه «. . . وان الكافر اذا حضر اتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطا عليك، الى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفه حتى يأتوا بها باب الارض، فيقولون ما انتن هذه الريح؟ حتى يأتوا بها ارواح الكفار»[6].

(١) الفرقان ٢٢.

(٢) المختصر ٢/٦٢٨.

(٣) محمد ﷺ ٢٧.

(٤) البحر المحيط ٨/٨٤.

(٥) جزء من حديث ١٦٧٦ الجامع الصغير وزيادته.

(٦) الجامع الصغير وزيادته رقم ٤٩٠.

اذا بلغت الحلقوم

﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم(٨٣) وانتم حينئذ تنظرون(٨٤) ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون(٨٥) فلولا ان كنتم غير مدينيين(٨٦) ترجعونها ان كنتم صدقين﴾[١].

هنا في هذه اللحظة وقد فرغت الروح من امر الدنيا، وهي تستقبل عالما لا عهد لها به، ولا تملك من امره شيئا الا ما ادخرت من عمل، وما كسبت من خير او شر، هنا وهي ترى ولا تملك الحديث عما ترى وقد انفصلت عمن حولها وما حولها، الجسد هو الذي يراه الناظرون، ولكنهم ينظرون ولا يرون ما يجري ولا يملكون من الامر شيئا، هنا تقف قدرة البشر، ويقف علم البشر، وينتهي مجال البشر هنـا يعرفون ولا يجادلون، انهم عجزة قاصرون، هنا تنفرد الالهية، والعلم الالهي، ويخلص الامر كله لله، فاذا مجلس الموت تجلله رهبة الحضور، وجلاله، فوق ما فيه من عجز ورهبة وانقطاع ووداع، ويتمنى الانسان ان يعود «حتى اذا جاء احدهم الموت قال: رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت. كلا انها كلمة هو قائلها» انه مشهد الاحتضار، واعلان التوبة عند مواجهة الموت وطلب الرجعة الى الحياة لتدارك ما فات، فاذا الرد على هذا الرجاء المتأخر كلمة الموقف الرهيب: كلا فلقد قضي الامر، واغلقت الابواب، واسدلت الستائر «ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون» فلا هم من اهل الدنيا، ولا هم من اهل الآخرة. انما هم في ذلك البرزخ الى يوم يبعثون. هنا التحدي: فهلا اذا بلغت الروح الحلقوم عند معالجة سكرات الموت وانتم في ذلك الوقت تنظرون الى المحتضر وما يكابده من شدائد واهوال، ونحن بعلمنا، واطلاعنا اقرب الى الميت منكم، ولكن لا تعلمون ذلك، ولا تبصرون ملائكتنا الذين حضروه لقبض روحه. . . وحاصل المعنى: انكم ان كنتم غير مربوبين كما تقتضيه اقوالكم واعمالكم، فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن اذا بلغت الحلقوم، وتردونها كما كانت بقدرتكم وسلطانكم» قال ابن كثير: ومعنى الاية ملائكتنا أقرب اليه منكم ولكن لا ترونهم[٢].

وقال الحازن: ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب، ولا اله يجازي، فهلا تردون

(١) الواقعة ٨٣ ـ ٨٧.

(٢) مختصر ابن كثير ٣/٤٤٠.

نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم، واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا[1] .

﴿كلا اذا بلغت التراقي(٢٦) وقيل من راق(٢٧) وظن انه الفراق(٢٨) والتفت الساق بالساق(٢٩) الى ربك يومئذ المساق﴾[2] والتراقي : اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة ثغرة النحر عن يمين وشمال وهي موضع الحشرجة.

قال الفخر الرازي : واعلم انه يكنى ببلوغ النفس التراقي عن القرب من الموت.

وقيل من راق : اي وقال اهله واقرباؤه من يرقيه ويشفيه مما هو فيه.

وقال في البحر: ذكرهم تعالى بصعوبة الموت وهو اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي وهي عظام اول الصدر ـ فقال اهله من يرقى ويطب، ويشفي هذا المريض[3] يبحثون عن الاطباء، يبحثون عن المشعوذين، من يطبه ويداويه، بالقول أو بالفعل حتى ينجو، فقد بلغ حدا لا يستطيع معه احد ان ينجيه من الموت.

وظن انه الفراق: ايقن المحتضر انه سيفارق الدنيا، والاهل، والمال، والعيال، والاطيان لمعاينته ملائكة الموت.

والتفت الساق بالساق: قال ابن عباس: اجتمعت عليه شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه فيكون ذلك من باب التمثيل للامر العظيم، كما يقال شمرت الحرب عن ساقها ـ استعارة لشدتها. والعرب لا تذكر الساق الا في المحن والشدائد العظام.

ومرجع العباد الى الله يجتمع عنده الابرار والفجار ثم يساقون الى الجنة او النار.

والنـزعت غرقا. والنشطت نشطا﴾ اقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسامهم نزعا بالغ الغاية في الشدة من النزع وهو جذب الشيء من مقره واقسم بالملائكة التي تنزع ارواح المؤمنين بسهولة ويسر.

قال ابن مسعود: وينزع روح المؤمن برفق ولين، ويقبضها كما ينشط العقال من يد البعير[4] وفي الحديث عن عائشة ان النبي لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول «سبحان الله ان للموت لسكرات»[5]

(١) تفسير الخازن ٤/٢٧.
(٢) القيامه ٢٦ ـ ٣٠.
(٣) تفسير الطبري ٢٩/١٢٣.
(٤) تفسير الخازن ٤/٢٠٤.
(٥) رواه البخاري.

الملائكة وقبض الروح/ الموت

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[1] ولو تحصنتم منه بالحصون المنيعة «كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحيوٰة الدنيا الا متاع الغرور»[2] مصير الخلائق الى الفناء.

﴿كل من عليها فان(٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلـٰل والاكـٰرم﴾ كل من على وجه الارض من انسان وحيوان والنبات سيموت ويبقى ذو العظمة والكبرياء كل شيء هالك الا وجهه والموت سبب النقلة من دار الفناء الى دار الثواب والعقاب.

وفي الحديث عن البراء «إن العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من اكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، أخرجي الى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فاذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، باحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ـ حتى ينتهوا به الى سماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها، حتى ينتهي الى السماء السابعة، فيقول الله عز وجـل: اكتبـوا كتـاب عبدي في عليين، واعيدوا عبدي الى الارض، فاني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة،

(١) النساء ٧٨.

(٢) آل عمران ١٨٥.

(٣) الرحمن ٢٦، ٢٧.

وافتحوا له بابا الى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة حتى ارجع الى أهلي ومالي.

وأن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول أيتها النفس الخبيثة! أخرجي الى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده فينزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فياخذها، فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟! فيقولون: فلان بن فلان بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ: «لا تفتح لهم أبواب السماء» فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجِّين في الارض السفلى، فتطرح روحه طرحا، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا ادري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا ادري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا ادري، فينادي مناد من السماء: ان كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول. من انت فوجهك الوجه يجيىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة» صحيح رواه في مسند الامام احمد، وابن خزيمة للحاكم وفي شعب الايمان للبيهقي والضياء عن البراء. ورواه صحيح الجامع الصغير وزيادته الطبعة المجددة تحت رقم ١٦٧٦.

الملائكة تؤمن على ما يقول اهل الميت

عن ام سلمة رضـي الله عنها قالت «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: «ان الروح اذا قبض تبعه البصر» فضج ناس من اهله فقال «لا تدعو على انفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال «اللهم اغفر لابي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبة في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه»[1] شق بصره: اي شخص وصار ينظر الى شيء يرتد اليه طرفه. وضج ناس من اهله: اي رفعوا اصواتهم بالبكاء عليه. وافاد الحديث النهي عن الدعاء على النفس عند موت احد من الاهل لان الملائكة تؤمن على ما يقول اهل الميت، وكذلك عيادة اهل الفضل لاخوانهم والدعاء لهم عند الموت وبعده، وفيه ما يدل على نعيم القبر وانتفاع الميت بالدعاء له.

وعن ابي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لقنوا موتاكم لا اله الا الله»[2].

استحباب التكلم بخير عند المريض من الدعاء له ولغيره، وتلقينه الشهادتين، وتلاوة سورة يسۤ، ويحـرم التكلم بشر من الـدعاء على النفس فان الملائكة تؤمن على ما يقول اهل الميت، ويستحب ان يقول اللهم اجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرا منها فعن ام سلمة رضـي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها الا آجره الله تعالى في مصيبته، واخلف له خيرا منها» قالت فلما توفي ابو سلمة قلت كما امرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرا منه: رسول الله ﷺ.[3]

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم باب تلقين الموتى لا إله إلا الله.

(٣) رواه مسلم.

تعلق الروح بالبدن

فالروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق متغايرة الاحكام.

١ ـ تعلقها به في بطن الام جنينا.

٢ ـ تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض.

٣ ـ تعلقها به في حالة النوم فلها به تعلق على وجه ومفارقة من وجه.

٤ ـ تعلقها به في البرزخ فانها وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا. بحيث لا يبقى لها اليه التفات البتة، فانه ورد ردها اليه وقت سلام المسلم، وورد انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد اعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

٥ ـ تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو اكمل انواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه، اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا فالنوم اخو الموت، فتأمل هذا يزح عنك اشكالات كثيرة[1].

فان عود الروح الى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا. واتفق اهل السنة والجماعة على ان كل انسان يسأل بعد موته قبر ام لم يقبر، فلو اكلته السباع أو احرق حتى صار رمادا ونسف في الهواء أو غرق في البحر، لسئل عن اعماله وجوزي بالخير خيرا وبالشرشرا، وان النعيم أو العذاب على النفس والبدن معا[2].

وقال ابن القيم: مذهب سلف الامة وأئمتها: ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب، وان ذلك يحصل لروحه وبدنه، وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة وانها تتصل بالبدن احيانا، ويحصل له معها النعيم او العذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى، اعيدت الارواح الى الاجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى[3].

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٥١.

(٢) فقه السنة ١/٤٨٢ باب سؤال القبر.

(٣) فقه السنة ٤٨١، ١/٤٨٢.

وفي الحديث: عن انس «ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه، حتى انه يسمع قرع نعالهم» حديث صحيح.

والموت ليس نهاية المطاف انما هو حلقة لها ما بعدها من حلقات النشأة المقدرة المدبرة. التي ليس شيئا منها عبثا ولا سدى. انه نهاية المطاف للرحلة القصيرة على الارض فالموت طور من اطوار النشأة الانسانية وليس نهاية المطاف وليس نهاية الاطوار. والاحداث والاحوال. ان هي إلا فصل من الفصول المقدرة.



الملائكة السابقات

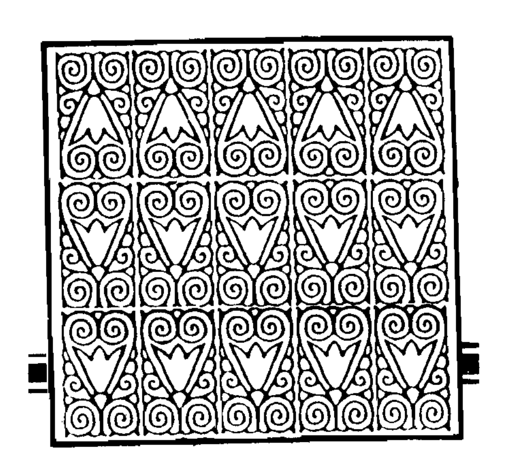
قال تعالى ﴿**فالسابقات سبقا**﴾[1] قال الصابوني: اي الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة[2] وقال في صفوة البيان: السابقات: صفة للنازعات والناشطات، اي المسرعات بأرواح الكفار التي تنزعها الى النار، وبارواح المؤمنين التي نشطتها الى الجنة[3].

وفي الجلالين: الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة[4].

وفي الحديث: عن ابي هريرة «اذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها ـ فذكر من ريح طيبها ـ ويقول اهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الارض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه، فينطلق به الى ربه. ثم يقول: انطلقوا به الى آخر الاجل. وان الكافر اذا خرجت روحه ـ فذكر من نتنها ـ ويقول اهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الارض فيقال: انطلقوا به الى آخر الاجل»[5].

(١) سورة النازعات ٤.
(٢) صفوة التفاسير ٣/٣١٥.
(٣) صفوة البيان ٧٧٨.
(٤) الجلالين ٧٨٩.
(٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٥٠٤.

سؤال
القبر



سؤال منكر ونكير

قال تعالى ﴿**يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظلمين ويفعل الله ما يشاء**﴾[1]. قال البخاري عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المسلم اذا سئل في القبر شهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله» فذلك قوله ﴿**يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحيوٰة الدنيا وفي الاخرة**﴾[2] ورواه مسلم ايضا وبقية الجماعة كلهم من حديث شعبه به. وافاد الحديث ان سؤال القبر حق وان الله تعالى يلهم المؤمن النطق بالحجة المنجيه وهي الشهادتان[3] وقال الصابوني: اي يثبتهم على كلمة التوحيد لا اله الا الله وعلى الايمان في هذه الحياة الدنيا فلا يزيغون ولا يفتنون «وفي الآخرة» عند سؤال الملكين في القبر كما في الحديث الشريف «المسلم اذا سئل في القبر شهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله»[4] وهذا الرأي هو اختيار الطبري.

وعن انس «ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه، حتى انه يسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ ـ لمحمد ـ فأما المؤمن فيقول: اشهد انه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر الى مقعدك من النار، قد ابد لك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا، ويفسح له في قبره سبعون ذراعا، ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون.

واما الكافر او المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا ادري، كنت اقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين إذنيه: فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ـ ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه»[5] صحيح وعن ابي هريرة رضـي الله عنه «اذا قبر الميت أتاه ملكان اسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو: عبد الله ورسوله اشهد

(١) سورة ابراهيم ٢٧.

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة ابراهيم ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها.

(٣) نزهة المتقين ١/٣٨٧.

(٤) صفوة التفاسير ٢/٩٧.

(٥) الجامع الصغير وزيادته ١٦٧٥.

ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم انك تقول. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال نم، فيقول: ارجع الى اهلي فاخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله، لا ادري فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف اضلاعه، فلا يزال فيها معذبا. حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك[١] حديث حسن.

وفي صحيح ابي حاتم عن ابي هريرة رضـي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «اذا قبر احدكم او الانسان أتاه ملكان اسودان أزرقان يقال لاحدهما المنكر والآخر النكير»[٢] حسن وفي مسند الامام احمد وصحيح ابي حاتم ان النبي ﷺ قال «ان الميت اذا وضع في قبره انه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند راسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد اخذت للغروب فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى اصلي، فيقولان: انك ستصلي، اخبرنا عما نسألك عنه؟ أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟وما تشهد به عليه، فيقول: محمد اشهد انه رسول الله جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث انشاء الله، ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له: هذا مقعدك وما اعد الله لك فيه فيزداد غبطة وسرورا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدىء منه، وتجعل نسمته في النسم الطيب وهي طير معلق في شجر الجنة قال: فذلك قول الله تعالى **﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحيوٰة الدنيا وفي الآخرة﴾** وذكر في الكافر ضد ذلك الى ان قال: ثم يضيق عليه في قبره الى ان تختلف فيه اضـلاعـه فتلك المعيشة الضنك التي قال الله تعالى **﴿فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة**

(١) الجامع الصغير وزيادته ١٦٧٥.

(٢) اخرجه الترمذي ١/١٢٩ وهو مخرج في الصحيحه ١٣٩١.

اعمى﴾[1] وعن عثمان بن عفان «ان القبر او منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد منه»[2].

وفي حديث البراء بن عازب الطويل فيه «واعيدوا عبدي الى الارض فاني منها خلقتهم، وفيها اعيدهم، ومنها اخرجهم تارة اخرى، فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له، ما دينك؟ فيقول ديني الاسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء، ان صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، والبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا الى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له من قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح فيقول: ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له من انت؟ فوجهك الوجه يجيىء بالخير، فيقول: انا عملك الصالح: فيقول رب اقم الساعة رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي» وذكر ان العبد الكافر «فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ «لا تفتح لهم ابواب السماء» فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلي، فتطرح روحه طرحا، فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا ادري، فينادي مناد من السماء: ان كذب عبدي، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابا من النار، فيأتيه، من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول. من انت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول انا عملك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة»[3].

(١) فقه السنة ١/٤٨٥.
(٢) الجامع الصغير وزيادته ١٦٨٤.
(٣) حديث صحيح من حديث البراء والحديث طويل تم سياقه في باب الموت وهو في الجامع الصغير وزيادته تحت رقم ١٦٧٦ بطوله.

عذاب القبر

وقد تواترت الاخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك اهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والايمان به ولا نتكلم في كيفيته، اذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا ياتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول.

واعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر او لم يقبر، اكلته السباع او احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء او صلب او غرق في البحر، وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل الى القبور، وما ورد من اجلاسه واختلاف اضلاعه ونحو ذلك، فيجب ان يفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده[1].

فقد ركب الانسان من بدن ونفس، وجعل احكام الدنيا على الابدان، والارواح تبع لها.

وجعل احكام البرزخ على الارواح والابدان تبع لها، وجعل دار القرار على الارواح والاجساد جميعا. فاذا تأملت هذا المعنى حق التأمل ظهر لك ان كون القبر روضه من رياض الجنة، او حفره من حفر النار مطابق للعقل، وانه حق لا مرية فيه.

ويجب ان يعلم ان النار التي في القبر، والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وان كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون اعظم حرا من جمر الدنيا، ولو مسها اهل الدنيا لم يحسوا بها.

بل اعجب من هذا ان الرجلين يدفن احدهما الى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار وهذا في روضه من رياض الجنة، لا يصل من هذا الى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا الى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله اوسع من ذلك واعجب[2].

مثال ذلك انظر الى النائم، قد يرى في نومه حية تلدغة وهو يتألم، وتراه يصبح في نومه، ويعرق

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٤٥١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٢.

جبينه، كل ذلك يدركه بنفسه ويتأذى كما يتأذى اليقظان، وهو يشاهد ولا ترى انت شيئا حوله. والعذاب حاصل في حقه، ثم ان الحية (الثعبان) بنفسها لا تؤلم، بل السم هو المؤلم، فلو حصل مثل ذلك الاثر في الجسم لكان العذاب قد توفر.

وفي الحديث عن ابي سعيد عنه صلى الله عليه وسلم «لولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر ما اسمع»[1] وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان هذه الامة تبتلى في قبورها»[2] وكان النبي ﷺ يستعيذ من عذاب القبر فيقول «اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اعوذ بك من حر النار ومن عذاب القبر»[3] وعن ابي هريرة انه كان ﷺ يقول «اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من عذاب النار واعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»[4] وعن عائشة رضي الله عنها ان يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: اعاذك الله من عذاب القبر، قالت عائشة: فسألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «نعم عذاب القبر حق» قالت: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر» اخرجه البخاري ومسلم والنسائي، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال «مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: اما انهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستتر من بوله، قال فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال «لعله ان يخفف عنهما ما لم ييبسا» اخرجه الجماعة الا الموطأ وفي رواية «لا يستبرىء من البول» وعذاب القبر نوعان فيه ما هو دائم لقوله تعالى «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب[5]» وهم الكفرة الضالين المضلين.

وكذلك في حديث البراء بن عازب «ثم يفتح له باب الى النار فينظر مقعده فيها حتى تقوم الساعة[6].

والنوع الثاني انه مده ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه. واهل الكبائر من امة محمد في النار لا يخلدون ولكن ثم امر ينبغي التفطن له وهو لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار، فانه قد يعفى لصاحب الاحسان العظيم ما لا يعفى لغيره.

(١) اخرجه مسلم.
(٢) رواه مسلم وهو مخرج في الصحيحه ١٥٩.
(٣) رواه النسائي عن عائشة.
(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٢٩٤ ٨
(٥) غافر ٤٦.
(٦) حديث صحيح رواه الامام احمد.

مشاهد من عذاب القبر

في صحيح البخاري عن سمره بن جندب قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من راى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فان رأى احد رؤيا قصها، فيقول ما شاء الله، فسألنا يوما، فقال: هل رأى احد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، واخرجاني الى الارض المقدسة، فاذا رجل جالس، ورجل قائم بيده كلوب من حديد، يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيضع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى اتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على راسه بصخرة او فهر[1] فيشدخ بها راسه، فاذا ضربه تدهده[2] الحجر فانطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم راسه، وعاد راسه كما هو، فعاد اليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى اتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فاقبل الرجل الذي في النهر، فاذا أراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه، بحجر، فرجع كما كان فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا الى روضه خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي اصلها شيخ وصبيان، واذا رجل قريب من الشجرة، بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي الشجرة وادخلاني دارا لم أر قط احسن منها فيها شيوخ وشبان، ثم صعدا بي، فادخلاني دارا هي احسن وافضل، قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت؟ قالا: نعم، الذي رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الافاق فيصنع به الى يوم القيامة، والذي رأيته يشدخ راسه، فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل، ولم يعمل به بالنهار، يفعل به الى يوم القيامة، واما الذي رأيته في النقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر فآكل الربا، واما الشيخ الذي في اصل الشجرة فابراهيم وأما الصبيان حوله فأولاد الناس والذي يوقد النار، فمالك خازن النار، والدار الاولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل، فارفع راسك، فرفعت راسي فاذا قصر مثل السحابة: قالا: ذلك منزلك، قلت دعاني ادخل منزلي، قالا: انه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملته أتيت

(١) الفهر: حجر ملء الكف.

(٢) تدهده: تدحرج.

منزلك» قال ابن القيم وهذا نص في عذاب البرزخ، فان رؤيا الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر.

ضمة القبر: عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له ابواب السماء، وشهده سبعون الفا من الملائكة، لقد ضُمَّ ضمة، ثم فرج عنه» والمقصود هو سعد بن معاذ ضمة القبر لو نجا منها احد لنجا منها سعد.

وفي احاديث الاسراء والمعراج رأى مشاهد من عذاب العصاة ايضا.

وأتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك من شيء فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

وأتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والنعم، وياكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله شيئا. ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور، ولحم آخر نيء خبيث ويدعون النضيج الطيب قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال هذا الرجل من امتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح. ثم اتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا خرقته قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعون، ثم اتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل عليها. واتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم، بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء. قال: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

واتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بكلمة عظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها[1].

(١) الخصائص ١/١٧١ من حديث ابي هريرة رضي الله عنه رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه والبزار وابويعلي والبيهقي.

وقال : مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم[1].

ثم مضيت هنية فاذا انا بأقوام مشافرهم كمشافر الابل ، فتفتح افواههم ويلقمون حجرا ثم يخرج من اسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله ، قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء من امتك الذين ياكلون اموال اليتامي ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا.

ثم مضيت هنية فاذا انا بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بارجلهن فسمعتهن يضججن الى الله. قلت يا جبريل من هؤلاء من هؤلاء النساء؟ قال : هؤلاء من امتك اللاتي يزنين ويقتلن اولادهن.

ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام يقطعون من جنوبهم اللحم فيلقمون ، فيقال له : كل كما كنت تاكل لحم اخيك ، قلت : يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الهمازون من امتك اللمازون.

قال : مضيت هنية فاذا انا بأقوام بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر ، يقول : اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون ، فتجيىء السابلة فتطأهم ، فسمعتهم يضجون الى الله ، قلت : يا جبريل ، من هؤلاء؟ قال : هؤلاء من امتك الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس[2].

(١) اخرجه الامام احمد وابوداود من طريق عبدالرحمن بن جبير عن انس.

(٢) الخصائص ١٦٧/١ رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم.

استئناس الميت بدعاء اهله/ عند سؤال الملكين

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال «استغفروا لاخيكم، وسلوا له التثبيت، فانه الآن يسأل» رواه ابو داود في كتاب الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت في وقت الانصراف).

اسألوا له التثبيت: اي اطلبوا من الله تعالى ان يثبت لسانه عند سؤال الملكين له في القبر.
وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: اذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم، واعلم ماذا أراجع به رسل ربي» رواه مسلم. في كتاب الايمان. استأنس: اي اشعر بالانس ـ اراجع أجيب ـ افاد الحديثان: استئناس الميت بدعاء اخوانه واهله له عند قبره او استحباب الوقوف عند القبر بعد الدفن والدعاء للميت بان يثبته الله بالقول الثابت حين يسأله الملكان، فالمؤمن يلهمه الله الحجة، كما افاد ان سؤال الملكين في القبر حق وفي الحديث عن عائشة ان النبي ﷺ قال «ما من ميت يصلي عليه امه من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا» يخلصون له الدعاء ويسألون له المغفرة الا قبلت شفاعتهم. رواه احمد ومسلم والترمذي كما تجوز الصلاة على الميت بعد الدفن، واستحب بعض اهل العلم والشافعي ان يلقن الميت المكلف بعد الدفن ولم يزل اهل الشام على العمل بهذا في زمن من يقتدى به والى الآن، وذهبت المالكين في المشهور عنهم، او بعض الحنابلة الى ان التلقين مكروه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا زار القبور يزورها للدعاء لاهلها والترحم عليهم والاستغفار لهم

الملائكة/ وعذاب الميت ببكاء اهله

اجمع العلماء على انه يجوز البكاء على الميت اذا خلا من الصراخ والنوح. ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال «ان الله لا يعذب بدمع العين ولابحزن القلب ولكن يعذب بهذا او يرحم واشار الى لسانه» وبكى لموت ابنه ابراهيم وقال «ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون» فان كان البكاء بصوت ونياحه كان ذلك من اسباب الم الميت وتعذيبه فعن ابن عمر قال: لما طعن عمر اغمي عليه فصيح عليه، فلما افاق: قال: اما علمتم ان رسول الله ﷺ قال «ان الميت ليعذب ببكاء الحي».

وعن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه» روى هذه الاحاديث البخاري ومسلم. ومعنى الحديث: ان الميت يتألم ويسوءه نوح اهله عليه. فانه يسمع بكاءهم وتعرض اعمالهم عليه، وليس معنى الحديث انه يعذب ويعاقب بسبب بكاء اهله عليه فانه لا تزر وازرة وزر اخرى. الا اذا أوصى وعن النعمان بن بشير قال: اغمي على عبد الله بن رواحه فجعلت اخته عمره تبكي: واجبلاه، واكذا، واكذا، تعدد عليه، فقال حين افاق: ما قلت شيئا الا قيل لي: اكنت كذا» رواه البخاري.



لقاء الاقارب بعد الموت

عن ابي هريرة رضـي الله عنه «اذا حضر المؤمن، أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيا عنك، الى روح وريحان ورب غير غضبان، فيخرج كأطيب ريح المسك، حتى انه ليناوله بعضهم بعضا. حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون: ما اطيب هذا الريح التي جاءتكم من الارض: فيأتون به ارواح المؤمنين، فلهم اشد فرحا به من احدكم بغائبة يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فانه كان في غم الدنيا، فاذا قال: أما اتاكم؟ قالوا: ذهب به الى امه الهاوية. وان الكافر اذا حضر اتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون أخرجي ساخطة مسخوطا عليك، الى عذاب الله. فيخرج كأنتن ريح جيفه حتى يأتوا بها باب الارض، فيقولون ما انتن هذه الريح؟ حتى يأتوا بها ارواح الكفار»[1] وروى ابن جرير عن ابي هريرة قال: «ان اعمالكم تعرض على أقربائكم من موتاكم فان رأوا خيرا فرحوا به واذا رأوا شرا كرهوا».

وروى احمد والترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن اعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم من الاموات فاذا كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا».

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٤٩٠.

مستقر الارواح

يتلخص من الادلة ان الارواح في البرزخ متفاوته اعظم تفاوت. فمنها: ارواح في اعلى عليين، في الملأ الاعلى، وهي ارواح الانبياء صلوات الله عليهم وسلامة وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في حواصل طير خطر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي ارواح بعض الشهداء، لاكلهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه كما في المسند عن عبد الله بن جحش، ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: ما لي ان قتلت في سبيل الله؟ قال «الجنة» فلما ولى، قال« الا الدين، سارني به جبريل آنفا»[1] ومن الارواح من يكون محبوسا على باب الجنة «رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة»[2] ومنهم من يكون محبوسا في قبره، ومنهم في تنور الزناة والزواني وارواح في نهر الدم كما في الاحاديث باب مشاهد من عذاب القبر وفي الحديث «لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد، جعل الله أرواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي الى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش»[3] وقال «ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه»[4] واذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب عرفت حجة ذلك ولا نظن ان بين الاثار الصحيحة تعارضا، فانها كلها حق يصدق بعضها بعضا لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وان لها شأنا غير شأن البدن، وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي اسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا، وانها تنقسم الى مرسلة ومحبوسه، وعلوية وسفلية، لها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم، وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير.

وما اشبه حالها في هذا البدن بحال البدن في بطن امه؟ وحالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار. فلهذه الانفس اربع دور كل دار اعظم من التي قبلها.

الدار الاولى: في بطن الام، وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

(١) صحيح مسند ١٣٩/٤١ و٣٥٠.

(٢) صحيح احكام الجنائز ١٥.

(٣) صحيح على شرط مسلم وانظر المشكاة ٣٨٥٣ورواه الامام احمد وابوداود.

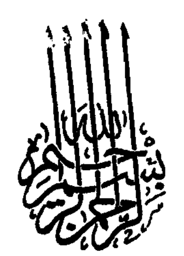
والدار الثانية: هي الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر واسباب السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة: دار البرزخ وهي اوسع من هذه الدار واعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى.

الدار الرابعة: دار القرار وهي الجنة والنار فلا دار بعدهما، والله ينقلها في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها[1].

ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الاخرى، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به والتقرب اليه، هي ارضية سفلية ولا تكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره، والتقرب اليه، والانس به، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها، فالمرء مع من احب في البرزخ ويوم القيامة فالروح بعد المفارقة تلحق باشكالها واخوانها واصحاب عملها فتكون معهم هناك. ومنهم من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها «والذي نفسي بيده ان الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارا في قبره» والحديث «رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة» ومن الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه فالارواح متفاوته في مستقرها في البرزخ

(١) فقه السنة ١/٤٨٨.





البعـــث والحســـاب



السائق والشهيد «امام الحق»

﴿**وقال قرينه هذا ما لدي عتيد**﴾[1] حاضر. وقرينه: هو الملك الموكل بعمل ابن آدم فانه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل فيقول هذا مالدي معتد حاضر، محضر بلا زيادة ولا نقصان، وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد احضرته. وقد اختار ابن جرير انه يعم السائق والشهيد. والظاهر انها مخاطبة مع السائق والشهيد. فالسائق احضره الى ارض الحساب والشهيد ادى الشهادة.

﴿**ويو يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون(١٩) حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصرٰهم وجلودهم بما كانوا يعملون**﴾[2] يوم يجمع المجرمون في ارض المحشر، قال ابن كثير: تجمع الزبانية او لهم على آخرهم حتى يجتمعوا، حتى اذا وقفوا للحساب ـ فاحضره السائق الى ارض الحساب والشهيد ادى الشهادة. ﴿**واليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون**﴾[3].

روى ابن جرير الطبري عن ابي موسى الاشعري انه قال «يدعى الكافر والمنافق يوم القيامة للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ويقول «اي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم اعمل فيقول الملك: اما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك اي رب ما عملته فاذا فعل ذلك ختم على فيه وتكلمت أعضاؤه ثم تلا ﴿**اليوم نختم على افواههم**﴾[4] «يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون»[5] يحلفون بالله عز وجل انهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لان من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه، ويعتقدون ان ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس، ويحسبون ان حلفهم ذلك لربهم عز وجل ينفعهم كما اخبر الله تعالى عن المشركين حيث

(١) ق.
(٢) فصلت ١٩، ٢٠.
(٣) سورة يسٓ ٦٥.
(٤) الطبري ٢٣/١٧.
(٥) سورة المجادلة ١٨.

يقول «ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون»[1] قال ابن عباس: فانهم رأوا انه لا يدخل الجنة الا اهل الصلاة، فقالوا تعالوا فلنجحد فيجحدون، فيختم الله على افواههم وتشهد ايديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثا وفي الحديث «يقول العبد يا رب الم تجرني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول العبد فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا ثم يختم على فيه، ويقال لجوارحه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول: بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل[2] **﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون(٢١) وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾**[3] وقالوا لاعضاءهم وجلودهم توبيخا وتعجبا ما هذا الامر الغريب: لم اقررتم علينا وشهدتم بها فعلنا، وانما كنا نجادل عنكم، قالوا معتذرين: ليس الامر بيدنا وانما انطقنا الله بقدرته الذي ينطق الجماد والانسان والحيوان[4].

قال البيضاوي: اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضيحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استخفيتم منها[5] وعن ابن عمر «ان الله عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا؟ اتعرف ذنب كذا؟ اتعرف ذنب كذا؟ حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا واني أغفرها لك اليوم ثم يعطي كتاب حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول (الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[6] فهذه فضيحتهم في الدار الآخرة على رؤوس الخلائق من الملائكة والرسل والانبياء وسائر البشر والجان ويقول الله عز وجل **﴿القيا في جهنم كل كفار عنيد(٢٤) مناع للخير معتد مريب(٢٥) الذي جعل مع الله الها ءاخر فألقياه في العذاب الشهيد**[7] يقول للملكين السائق والشهيد اقذفا في جهنم كل كافر معاند للحق لا يؤمن بيوم الحساب.

(١) سورة الانعام ٢٣.
(٢) الجامع الصغير وزيادته ٨١٣٤.
(٣) فصلت ٢١، ٢٢.
(٤) صفوة التفاسير ٣/١٢٠.
(٥) تفسير البيضاوي ٢/١٥٦.
(٦) اخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث قتادة.
(٧) سورة ق ٢٤، ٢٥، ٢٦.

وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان ملك يسوقه وملك يشهد عليه وهو ما رجحه الطبري وابن كثير، ﴿**واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتب وجآئى بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون(٦٩) ووفيت كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون**﴾[1] واضاءت المحشر بنور الله ـ يوم القيامة حين تجلى الباري عز وجل للقضاء، ووضع كتاب الآعمال للحساب وهي صحائف الاعمال وجيء بالنبيين ليسألهم رب العزة عما أجابتهم به امهم وبالشهداء وهم الحفظة الذين يشهدون على الناس باعمالهم هذا قول ابن زيد وهو الاظهر.

﴿**وكل انسن الزمنه طئره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتبا يلقه منشورا(١٣) اقرأ كتبك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾[2] **كل انسان مرهون بعمله، مجزي به، وعمله ملازم له لزوم القلادة للعنق، ونظهر له في الآخرة كتاب اعماله مفتوحا، فيه حسناته وسيئاته، فيرى عمله مكشوفا لا يملك اخفاؤه، اقرأ كتاب عملك كفى ان تكون اليوم شهيدا بما عملت هذا** موقف آخر للعرض.

﴿**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾[3] كنت في غفلة من هذا اليوم العصيب، فازلنا عنك الحجاب الذي كان على قلبك، وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم قوي، نافذ ترى به ما كان محجوبا عنك، لزوال الموانع **بالكلية**[4] ﴿**واذا القبور بعثرت(٤) علمت نفس ما قدمت واخرت(٥) يأيها الانسن ما غرك بربك الكريم(٦) الذي خلقك فسواك فعدلك**﴾[5] علمت عندئذ كل نفس ما اسلفت من خير أو شر فاي شيء خدعك بربك الحليم الكريم، حتى تجرأت على مخالفة امره مع احسانه اليك وعطفه عليك، وكيف قابلت احسان ربك بالعصيان، ورأفته بك بالتمرد والطغيان. الذي اوجدك من العدم، واسبغ عليك من النعم.

(١) الزمر ٦٩، ٧٠.
(٢) سورة الاسراء ١٣، ١٤.
(٣) سورة ق ٢٢.
(٤) الجلالين ٦٩٠.
(٥) الانفطار ٤ ـ ٦.

ملائكة الحساب/ حساب المؤمن

﴿يأيها الانسن إنك كادح الى ربك كدحا فملقيه(٦) فأما من أوتي كتبه بيمينه(٧) فسوف يحاسب حسابا يسيرا(٨) وينقلب الى أهله مسرورا(٩) واما من أوتي كتبه وراء ظهره(١٠) فسوف يدعو ثبورا(١١) ويصلى سعيرا﴾[1] مفترق الطرق. بدأ الخلق متساوين وطريق العودة مختلفين.

مفترق الطريق بين المؤمن والكافر. ذهب وقت العمل وجاء وقت الحساب. والخطاب هنا لكل انسان. قال في البحر: كادح اي جاهد في عملك من خير وشرٍ طول حياتك الى لقاء ربك فملاق جزاء كدحك من ثواب وعقاب[2]. ثم ذكر تعالى انقسام الناس الى سعداء واشقياء.

﴿فأما من اوتي كتابة بيمينه﴾ فهذه علامة السعادة، فسوف يكون حسابه هينا يجازى على حسناته ويتجاوز عن سيئاته، وهذا هو العرض. كما جاء في الحديث الصحيح «من حوسب عذب» فقالت عائشة أو ليس الله عز وجل يقول «فسوف يحاسب حسابا يسيرا» «فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب»[3].

وعن ابي هريرة رضـي الله عنه عن النبي ﷺ قال «اول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من اعمالهم الصلاة، يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو اعلم: انظروا الى صلاة عبدي اتمها ام انقصها؟ فان كانت تامة كتبت له تامة، وان كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فان كان له تطوع قال: اتموا لعبدي فريضته، ثم تؤخذ الاعمال على ذاكم»[4].

وعن تميم الداري «اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فان كان أتمها كتبت له تامه، وان لم يكن اتمها قال الله لملائكته انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملون بها فريضته؟ ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك»[5]. صحيح.

(١) الانشقاق ٦ ـ ١٢.
(٢) البحر المحيط ٨/٤٤٦.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) حديث صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢٥٧١.
(٥) الجامع الصغير وزيادته ٢٥٧٤.

والظاهر: ان المراد الاعمال الظاهرية التي هي اركان الاسلام، لان الايمان هو اول ما يحاسب عليه العبد، فيحاسب اولا على الايمان، وهو عمل قلبي، فاذا خلص للعبد الايمان الذي يتبعه النطق بالشهادتين، ينتقل به الى الحساب على بقية اركان الاسلام فيبدأ بالحساب على الصلاة لانها عماد الدين، فمن اقامها اقام الدين ومن هدمها هدم الدين.

والمقصود من الحديث بيان فضل الله تعالى، حيث انه يكمل انتقاص الفريضة بالتطوع منها، فيقول للملائكة وهو اعلم منهم: انظروا الى عبدي هل له من تطوع؟ فان كان له تطوع فهو يكمل ما انتقص من صلاته: سواء كان النقص منها نقصا في اداء فرضها، ام نقصا في كمال خشوعا ومبادرة بفعلها... ثم يؤخذ حسابه على بقية الاعمال من الزكاة والصوم والحج على حسب ذلك، اي إذا كان الفرض فيها كاملا فذاك والاكمل له نقص الفريضة منه بالتطوع.

والحديث يفيد وجوب المحافظة على الفرائض، حيث لا تفريط في الحساب عنها كما انه يفيد استحباب كثرة التطوع ليكون التطوع جابرا للفريضة(١).

أخرج مسلم في صحيحه ان حذيفة رضي الله عنه حدثهم قال: قال رسول الله ﷺ: «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: اعملت من الخير شيئا؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجوزوا عن الموسر، قال: قال الله. عز وجل - تجوزوا عنه» وفي رواية ثانية عن حذيفة رضى الله عنه قال: «أتي الله بعبد من عباده آتاه الله مالا فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: (ولا يكتمون الله حديثا) قال: يا رب، آتيتني مالك، فكنت ابايع الناس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله. عز وجل تجاوزوا عن عبدي» وفي رواية عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء الا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله: نحن احق بذلك منك تجاوزوا عنه» والتجاوز معناه المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء.

(٢) الاحاديث القدسية دار الكتاب العربي بيروت صفحة ١٥٧.

مالـــك

قال تعالى ﴿ونادوا يملك ليقصن علينا ربك قال انكم مكثون(٧٧) لقد جئنكم بالحق ولكن اكثركم للحق كرهون(٣٨)﴾[1] اي ونادى الكفار مالك خازن النار قائلين: ليمتنا الله حتى نستريح من هذا العذاب. قال ابن عباس: فلم يجيبهم الا بعد الف سنة[2]، قال انكم ماكثون في العذاب ـ واكثركم: اي كلكم وعبر بالاكثر لان من الاتباع من كفر تقليدا.

ومالك هو رئيس خزنة جهنم، وعن سمره قال، قال النبي ﷺ «رأيت الليلة رجلين أتياني قالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وانا جبريل، وهذا ميكائيل» رواه بخاري باب ذكر الملائكة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «رأيت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنؤه ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الراس، ورأيت مالكا خازن النار والدجال» رواه البخاري. وفي حديث الاسراء «فنشرت لي الانبياء من سم الله ومن لم يسم تعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد وصليت في مقدم المسجد فلما فرغت قال قائل: هذا مالك صاحب النار، فالتفت اليه فبدأني بالسلام، ثم اذن مؤذن واقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا، فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم»[3] الحديث.

فمن الملائكة الموكلون بالنار وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة.

(١) الزخرف ٧٧، ٧٨.
(٢) مختصر ابن كثير ٣/٢٩٦.
(٣) عن ابن مسعود منتخب كنز العمال ١/١٦٣.

خزنة جهنم

قال تعالى ﴿عليها تسعة عشر(٣٠) وما جعلنا اصحٰب النار الا ملٰئكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتٰب ويزداد الذين ءامنوا إيمٰنا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكٰفرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر﴾[1] اي خزنتها الموكلون بها تسعة عشر ملكا من الزبانية الاشداء قال تعالى ﴿عليها ملٰئكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[2] قال الالوسي: روي عن ابن عباس انها لما نزلت عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثقلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة ـ يعني محمد ـ يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم ـ اي العدد ـ الشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم؟ فقال ابو الاشد الجمحي، وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين[3] فانزل الله «وما جعلنا اصحٰب النار الا ملٰئكة» اي ما جعلنا خزنة النار الا الملائكة الغلاظ الشداد ولم نجعلهم من البشر حتى تصارعوهم وتغالبوهم، ولم نجعل ذلك العدد الا سببا لفتنة وضلال المشركين.

قال القرطبي: وانما جعل الله الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين لتكذيبهم بذلك وقول بعضهم لاصحابه على سبيل الاستهزاء انا اكفيكموهم[4].

وقد كان ﷺ يعلم من حال قريش انه متى اخبرهم بهذا العدد العجيب فانهم يستهزئون به ويضحكون منه ولذلك بين تعالى الغاية من ذكر هذا الخبر اوضح بيان[5].

ليستيقن ويتبين اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم ويزداد الذين ءامنوا من اهل الكتاب ايانا وتصديقا لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم[6].

(١) سورة المدثر ٣٠، ٣١.
(٢) سورة التحريم ٦.
(٣) تفسير الالوسي ٢٩/١٢٦.
(٤) تفسير القرطبي ٩/١٠١ وصفوة التفاسير.
(٥) التفسير الكبير ٣٠/٢٠٦.
(٦) تفسير الجلالين ٧٧٧.

واما قوله تعالى **﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**.
قال القرطبي: غلاظ القلوب لا يرحمون اذا استرحموا لانهم خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم اكل الطعام والشراب[1] لا يعصون الله ما امرهم بحال من الاحوال وينفذون اوامره بلا امهال قال ابن عباس: ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم».

وما يعلم عدد الملائكة وقوتهم وضخامة خلقتهم وكثرة عددهم الا الله رب العالمين.

وقال تعالى **﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب(٤٩) قالوا الم تك تأتيكم رسلكم بالبينت قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكفرين الا في ضلال﴾**[2].

وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يلقى على أهل النار الجوع ـ فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام، فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد، فاذا دنت من وجوههم، شوت وجوههم، فاذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم، فيقولون: ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى قالوا: فادعوا، وما دعاء الكافرين الا في ضلال، قال: فيقولون: ادعوا مالكا، فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربك، قال، فيجيبهم: انكم ماكثون: قال الاعمش: نبئت أن بين دعائهم، وبين اجابة مالك الف عام قال فيقولون: ادعوا ربكم، فلا أحد خير من ربكم، فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون، قال: فيجيبهم: اخسئوا فيها ولا تكلمون ـ فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل[3] قال ابو السعود: والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل. وقال ابن كيسان: هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه ـ ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون لاكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم بل لزيادة المهم، ذي غصة: ينشب في الحلوق ولا يكاد ينساغ، الحميم: الماء الحار.

(١) تفسير القرطبي ١٩٦/١٨.
(٢) سورة غافر ٤٩ ـ ٥٠.
(٣) اخرجه الترمذي في باب صفة طعام اهل النار ٩٦/٢.

لما يئسوا من بعضهم البعض التجأوا الى حراس جهنم يطلبون الشفاعة والتخفيف. اجابتهم الملائكة على سبيل التقريع والتوبيخ «الم تك تأتيكم رسلكم بالبينات» اي المعجزات فلم تؤمنوا قالوا بلى قد اتتنا الرسل قالت لهم الخزنة: اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم، فلستم اهلا لشفاعة الشافعين.

فيقول بعضهم لبعض: ادعوا مالكا ادعوا رئيس الخزنة لعله يشفع لنا عند الله فيقولون يا مالك اطلب لنا من ربك ان يقضي علينا فنموت ونستريح من العذاب، فيجيبهم: انكم ماكثون في العذاب كما قال تعالى ﴿**لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها**﴾.

ومالك رئيس الخزنة ومساعدوه التسعة عشر ملكاً. واما عدد الملائكة فلا يعلمهم الا الله عز وجل قال تعالى ﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا(٢٣) وجآي يومئذ بجهنم**﴾[١] عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها»[٢] فقد وكل بالنار وايقادها وتعذيب اهلها وعمارتها ملائكة لا عدد لهم ولا حصر.

(١) سورة الفجر ٢٢، ٢٣.

(٢) رواه مسلم.

الملائكة تسوق المجرمين/ وتأخذهم أخذا

وأخذ الملائكة للمجرمين الى جهنم انواع ـ فمن انواع الاخذ قال تعالى **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوة[٣] ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾**[١] يقول سبحانه وتعالى لزبانية جهنم خذوا هذا المجرم فشدوه الى الاغلال.

قال القرطبي: فيبتدره مائة الف ملك ثم تجمع يده الى عنقه فذلك قوله تعالى **﴿فغلوه﴾** ثم ادخلوه النار العظيمة ليصلى حرها[٢]، ثم ادخلوه في سلسلة حديدية طولها سبعون ذراعا.

قال ابن عباس: بذراع الملك تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقة ثم يجمع بين ناصيته وقدميه[٣] وقال الحسن الله اعلم باي ذراع هو والسلسلة حلقة منتظمة كل حلقة منها في حلقة.

نوع آخر من انواع الاخذ: والفئة الاخرى **﴿اذ الاغلٰل في اعنقهم والسلٰسل يسحبون(٧١) في الحميم ثم في النار يسجرون﴾**[٤] الاغلال القيود، والحميم الماء البالغ الحرارة.

قال ابن كثير: ومعنى الآية ان السلاسل متصلة باغلال وهي بايدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم وتارة الى الجحيم.

نوع آخر من الاخذ: **﴿خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم(٤٧) ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم(٤٨) ذق انك انت العزيز الكريم(٤٩) ان هذا ما كنتم به تمترون﴾**[٥] وهذا الصنف هم رؤساء الكفار واشرافهم يقال للزبانية خذوا هذا الآثم فجروه الى وسط جهنم ثم صبوا فوق راسه من ذلك الحميم الذي تناهى حره، هذا العذاب بما كنتم تجادلون في الدنيا نوع آخر من الاخذ وموقف آخر.

(١) الحاقه ٣١، ٣٢.
(٢) تفسير القرطبي ١٨/٢٧٢.
(٣) التفسير الكبير ٣٠/١١٤.
(٤) سورة غافر ٧١، ٧٢.
(٥) الدخان ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.

﴿يعرف المجرمون بسيمهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام﴾[1] لان للمجرمين علامات تدل على ذنبه كاسوداد الوجه وزرق العيون **﴿ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾** وقوله «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» فتأخذ الملائكة بنواصيهم.

قال ابن عباس يؤخذ بناصية المجرم وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب ثم يلقى في النار نوع آخر من الاخذ.

﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا(١٣) هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾[2] **﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد(٤٩) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾**[3] **﴿واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا(١٣) لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا﴾**[4] وقال **﴿يوم يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجر محجورا﴾**[5] وانواع الاخذ عديدة بانواع المجرمين ودرجاتهم في النار حسب اعمالهم وكسبهم وجرمهم، **﴿وان جهنم لموعدهم أجمعين(٤٣) لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾**[6] **﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا﴾**[7] بعنف جماعات متفرقة بعضها اثر بعض، يدفعون الى نار جهنم دفعا **﴿ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾**[8] الملائكة تسوق المجرمين كما تساق البهائم كانهم ابل عطاش

(١) سورة الرحمن ٤١.
(٢) سورة الطور ١٣، ١٤.
(٣) سورة ابراهيم ٤٩، ٥٠.
(٤) سورة الفرقان ١٣، ١٤.
(٥) سورة الفرقان ٢٢.
(٦) سورة الحجر ٤٤.
(٧) سورة الزمر ٧١.
(٨) سورة مريم ٨٦.

تبرؤ الملائكة من المشركين

قال تعالى **﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملئكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون(٤٠) قالوا سبحنك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون﴾**[١].

قال الزمخشري: هذا الكلام خطاب للملائكة، وتقريع للكفار، وارد على المثل السائر «اياك اعني واسمعي يا جارة» ونحو قوله تعالى **﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله﴾**؟ وقد علم سبحانه ان الملائكة وعيسى منزهون عما نسب اليهم، والغرض من السؤال والجواب ان يكون تقريع المشركين اشد وخجلهم اعظم[٢].

﴿قالوا سبحنك انت ولينا من دونهم﴾ اي تعاليت وتقدست ربنا ان يكون معك اله انت ربنا ومعبودنا الذي نتولاه ونخلص له العبادة، نحن عبيدك نتبرأ اليك من عبادتهم، ونتبرأ اليك منهم.

(١) سورة سبأ ٤٠، ٤١.

(٢) الكشاف ٣/٤٦٣.

ملائكة تحفظ النظام يوم القيامة/ على الحوض

عن انس رضـي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليردن علي ناس من اصحابي الحوض حتى اذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: اصحابي، فيقول: لا تدري ما احدثوا بعدك»[1] وعن النبي ﷺ قال «انا فرطكم على الحوض وليرفعن معي رجال منكم، ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب، اصحابي، فيقال، انك لا تدري ما احدثوا بِعدك»[2] وعن ابي هريرة رضـي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بينـا أنـا قائم، فاذا زمرة، حتى اذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: الى النـار والله، قلت ومـا شأنهم؟ قال: انهم ارتـدوا بعـدك على ادبارهم القهقري، ثم اذا زمرة، حتى اذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: الى النار والله، قلت: ما شأنهم: قال: انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم»[3] وعن ابي هريرة رضـي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ترد علي امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن ابله قالوا: يا نبي الله تعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء، وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون، فاقول: يا رب هؤلاء من اصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما احدثوا بعدك»

فرطكم: سابقكم اليه لاصلحـه وأهيئـه لكم، والفـرط الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض فهنيئا بوارديه جعلنا الله تعالى منهم انه هو الكريم. وفيه بشارة عظيمة لهذه الامة المحمدية زادها الله شرفا به آمين.

اختلجوا بمعنى اخذوا بشدة ـ لا تدري ما احدثوا بعدك: من المعاصي التي هي سبب الطرد والحرمان من الشرب وعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اني فرطكم على الحوض من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ ابدا، ليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفونني، ثم يحال

(١) اخرجه البخاري ومسلم في المناقب.

(٢) اخرجه البخاري في باب الحوض.

(٣) اخرجه البخاري.

بيني وبينهم»[1] اي من مكن من المرور علي شرب منه ـ وفي رواية (يشرب) منه ـ وزاد ابن ابي عاصم: «ومن صرف عنه لم يرو ابدا» ـ «ومن شرب منه لم يظمأ ابدا».

فاقول انهم مني اي ان الذين يحال بيني وبينهم ـ هم من امتي ـ حتى اذا عرفتهم خرج رجل: اي ملك على صورة رجل موكل بذلك فقال لهم هلم: اي تعالوا فقلت له: اين تذهب بهم (قال) الملك الى النار والله. فالناجي منهم قليل قال ابو الحسن القابسي: الصحيح ان الحوض قبل الصراط ـ وقال القرطبي: فهذا الحديث يدل على ان الحوض يكون في الموقف قبل الصراط لان الصراط، انما هو جسر ممدود، يجاز عليه فمن جاز سلم من النار.

ويكون الشرب منه لدفع العطش الذي يكون في الموقف ولمنع حدوث العطش بغد ذلك كما يكون علامه للنجاه من النار ولو كان بعد الصراط في الجنة، فماذا تكون الفائدة فيه، والجنة لا ظمأ فيها.

قال القسطلاني: بان الكوثر نهر في الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض أيضا كوثر لكونه يمد منه، وفي الحديث (ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة)

(١) اخرجه البخاري.

البعث

قال تعالى ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا(٩٩) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾[١] مشهد يرسم حركة الجموع البشرية من كل لون وجنس من كل زمان من كل جيل يختلطون ويضطربون تتدافع جموعهم يوم المشهد العظيم. فتصور تلك الجموع الحاشدة لا يعرف اولها آخرها، وتصور الهول الذي تثيره تلك الجموع والتي لم تتجمع قط في وقت واحد وفي ساعة واحدة الا في هذا اليوم، يوم القيامة، مشهد الانقلاب التام لكل معهود، انقلاب يشمل الاجرام السماوية والوحوش البرية والانعام وكل حي كان، ويكشف كل مستور، صورة اخرى من الكون ومن الحياة حقيقة لا يمكن ان يتصورها عقل انسان يتصوره، «يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا»[٢]، ويخيم الجلال على الموقف، وتغمر الجموع رهبة وصمت وخشوع. يوم يقوم الناس لرب العالمين «يقوم احدهم رشحه الى انصاف اذنيه»[٣] حيث «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[٤] ثم انشقت السماء بغلظها خمسمائة عام فيا هول صوت انشقاقها ثم تمزقت وانفطرت بعظم هولها، والملك على ارجائها، وتنفطر فكانت وردة كالدهان فبينما ملائكة السماء الدنيا على حافتها اذ انحدروا محشورين الى الارض بعظم اجسامهم واخطارهم بعلو اصواتهم سبوح قدوس، فيسألهم اهل الارض: افيكم ربنا؟ ففزع الملائكة من سؤالهم سبحان ربنا بل هو آت، فاخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسين رؤوسهم خاشعين لربهم وكذلك الى السماء السابعة كل اهل سماء مضعفين الاعداد وعظم الاجساد محدقين بالخلائق صفا صفا حتى اذا اوفى الموقف اهل السماوات السبع والارضين السبع. كسيت الشمس حر عشر سنين وادنيت من رؤوس الخلائق مقدار ميل، ولا ظل ظليل الا ظل عرش رب العالمين، فمن بين مستظل وبين مضحو بحر الشمس، وازدحمت الامم وتدافعت، واجتمع الحر بوهج الشمس، وحر الانفاس، وتزاحم الاجساد ففاض العرق منهم حتى استنقع، على وجه الارض

(١) سورة الكهف ٩٩، ١٠٠.

(٢) طه ١٠٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه احمد وابن حبان في صحيحه.

ثم ارتفع، ثم قدر مراتبهم حتى إذا بلغ، من البعض كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم اذنيه، يقوم الناس مقدار ثلاثمائة عام وعن الحسن قال: ما ظنك باقوام قاموا لله عز وجل على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكله ولم يشربوا فيها شربه حتى اذا انقطعت اعناقهم من العطش واحترقت اجوافهم من الجوع، انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية، آن حرها واشتد نفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ان يشفع لهم في الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا الى الجنة او النار، ففزعوا الى آدم ونوح ومن بعده ابراهيم وموسى وعيسى كلهم يقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضبه قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ويقول نفسي نفسي حتى اتوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم فسألوه الشفاعة الى ربهم فاجابهم اليها ثم قام الى ربه عز وجل واستأذن عليه فاذن له ثم خر لربه ساجدا ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو اهله حتى اجابه ربه عز وجل الى تعجيل عرضهم والنظر في امورهم[1].

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الناس يصعقون يوم القيامة، فاكون أول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش، فلا ادري افاق قبلي، ام جوزي بصعقة يوم الطور[2] وهذا الصعق اذا جاء الله لفصل القضاء واشرقت الارض بنور ربها فحينئذ يصعق الخلائق كلهم، وبعد العرض والحساب.

وطارت الصحف في الايدي منشره ... فيها السرائر والاخبار تطلع
فكيف سهوك والانباء واقعة ... عما قليل ولا تدري بما تقع
افي الجنان وفوز لا انقطاع له ... ام الجحيم فلا تبقى ولا تدع[3]

قال القرطبي: قال العلماء: اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة، فان المحاسبة لتقرير الاعمال، والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

فثبت وزن الاعمال والعامل، وصحائف الاعمال، وثبت ان الميزان له كفتان، والله تعالى اعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الايمان بالغيب كما اخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه

(١) من كتاب التدبر وكتاب اليوم الآخر في ظلال القرآن.

(٢) متفق عليه.

(٣) ابن المبارك.

وسلم فاذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الوقوف الى الظلمة التي دون الجسر كما قالت عائشة رضى الله عنها: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اين الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموٰات؟ فقال «هم في الظلمة دون الجسر»[1] وهنا يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور له باب فيعطون نورهم على قدر اعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ومنهم من يعطى ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره على ابهام قدمه يضيء مره ويطفأ مره، اذا اضاء قدم واذا اطفىء قام وفي الحديث ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض، مزلـه، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملا، فيمرون على قدر اعمالهم حتى يمر الذي نوره على ابهام قدمه تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فاذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد ان ارناك، لقد اعطانا الله ما لم يعط احدا»[2] الحديث/ صحيح ومن المعلوم ان الحوض قبل الميزان والصراط بعد الميزان، ففي «الصحيحين» ان المؤمنين اذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[3].

جعلنا الله واياكم من اهل الجنة الناجين من النار وعذاب النار.

(١) رواه مسلم.

(٢) قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

(٣) اخرجه البخاري في اول المظالم.

رضوان وخزنة الجنة

عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت؟ فاقول ـ محمد ـ قال: فيقول: بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك»[1].

قال رسول الله ﷺ «أنا اول شفيع في الجنة» وفي لفظ مسلم «وانا اول من يقرع باب الجنة».
وابواب الجنة ثمانية وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من احد يتوضأ فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء «قال ابن كثير: وخازن الجنة ملك يقال له رضوان، جاء مصرحاً به في بعض الاحاديث[2] وقال تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلم عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾[3] اي حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها وحراسها سلام عليكم ايها المتقون والابرار طهرتم من دنس المعاصي والذنوب فادخلوا الجنة دار الخلد.

قال الصاوي: والحكمة في زيادة الواو هنا «وفتحت» دون التي قبلها: ان ابواب السجون تكون مغلقة الى ان يجيئها اصحاب الجرائم فتفتح لهم ثم تغلق عليهم بخلاف ابواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها[4].

حتى اذا جاءوها وكانت هذه الامور من فتح الابواب لهم اكراما وتعظيما وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء[5] ثم يدخلون عليهم يهنئونهم.

(١) صحيح الجام الصغير وزيادته رقم (١).
(٢) البداية والنهاية ٤٣/١.
(٣) سورة الزمر ٧٣.
(٤) حاشية الصاوي ١٣/٣٨١.
(٥) تفسير ابن كثير ٤/٦٦.

الملائكة تسوق المؤمنين الى الجنة

قال تعالى ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا﴾ وسيق الابرار الى الجنة بلطف جماعات راكبين على النجائب. قال القرطبي: سوق اهل النار طردهم اليها وسوق اهل الجنة سوق مراكبهم الى دار الكرامة والرضوان، لانه لا يذهب بهم الا راكبين كما يفعل بالوافدينَ على الملوك، فشتان ما بين السوقين[1] وقال ابن كثير: هذه اخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا الى الجنة زمرا اي جماعة بعد جماعة، المقربون ثم الابرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم. الانبياء مع الانبياء والصديقون مع اشكالهم والشهداء مع اضرابهم، والعلماء مع اقرانهم، وكل صنف مع صنفه. قال تعالى ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمنٰ وفدا﴾ اي يوم نحشر المتقين الى ربهم معززين مكرمين راكبين على النوق كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم[2] وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: سيقوا حتى انتهوا الى باب من ابواب الجنة، فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فعمدوا الى احداهما، فتطهروا منها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلم تغير ابشارهم بعدها ابدا ولم تشعث اشعارهم ابدا بعدها، كأنما دهنوا بالدهان، ثم عمدوا الى الآخرة كأنما أمروا بها فشربوا منها، فاذهب ما كان في بطونهم من اذى او قذى، وتلقتهم الملائكة على ابواب الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، وتلقىٰ كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم عاد من الغيبة، ابشر قد اعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، قد اعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، قال وينطلق غلام من غلمانه الى ازواجه من الحور العين، فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن، أنت رأيته، فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى تخرج الى اسكفة الباب، قال: فيجييء فاذا هو بنمارق مصفوفة واكواب موضوعة وزرابي مبثوثة، قال: ثم ينظر الى تأسيس بنيانه فاذا هو قد اسس على جندل اللؤلؤ بين احمر واخضر واصفر وابيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سطحه فلولا ان الله تعالى قدره له لألم ان يذهب ببصره، انه لمثل البرق ثم ينظر الى ازواجه الحور العين، ثم يتكيء على اريكة من ارائكه ثم يقول «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله»[3].

(١) تفسير القرطبي ١٥/٢٨٠.
(٢) صفوة التفاسير ٢/٢٢٦.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٦٨.

تهنئة الملائكة لاهل الجنة

قال تعالى ﴿جنٰت عدن يدخلونها ومن صلح من ءابائهم وأزواجهم وذريٰتهم والملٰئكة يدخلون عليهم من كل باب(٢٣) سلٰمٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[١].

اي الملائكة تدخل عليهم للتهنئة من كل باب من ابواب الجنة يقولون لهم «سلام عليكم بما صبرتم» وهذه بشارة لهم بدوام السلامة «فنعم عقبى الدار» نعمت هذه العاقبة الحميدة[٢] وقال ابن كثير: تدخل عليهم الملائكة من ههٰنا ومن ههٰنا، فعند دخولهم اياها تفد عليهم الملائكة مسلمين ومهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والانعام والاقامة في دار السلام في جوار الصديقيين والانبياء والرسل الكرام[٣].

ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم، يجمع بينهم وبين احبابهم فيها من الاباء والاهلين والابناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين لتقر اعينهم بهم وعن ابي هريرة رضـي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال لله اذا دخل اهل الجنة ينادي مناد: ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا أبدا، وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا، وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا، وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا أبدا» رواه مسلم ـ وذلك لاختلاف نعيم الجنة عما في الدنيا من نعيم في انه لا خوف فيه ولا مرض ولا هرم، نعيم دائم، فمن الملائكة من وكل بالجنان واعداد الكرامة لاهلها، وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

(١) الرعد ٢٣، ٢٤.
(٢) صفوة التفاسير ٢/٨١.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥١٠.

شفاعة الملائكة

اخرج البخاري في كتاب التوحيد، من باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة﴾ ج٩ ص١٢٩ وما بعدها حدثنا يحيى بن بكير. حديث الشفاعة الطويل منه «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار. . .» الحديث.

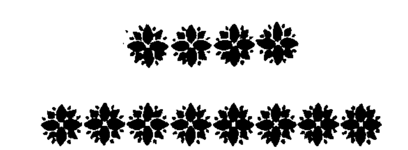
وفي صحيح الامام مسلم حديث الشفاعة باب (اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى). حدثنا زهير بن حرب حديث الشفاعة الطويل منه «حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد، واراد ان يخرج برحمته من اراد من اهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا، ممن اراد الله ان يرحمه، ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم في النار، ويعرفونهم باثر السجود، تاكل النار من ابن آدم، الا اثر السجود، حرم الله على النار ان تاكل اثر السجود، فيخرجون من النار، قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه، كما تنبت الحبة في السيل» وفي صحيح مسلم ايضا حديث عن ابي سعيد الخدري فيه «فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبييون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضه من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط. . .» الحديث قال الامام النووي رحمه الله: قال القاضي عياض: مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا، بصريح قوله تعالى ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ وقوله تعالى ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾ وامثالها وبخبر الصادق ﷺ وقد جاءت الاثار التي بلغت بمجموعها التواتر - بصحة الشفاعة في الآخرة ووقوعها لمذنبي المؤمنين. واجمع السلف والخلف ومن بعدهم من اهل السنة عليها، لكن الشفاعة خمسة اقسام اولها مختصة بنبينا محمد ﷺ وهي الشفاعة لفصل القضاء وللاراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية: الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه وردت ايضا لنبيينا صلى الله عليه وسلم وقد ذكرها مسلم رحمه الله.

الثالثة - الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى من الصالحين.

الرابعة: الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت هذه الاحاديث باخراجهم من النار بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة واخوانهم من المؤمنين الصالحين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا اله الا الله، كما جاء في الحديث (لا يبقى فيها الا الكافرون).

الخامسة: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها.





الخاتمة

واذا كان هذا هو شأن الملائكة ودورهم الايجابي في الكون والطبيعة واذا كانت هذه صلتهم بالانسان في هذا العالم وفي العالم الذي ياتي بعده. كان من الواجب الايمان بوجودهم، فالايمان بالملائكة من البر ومن دلائل الصدق والتقوى «ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة».

ان الايمان لا يكون حقيقة الا اذا آمن الانسان بهذا العالم الروحي ايمانا لا يتطرق اليه الشك. وهذا هو منهج الانبياء والصديقين والمؤمنين، الذين انكشف الحقائق امام ابصارهم، فادركوا من الكون ما لم يدركه الغافلون.

ان هذا العالم الغيبي لا يدرك بالحس ولا بالعقل. وسبيل معرفته هو الوحي. لانه غيب من الغيوب، والقرآن والسنة شاهد.

وكل ما يجب الاهتمام به هو ان نؤمن بهم ونرعى حق صحبتهم.

«ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم واكرموهم» واسأل الله تعالى ان يجمعنا في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعى بدعوته الى يوم الدين.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ـ وانتهى العمل به في يوم الجمعة
٢١/١٠/١٩٨٨م الموافق ١٠ ربيع الاول سنة ١٤٠٩ هـ.

مصادر الكتاب

القرآ الكريم

القرآن الكريم

١ احياء علوم الدين للامام الغزالي
٢ الاحاديث القدسية
٣ البداية والنهاية لابن كثير
٤ البحر المحيط
٥ االتسهيل لعلوم التنزيل
٦ التفسير الكبير للرازي
٧ التفسير الواضح للدكتور حجازي
٨ الحلية لأبي نعيم
٩ الخصائص الكبرى
١٠ الكشاف
١١ الفخر الرازي
١٢ المستدرك للحاكم
١٣ الموطأ للامام مالك
١٤ اليوم الآخر في ظلال القرآن
١٥ تفسير ابن كثير
١٦ تفسير أبي السعود
١٧ تفسير الألوسي
١٨ تفسير الجلالين
١٩ تفسير الخازن
٢٠ تفسير الطبري
٢١ تفسير القرطبي
٢٢ جامع الترمذي
٢٣ روح المعاني
٢٤ زاد المسير
٢٥ سنن أبي داود
٢٦ سنن النسائي
٢٧ شرح العقيدة الطحاوية
٢٨ شرح القسطلاني لصحيح البخاري
٢٩ شرح النووي على صحيح مسلم
٣٠ صحيح الجامع الصغير وزيادته
٣١ صحيح بخاري
٣٢ صحيح مسلم
٣٣ صفوة البيان
٣٤ صفوة التفاسير
٣٥ في ظلال القرآن
٣٦ مختصر ابن كثير
٣٧ مسند الامام أحمد
٣٨ معجزة القرآن للشعراوي
٣٩ منتخب كنز العمال
٤٠ منهاج الصالحين
٤١ نزهة المتقين لشرح رياض الصالحين



الفهـــرس

صورة الغلاف للفنان عبد الرؤوف الجرارحة

الكتاب المشترك في الجوائز

الروح والريحان

قسيمة اشتراك بجوائز

دار الابداع للقراء

للاشتراك في هذه الجوائز يرجى ارسال هذه الصفحة من الكتاب مع القسيمة أدناه عند شراء أي نسخة من أي كتاب مشارك في المسابقة بالبريد على العنوان : دار الابداع للنشر والتوزيع. (لجنة المسابقة) ص. ب. ٢١١٤٦٦ الحسين الشرقي.
عمان ـ الأردن .

وذلك لتشارك أخي القارئ في السحب على الجوائز.

الاسم : ....
العنوان : ....
ص. ب. : ....
هاتف : ....
التاريخ : ....

الرقم (   ) لاستخدام لجنة المسابقة

ملاحظة هامة الى المكتبات :

أي كتاب بدون قسيمة المسابقة لا يعاد لدار الابداع كمرتجع.

المملكة العربية السعودية
وكلاء التوزيع : دار القلم والكتاب
الرياض ـ هاتف : ٤٦٢٤١٠٥

دار الابداع للنشر والتوزيع
هاتف ٦١٠٥٠٦ ص. ب ٢١١٤٦٦
الحسين الشرقي ـ عمان ـ الاردن

السعر : ثلاثة دنانير